فالح مهدي



البحث عن مُنقذ

دراسة مقارنة بين ثماني ديانَات



البحث عن مُنقِذ

دراسة مقارنة بين ثماني ديانات

البحث عن مُنقذ

دراسة مقارنة بين ثماني ديانات

الطبعة الأولى ١٩٨١

ـ المقدمة ـ

اكد الفكر الفلسفي الديني ، عبر مراحل تطوره ، ان لهذا الكون قوة خارقة ، اوجدته من العدم ، وما برحت تحكمه منذ الازل ، وتتصرف في شؤونه ، وهذا ما ادى الى سن تشريعات وقوانين تتفق مع هذا المفهوم ٠

وانطلاقا من ذلك فقد اتفقت كل الاديان على ان تلك القوة التي خلقت الحياة على الارض سوف تنهي هذه الحياة في يوم من الايام ٠ كما أكدت ـ اي تلك الاديان ـ على علامات معينة سوف يكون ظهورها نذيرا بنهاية العالم ٠

وفي هذا الكتاب محاولة بسيطة لدراسة جانب من جوانب الفكر الديني ، ويتمثل هذا الجانب بدراسة كيفية نهاية العالم ونزول المنقذ من قبل الاله لانقاذ الاخيار من البشر !

وقد اخترت لدراسة هذه الناحية ثماني ديانات هي المصرية القديمة والهندوسية ، والبوذية والجينية ، والزرادشتية ، واليهودية ، والمسيحية ، والاسلامية ٠

وكان اختياري لها على سبيل المثال لا الحصر ، فالذي لاحظته ان هذه الاديان تؤكد ان للعالم نهاية لا ريب فيها ، وسوف تصاحب هذه النهاية نزول منقذ بواسطة القدرة الالهية ، لانقاذ الاخيار بعد ان يصيب الارض الدمار ويحل فيها الفساد ٠

ولهذا المنقذ صفات خاصة خارقة ورد ذكرها في كل هذه الاديان تقريبا ، فهو قد ولد في ظروف صعبة وتعرضت حياته لمخاطر كثيرة ، وله علامات لا تتوفر لدى البشر الاخرين اضافة الى كونه من سلالة الملوك والامراء ٠

اذن فان هذه الدراسة ستتناول بالنقد الموضوعي ما يمكن ان نطلق عليه دراسة الفكر الديني المقارن ٠

فمثلا بينت مدى التشابه بين شخصية المسيح في الفكر الديني المسيحي من جهة وشخصية كرشنا في الفكـر الديـني الهندوسي و « بوذا » في الفكر الديني البوذي من جهة اخرى ٠

فما يوجد من تشابه بين المسيح وبوذا لا يجعلك تشك في ان ايا منهما يمكن ان يحل مكان الاخر ٠

ثم حاولت ان اتبين العوامل التي كانت سببا في ايجاد فكرة المنقذ ٠ فالملاحظ انها اخذت طابعا متنوعا يختلف باختلاف الشعوب والديانات ، ولا يمكن حصرها بعامل دون الاخر ٠

ولكن بامكاننا أن نقول بأن هناك عاملا جوهريا قد لعب الدور الاساسي في بلورة هذه الفكرة اضافة الى بقية العوامل ٠

فمثلا في الديانة المصرية القديمة كان « النيل » عاملا فعالا في بلورة هذه الفكرة ٠ اذ كان ـ اي النيل ـ حين يعود بعد امحال ويؤوب جالبا معه الخيرات والبركات ، مثارا لتعجب قدماء المصريين حتى انهم كانوا يتضرعون للاله «اوزيريس» اله النيل ان يعيد خيرات النيل اليهم ٠

ولا يفوتنا ان نذكر ان الكهنة قد لعبوا دورا حاسما في التنبؤ بعودة المنقذ الذي يتمثل بفيضان النيل ٠

وفي الديانة الهندوسية تمثل ارقى اشكال الانقاذ في التناسخ بالاله « فشنوا » وفي الديانة اليهودية برز المنقذ كقوة محاربة لقتل اعداء بني اسرائيل ٠

بمعنى اخر . ان للعوامل الاقتصادية والبيئة والجغرافية والسياسية والبيولوجية اثرا فعالا في وجود الفكرة وتنوعها ٠

المهم في ذلك ان هذه المبادىء قد اقتنعت بها الشعوب في فترة من فترات التاريخ الانساني ، ولا يزال البعض الاخر يؤمن بها ٠

فالعقلية الانسانية يغلب عليها انها (تلقائية) تتقبل ما يردها دون تمحيص ، ولا يتسنى النقد الا للبعض ٠

فمن البداهة ان نقول ، ان الشعوب المتمدنة والتي واكبت التطور الحضاري استطاعت ان تجد منقذها من داخلها ٠

فالشعب الذي تزداد درجة وعيه بنفسه وبظروفه الموضوعية يستطيع ان يدرك جيدا بأنه اعظم منقذ لنفسه ٠

اما الشعب الجاهل فينتظر النصر من الخارج !!

ولو اتيح لهذه الشعوب الجاهلة ان تفهم الحقيقة فسترى ان تاريخ الانسانية مملوء بالزيف والكذب والخداع وان كثيرا من الشخصيات في تاريخ الانسانية لا تستحق ما هي عليه من تقدير واجلال وتقديس ٠

بعد ذلك ارجو ان يكون هذا الكتاب مقدمة مناسبة ، حاولت ان تلتزم النهج العلمي مسارا لها ٠

وفي الختام اقدم جزيل شكري للاستاذ الدكتور سامي سعيد الاحمد لمراجعته فصول الكتاب االاربعة الاولى وابداء ملاحظاته القيمة حول ما ورد فيها ، والى كل الاصدقاء الذين لم يبخلوا بملاحظاتهم او تقويم ما اعوج من لغة الكتاب ٠

المؤلف

١٩٧٤ - بغداد

الفصل الأول

المنقذ في الديانة المصرية القديمة

نظرة عامة في الديانة المصرية القديمة :

نظرا لتأخر معرفة الانسان بالكتابة (وفي العصر شبه الكتابي) في بلاد الرافدين وبداية عصر السلالات بمصر ، فان معرفتنا عنه ستظل مقتصرة على ما يمكن ان نستنتجه من ملاحظة النقوش والصور والاثار التي تركها انسان عصور ما قبل التاريخ ، لذا فمن الصعب جدا الوصول الى اعتقاد ولو بسيط عما كان يؤمن به انسان تلك الازمان في المشكلة موضوعة البحث ، لكن الخوف من الظواهر الطبيعية (البرق والرعد والصواعق وما الى ذلك) دون شك ، لعبت دورا اساسيا في تكوين فكرة الدين بصورة عامة عند الانسان الاول ٠

فاجتهد ذلك الانسان في ارضاء تلك القوى بالتقرب اليها بكل وسيلة عرفها انذاك وربما كان تصديره للحيوانات التي كان يصطادها تمثل له امكانية السيطرة عليها وتحصيلها بسهولة ٠ وقد قسم الانسان القديم القوى الطبيعية الى خيرة وشريرة ، واخذ يتقرب اليها ويعبدها ، وان لجوءه الى هذا التقسيم هو اسلوب تعامل تلك القوى معه ، فالقوى (ربما اعتبرها آلهة) التي تمده

بالعطاء ـ كمياه الانهار والاشجار والامطار والحيوانات التي تدر اللبن ـ قوى خيرة حاول التقرب اليها لكي تستمر في عطائها له ٠

والقوى التي تجلب له البؤس ، كالحيوانات المفترسة والتماسيح والعقارب والافاعي هي قوى شريرة اضطر الى ان يعبدها ويقيم لها المعابد لكي يأمن جانبها ٠ وقد نشأ الدين عبر هذه التصورات ومن خلال التراكم الاسطوري ، فهو مجموعة المبادىء التي تؤمن بها جماعة ما لتفسير الظواهر الطبيعية المحيطة بها وكل خروج على هذه المباديء يعتبر الحادا وكفرا في نظر تلك الجماعة٠

ويقول الاستاذ ادولف ارمان (١) « ان الشعور الغريزي عند الحيوان من كل ما هو مجهول سبب دفع الانسان الى احترام كل القوى التي تؤثر في حياته دون ان يتعرف كنهها ، ومن هذا الشعور نشأت الديانة التي لم تكن الا الاعتقاد المسيطر على ذهن الانسان من ان هناك قوى تحيط بالانسان وتؤثر فيه » ٠

فكلما تقدم الانسان في السلم الحضاري واستطاع تفسير القوى الطبيعية المحيطة به ، تبدلت نظرته الى مجموعة العقائد التي يؤمن بها ، وقد كان للتطور الحضاري اثر حاسم في تبدل نظرة الشعوب الى الدين ، فالدين عند الشعوب المتمدنة هو مجموعة القيم الحضارية التي تؤمن بها تلك الشعوب اما الشعوب المتخلفة فلا زال الدين بالنسبة اليها مجموعة قيم بدائية ٠

والملاحظ ان الديانة في بداية تطورها كانت تفرض على الانسان الايمان بقيم غير مألوفة لديه ولم يرها في يوم من الايام ، فآمن بها وسجد لها وربما كان الخوف هو الذي دفع الانسان الى التخيل الواسع مبتعدا عن المنطق والعقل ، فجعل لليل الها ، وللنهار الها ، وكان بعض هذه الالهة غير المرئية صديق ودود للانسان بعكس البعض الاخر فكان الليل يمثل اله الشر المخيف المرعب وليس هناك من منقذ للانسان من هذا الشر العظيم غير اله النهار الذي

---

(١) ادولف ارمان ـــ الديانة المصرية القديمة ص ٤ .

يكون قدومه مبعث سرور ورضى في نفس الانسان وربما امتد خيال الانسان الى تصوير التعاقب بين الليل والنهار وكأنه حرب بين الهين فكلما جاء الليل كان ذلك نذيرا بانهزام اله النهار الوديع المنقذ وكلما اندحرت فلول الظلام كان ذلك نذيرا بانتظار المنقذ الذي تمثل باله النهار كما قلنا ٠

وقد ظهرت في كتابات الحكماء المصريين اولى بوادر عقيدة المنقذ او المخلص « ومدارها الايمان بظهور شخصية قدسية على الارض تعيد الى الارض السلام وتقر العدالة بعد ان ملأت الارض جورا وفسادا وظلما ٠ ولعل النيل مرجع هذه العقيدة لانه يعود بعد امحال ويؤوب جالبا معه الخيرات والبركات بعد جوع وعطش » (١) ٠

بعد هذه المقدمة قد يكون من الضروري ان نلقي نظرات في الديانة المصرية القديمة ، التي نلاحظ فيها فكرة المنقذ واضحة المعالم بينة المميزات ، ولا نريد ان نخوض في تفاصيل الدين المصري القديم لانه متشعب ويخرجنا عن موضوعنا ، لذا سأقصر كلامي على ما يتعلق بموضوع فكرة المنقذ ٠ فالدين المصري (كبقية الاديان القديمة) قد مر في جملة ادوار حتى تكامله (٢) ٠ فربما بدأ بالحيوية، فالطوطمية وعبادة الارباب برؤوس مختلف الحيوانات التي تتجسد فيها الالهة ، وتقديس تلك الحيوانات ٠

وقد تعاظم خلال عصوره المتأخرة نفوذ الارباب « امون رع » ومن ثم « اوزيريس » وتأثر المصريون (في عصر الامبراطورية) باديان المناطق التي احتلوها في سوريا وفلسطين ، علما بأنه في جميع ادوار التاريخ المصري القديم نظر الشعب الى شخص الفرعون كاله يعيش بين البشر ويحكم بين الناس ٠ وهناك حقيقة مهمة لا نستغني عن ذكرها وهي ان الانسان القديم (حتى العصر اليوناني) لم يتعد التفكير التأملي لتفسير ما حواليه من ظواهر وقوى ، فالمنطقية والمعقولية قليلتان جدا في ما وردنا من كتابات الانسان المصري القديم ٠

---

(١) فؤاد محمد شبل ــ دور مصر في تكوين الحضارة ص ٢١ ٠

واذا ما نظرنا الى الكتابات الدينية المصرية بصورة عامة نقف معجبين تجاه اهتمامه الكبير بالكون وتخيله الواسع لكثير من ظواهره وتشبيهه لها بكائنات مألوفة يراها كل يوم في بيئته ٠

وفسر العديد من الظواهر تفسيرا غريبا جدا اذا قارناه بتفسيرنا المعاصر للظواهر الكونية ، فقد ذهب خياله الى ان يتصور السماء على هيئة بقرة وربما وجد مقارنة بين البقرة والسماء ، فالسماء تعطي الماء والبقرة تعطي اللبن (١) ٠

وقد تخيل الارض على شكل ذكر وربما امتد خياله الى اضفاء كثير من الموجودات القريبة منه على القوى الطبيعية فاعتبر السماء بحرا يجري تحت بطن الاله « نوت » (٢) ٠

ولا مجال للكلام حول تصورات المصري القديم للظواهر الطبيعيه اكثر مما قلناه انما يحسن بنا ان نذكر بأن العلاقة بين الاله والانسان في تلك الديانة تقوم على مبدأ الحقوق والواجبات ، فعلى الانسان المصري ان يقدم الهدايا والمنح وشطرا من الغنائم والحلي والازهار للاله مقابل منحه له الحماية والمحافظة (٣) وستتوضح لنا تلك العلاقة في الموضوعات التالية ٠

المنقذ الاول لتوحيد البلاد :

يمكننا الافتراض بأن المصري القديم عندما بدأ يتكتل مكونا القبائل،نشأت عدة طقوس ومراسيم٠ فلكل قبيلةعقائدهاوطقوسها الخاصة بها وربما خصصت القبيلة بعض رجالها للاهتمام بهذه الامور وما يرتبط بها من ادوات ومقدسات وخولتهم صلاحيات مناسبة رأوها ضرورية ادت بمرور الزمن الى تكوين سلطة اوتوقراطية لرجال الدين (٤) ، اذ كان للكهنة الحكم المطلق في قبائلهم ٠

---

(١) ادولف ارمان ــ الديانة المصرية القديمة ص ١٧ ٠
(٢) المصدر السابق ص ١٧ ٠
(٣) سليم حسن ــ مصر القديمة ج ــ ١ ص ٢٣٥ ٠
(٤) غوستاف لوبون ــ الحضارة المصرية ص ١٨ ــ ١٩ ٠

لكن التطور الحضاري للمجتمع المصري ونزعة المصري القديم الى التجمع اديا الى تكوين المدن مع اسباب اخرى اقتصادية واجتماعية ، فكانت كل مدينة تحوي عدة قبائل واصبح لهذه المدن الهتها الخاصة بها ثم ظهرت المقاطعات (التي عرفت باسم النومات - مفرد نوم باليونانية) ولكل منها ربها الخاص وعلمها المميز ورمزها المعين ٠

وكانت تلك المقاطعات في بادىء الامر مستقلة لها حكامها الذين لم يطلق عليهم صفة الملوكية ، ويبدو ان عدد هذه المقاطعات متساو تقريبا في الوجهين البحري والقبلي (١) ، واستمرت - اي هذه المقاطعات - في صراع مرير ، وظل الشمال (الوجه البحري) والجنوب (الوجه القبلي) في مطاحنات مسلحة لمدة طويلة (الطاسي ، البداري ، الاماري ، والحيرزي) والتي تعرف باسم فترة ما قبل السلالات ٠

وقد برز من بين ارباب الجنوب والشمال رب كانت له بين اخوانه الارباب (عند الشعب) مكانة مرموقة يعظمه على اساسها عابدوه ٠

وليس معنى هذا ان تركت الجموع عبادة الارباب الاخرى ولكنها خصت احدها باحترام وتقديس اكبر ٠

والظاهر ان مقاطعة الدلتا كانت اقوى من مقاطعة الصعيد وان أطماع ملوك الاولى كانت ممتدة بهم الى توحيد مملكتهم بمملكة الصعيد ٠ وقد قامت بالفعل عدة اتحادات لكنها سرعان ما سقطت ، وربما نستطيع ان ننسب اسباب سقوط هذه الاتحادات - اضافة الى اطماع الملوك - الى اطماع الكهنة الذين كان لهم نفوذ متزايد في كلتا المملكتين ٠

ويظهر ان الظروف المتشابهة بكلا الجانبين (من حيث الدين

---

(١) سليم حسن — مصر القديمة ج — ١ ص ١٤٨ ٠

واللغة والعادات المتقاربة) قد دفع برجل عظيم « ربما يكون منسيا (منا) الذي ذكره هيرودتس ، والذي يكون هو نفسه ألها حيث يظهر لنا في لوحة نارمر » ، الى التفكير بتوحيد البلاد وحكمها بنفسه ، بعد ان لاحظ ظروف البلاد وتزايد الصراع بين الفريق العسكري الذي بدأ يزداد نفوذه في المراكز المهمة (١) من جهة وسلطة الكهنة من جهة اخرى وتردي حالة البلاد كما يحسن ان نفترض من ازدياد الفقر والبؤس اللذين يعانيهما الشعب ·· كلها كانت ظروفا ملتهبة كالنار تحت الرماد ٠

ان هذا الصراع الذي من المعقول افتراضه بين الرؤساء العسكريين ورجال الدين جعلهم والناس من ورائهم يترقبون الرجل الذي يقودهم الى توحيد البلاد ، وربما تنبأ احد من الكهنة بقرب ظهور منقذ للبلاد يوحد كل المقاطعات وينقذها من الصراع المرير ٠

وفعلا فقد ظهر منقذ جبار وقائد عظيم استطاع ان يجمع رؤساء الجيش ويوحد بينهم ويتفق معهم على الاعتراف به ملكا ٠ (٢)

وبذلك يكون اول زعيم استطاع ان يوحد وادي النيل تحت حكم واحد ٠

ان هذا العمل الذي قام به هذا الرجل كان مثارا للعجب والافتخار عند اهل مصر مما دفعهم الى احترامه وتبجيله « ونظروا الـ[illegible]ـه بقدسية لانه عمل امرا لم يتمكن من انجازه الملوك من قبله » (٣) ٠

وقد اسس هذا الملك الاسرة الاولى التي اعتبر فيها الملك هو الاله ٠ ومن الاسباب التي دعت الشعب لكي يطلق عليه لقب الاله اضافةالى توحيده البلاد، الاطمئنان والرخاء اللذان سادا في عهده فك[illegible]

---

(١) غوستاف لوبون — الحضارة المصرية ص ١٨ — ١٩ ٠
(٢) المصدر السابق ص ١٩ ٠
(٣) الدكتور سامي سعيد الاحمد — محاضرات في التاريخ القديم على طلاب الصف الثاني في كلية الاداب قسم التاريخ ص ١٦ ٠

النيل يفيض بانتظام فلا جدب ولا قحط في البلاد وتوقف الحروب الذي ادى الى انتعاش البلاد ورفاهها ۰ (۱)

الثورة الاجتماعية والمنقذ :

كانت السلطة السياسية في عهد الاسرة الرابعة تتميز بكونها مطلقة متمركزة في الملك الاله ، الذي كان يتمتع بنفوذ واسع يسمح له بفرض كثير من الالتزامات على الشعب « وكان الملك وحده الذي يتوقع انه ينال اتم انواع الحياة في المستقبل لانه اله ، وسيستمر في الوهيته ، اما خلود النبلاء والفلاحين ومدى نجاح حياتهم المقبلة ، فقد كان متوقفا في جميع الحالات على صلتهم بسادتهم في الحياة » (۱) ۰ ومن اهم الاحداث التي تتعلق بموضوعنا بناء الاهرام للملوك الثلاثة ، والتي بلغ ارتفاعها علوا يفوق علو معابد الالهة ۰

وقد دفع هذا الوضع الى تذمر العمال الذين ساهموا في بناء الاهرام من جهة ، وربما تذمر الكهنة اذ ادركوا ان بناء الاهرام سيقلل من موارد المعابد من جهة اخرى ۰

ومن الممكن اعتبار بناء الاهرام منهكا لموارد الدولة بالانفاق على شؤون الملك الخاصة ، اذ كان الملك لا يهمه بناء سد او فتح ترعة بقدر ما يهمه بناء هرم يفوق الذي قبله ۰

ونتيجة لذلك قامت نبوءة في عهد الاسرة الرابعة تقول « بأن تولي العرش سيؤول الى ابناء اله الشمس رع ، الذين ستلدهم بمعجزة زوجة كاهن من كهنة رع وان اكبر هؤلاء الاولاد سيصبح كبير الكهنة في معبد هليوبوليس ثم ينتقل بعد ذلك الى الملك ۰۰ وانه (اي رع) قال عنهم انهم سيملؤون هذه الوظيفة الخيرة (اي وظيفة الملك في هذه الارض كلها » (۲) ۰

ويعتبر مجيء الاسرة الخامسة الى السلطة ، نجاحا في تحدي

---

(۱) جون ولسون ــ الحضارة المصرية ص ۱٦۱ ۰
(۲) المصدر السابق ص ۱٦٤ ۰

السلطة السياسية من قبل الاله رع ، وتحققا لتلك النبوءة ـ التي اسلفنا الاشارة اليها في ان اولاد اله الشمس هم الذين سيحكمون الارض ٠

وفي هذا العهد تم انتقال السلطة من الملك ذي السلطة المطلقة الى الملك الذي صار يدعِى بأنه ذو الاتصال التعاوني مع كهنة الاله رع ٠

وقد ساد الاعتقاد في عهد الاسرة الخامسة بأن الملوك ابناء حقيقيون للالهة وأن الاله اب لهم « وما دام الملك قد ولد كابن للاله فلا بد انه لا يموت ميتة الشخص الاعتيادي ، فاذا ما انتهت حياته السعيدة فهو يصعد الى السماء ويندمج في كرسي الشمس التي خرج منها » (١) ٠

لكن الوضع في عهد الاسرة الخامسة لم يستمر على ما هو عليه اذ ان لا مركزية السلطة قد ادت الى نتائج خطيرة منها نشوء نظام الاقطاع وانفصال النبلاء عن جهاز الدولة والاهتمام بمصالحهم الخاصة ثم تراخي موظفي الدولة في تأدية واجباتهم اضافة الى قيام كل ملك من ملوك الاسرة الخامسة ببناء معبد لابيه اله الشمس ومقبرة له مما ادى دون شك (علما بأنه ليس هناك من تأكيد في الادلة الاثارية والوثائقية على ما نقول) الى انهاك الاقتصاد وضعفه ٠ ان هذه العوامل وغيرها ادت الى نشوء ما يمكن ان نطلق عليه ثورة عارمة في عهد الاسرة السابقة كان من نتائجها وجود امثلة قد تحملنا الى استنتاج ازدياد البؤس والشقاء الذي تعانيه البلاد ٠

والملاحظ ان هذه الثورة كانت مبعثرة فلم يكن للثوار خط عام يسيرون عليه فأدى وضعهم هذا الى حالة من اللاتنظيم والبعثرة كثر فيها اعمال السلب والنهب والقتل واصبح كثير من ابناء الشعب يشك في وجود الالهة ٠ (٢)

---

(١) ادولف ارمان ــ الديانة المصرية القديمة ص ٦٦ ٠
(٢) سليم حسن ــ مصر القديمة جـ ١ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ٠

ان تلك الازمة التي طـال امدها اثـرت علـى اذهان المفكرين والحكام والقصاصين واهم كتاب وصل الينا هو كتاب « تحذيـرات نبي » الذي يعتبر من الكتب الادبية النادرة ٠ (١)

وتتكلم هذه التحذيرات عن المصيبة التي حلت بالبلاد وتمـرد الناس على الموظفين وعلى كبار القوم وينوه الكتاب عن ظهور حكيم يدعى « ابور » اخبر الملك بكل الحقيقة ووصف له البؤس الذي تعاني منه البلاد وتنبأ بما سيأتي فيما بعد ٠ (٢)

ويذكر الكتاب غزو الاجانب للبلاد وعبثهم بمصالح الدولة ٠٠٠ ويقول بأن نساء الطبقة العليا اضطررن الى العمل الشاق وان الرجل اصبح يشك في وجود الاله فيقول « اذ عرفت اين يوجد الاله قدمـت لك قربانا » ٠ (٣)

ويذكر بأن الفقراء قد سلبوا القبر الملكي واظهر الناس العداء للملك (٤) واضافة لما ذكرنا هناك عوامل اخرى كانت السبب المباشر في تردي السلطة السياسية وقيام الثورة الاجتماعية وخاصة في عهد السلالات ٧ ، ٨ « حيث سيطر فيه الاسيويون على مصر واشاعوا الارتباك في كل مكان ، وانقلب النظام الاجتماعي المصري رأسا على عقـب » ٠ (٥)

وهناك رواية تؤكد الاضطرابات التي سادت هذه الفترة فتقول بأن (٧٠) ملكا حكموا في (٧٠) يوما وكان من نتيجة ذلك ان صار بعض الناس يجد الخلاص اما في الانتحار او الانغماس الكلي فـي اللـذة ٠ (٦)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٠ وكذلك احمد بدوي في موكب الشمس جـ ــ ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٠٠ وكذلك احمد بدوي المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٠ .
(٥) الدكتور سامي سعيد الاحمد ــ محاضرات في التاريخ القديم على طلبة الصف الثاني في قسم التاريخ كلية الاداب ص ١٦ .
(٦) المصدر السابق ص ــ ١٧ .

ولهذا كان لا بد للامور من نيجتها الطبيعية وهي الثورة ، فالدولة المصرية كانت قد شاخت ووهن نظامها ، وسياسة البلاد كانت تسير على نهج اعوج ، لا يكاد يستقيم لان الحكومة تأخذ من الفقراء لتملأ خزائن الاغنياء (١) · ويذكر الاستاذ « احمد بدوي ان الثورة لم يعالجها حاكم حازم يوقف حكام المقاطعات عند حدهم ويعيد الامن والاستقرار الى البلاد ·

والذي اعتقده ان المسألة ليست في الحاكم الحازم فهي لم تكن وليدة تلك اللحظة فان عهد الاسرة السابعة كان عهد اندلاع الثورة بينما بذورها ممتدة منذ زمن بعيد ، فالمشكلة هي مشكلة النظام الاجتماعي الذي كان سائدا وليس في الحكام ·

واستمرت الثورة ، والفوضى تعم البلاد ·· ولكل مقاطعة نظامها الخاص في مكافحة النظام ·

ان هذه الفوضى والبعثرة استمرت اكثر من قرنين الى ان تحقق هدف الثورة على يد رجل من صفوف الشعب هو « امنحات » الاول مؤسس الاسرة الثانية عشر ، فكان منقذا للبلاد من الفوضى والاضطراب فضرب على ايدي حكام الاقاليم المستبدين واشاع العدل وجعل الموظفين خداما للشعب (٢) ، وكان من نتائج هذه الثورة انزال الملك من برجه المقدس قليلا وصار على حد قول الاستاذ « ولسون » اشبه براع يقضي للمحافظة على حقوق الشعب · (٣)

والحقيقة ان مجيء هذا المنقذ المخلص للبلاد قد سبقه نبوءة من قبل العراف « نفررهو » اذ يقول « سيأتي ملك من الجنوب اسمه « اميني » وهو ابن امرأة نوبية الاصل ، وقد ولد في الوجه القبلي وسيتسلم التاج الابيض فيوحد البلاد وينشد السلام في الارض (يعني مصر) فيحبه اهلها ·· وسيفرح اهل زمانه وسيجعل ابن

---

(١) الدكتور احمد بدوي ج ــ ٢ ص ٥ .
(٢) عبد الرحمن الرافعي ــ تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة ص ٤٦ .
(٣) جون ولسون ــ الحضارة المصرية ص ٢٠٢ ، ٢١٢ .

الانسان يبقى ابد الابدين ، اما الذين كانوا قد تآمروا على الشر ودبروا الفتنة فقد اخرسوا افواههم خوفا ، والاسيويون سيقتلون بسيفه واللوبيون سيحرقون بلهيبه ، والثوار سيستسلمون الى نصائحه والعصاة الى بطشه وسيخضع المتمردون للصل الذي في جبينه » • (١)

والحقيقة ان الاسم الذي ذكره العراف وهو « اميني » مختصر للاسم « امنمحات » « اما ابن الانسان - كما ورد في النبوءة ، فقد وردت هذه التسمية في التوراة اذا اعتبرت - اي التوراة - ابن الانسان المخلص والمنقذ لبني اسرائيل واطلقت هذه التسمية بالاناجيل على المسيح وعرف البابليون والحثيون هذا الاستعمال وربما اقوام اخر ايضا •

والذي نعتقده ان العرّاف استعمل تعبير - ابن الانسان ، ليدل به على ان - الاتي - هو من ابناء الشعب لا من السلالات الملكية !

اخناتون كمنقذ للديانة الاتونية :

من المسائل المهمة التي استحقت بحثا ومناقشة كبيرين من لدن الباحثين ، الثورة الدينية بقيادة الفرعون « اخناتون » الذي ركز العبادة في اله الشمس « اتون » وانهى دور الالهة الاخرين •

اذ كانت - اي الديانة الجديدة - تركيزا لنظر المتعبد في اله الشمس واعتباره هو الخالق لهذا الوجود ، وتعتبر ثورته الدينية هذه بداية شبه توحيدية للديانات السماوية ونخص بالذكر منها اليهودية •

ونظرا لاهمية هذه المسألة نحاول ان نستقصي اسبابها وبدايتها ثم ننتقل بعد ذلك الى تقويم شخصية منقذ الديانة الاتونية « اخناتون » •

---

(١) سليم حسن — مصر القديمة ج — ٢ ص ١٧٣ — ١٧٤ وكذلك احمد بدوي — في موكب الشمس ج — ٢ ص ٩٥ •

مبدئيا نستطيع القول ان امراء طيبة بعد ان طردوا الهكسوس من حكم مصر كلها ، اصبح من المحتوم ان يصير الاله « امون رع » الها للملكة ، واكبر الالهة في البلاد «(١)» ٠ « وقد اقام فراعنة القرنين السادس عشر والخامس عشر والاسر اللاحقة معابد طيبة الضخمة للاله امون رع بواسطة هذه الاموال التي تدفقت على مصر رمزا لتقديرهم وعرفانهم بسبب ذلك النصر الذي قادهم اليه » (٢) وكان لسيادة « آمون » اهمية كبيرة في اضعاف « رع » معبود مدينة عين شمس واضعاف كهنتها ٠

وقد ادى هذا الوضع الجديد للاله « آمون » الى ازدياد الهبات والغنائم لمعابده فغمرت الثروة كهنة المعابد وحتى انفرد رئيس الكهنة (وهو الوزير الاول) بالثروة والنفوذ حتى صار اغنى من الاسرة المالكة نفسها وكان تحت سلطته جيش عرمرم من الكهنة والكتبة ورجال الحكومة والجنود والفلاحين ٠٠ وجمع بين الوظائف والالقاب التالية في وقت واحد ٠٠ (حبيب الله) و (فم الديار المصرية) ٠٠ » (٣) ٠

ومن ناحية اخرى فقد شحت اموال المعابد الاخرى وخصوصا معابد الاله « آتون » بسبب عدم ارتيادها والانفاق عليها ٠

ونتيجة لذلك فقد قامت ثورة دينية بقيادة الفرعون « اخناتون » الذي خاف من توسع سلطات وزيره ، فاقتضت سياسته التخلص من هذا الخطر المرتقب حصوله ، ولم يجد وسيلة لذلك سوى اخماد شهرة الاله « آمون » تلك التي استمد منها الوزير سلطته ٠ (٤)

وربما يبدو لنا هذا التفسير غير مقنع اذ يمكن اعتباره سببا مباشرا - اي غير حقيقي - من ضمن العوامل التي ساهمت في الحط

---

(١) ادولف ارمان — ديانة مصر القديمة ترجمة الدكتور عبد المنعم ابو بكر والدكتور محمد انور شكري ص ١٢٠ — ١٢١ ٠
(٢) المصدر السابق ص ١٢٠—١٢١ ٠
(٣) انطوان ذكرى — الادب والدين عند قدماء المصريين ص ٨٥ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٨٥ ٠

من شأن الاله « آمون » وتركيز العبادة في الاله « آتون » ، اذ تدل كل اعمال « اخناتون » على انه لم يقم دفعة واحدة بالانقلاب الديني الذي كان يختلج في صدره وهو ذلك الانقلاب الذي ظهرت بوادر الاستعداد للقيام به منذ عهد اسلافه من قبله وبخاصة انهم كانوا يوجهون عناية خاصة لعبادة اله الشمس ٠ (١)

والظاهر ان هذه الفكرة اي تركيز العبادة في الاله « اتون » لم تنضج الا في حكم الفرعون الرابع « اخناتون » لان الذين سبقوه كانوا في شغل شاغل لتوطيد سلطان الملك ومد نفوذهم في الاقطار المجاورة ٠ (٢)

فعندما خلف « اخناتون » آباه « حوالي عام ١٣٧٥ ق٠م ، قام نزاع حاد بين البيت المالك من جهة والمنظمة الكهنوتية لمعابد امون من جهة اخرى (٣) ، اشتد في العام السادس عندما اراد ـ اي اخناتون ـ ان يقيم لنفسه مدينة خاصة لعبادة الاله « اتون » فهشم تماثيله ومحا اسمه اينما وجد حتى في سجل خطابات تل العمارنة لانه كان يقصد القضاء على كيانه من الوجود ، لاعتقاده ان محو صورة انسان يعني القضاء عليه وهذا ينطبق على الاله لان روحه كانت تسكن التمثال او اسمه » ٠ (٤)

ولم يكتف بذلك بل غير اسمه القديم كي يصبح « اخناتون » اي « ليسعد آتون » ٠

وحقيقة الامر ان الديانة الجديدة التي اتخذت من اله الشمس « اتون » معبودها لم يكن وجودها مجرد صدفة ، انما قامت على مرتكزات موضوعية تختلف عما كان قبلها ، فلا نستطيع ان ننكر

---

(١) سليم حسن ــ مصر القديمة جـ ٥ ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .
(٢) المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .
(٣) جيمس هنري برستيد ــ تطور الفكر والدين في مصر القديمة ترجمة زكي سوسن ص ٤٢٧ وكذلك فؤاد محمد شبل ــ دور مصر في تكوين الحضارة ص ٥٦ .
(٤) سليم حسن ــ مصر القديمة جـ ٥ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

النضج الموضوعي في شكل عبادة الاله « اتـون » ، اذ تبدلت تبدلا جوهريا عما كانت عليه في السابق « وهناك تسبيحات عشـر عليها في قبر الكاهن « آي » يظهر الفرق بين الـه الشمس القديم والالـه الجديد ، فالانشودة الجديدة تمـر كلها دون ذكـر اسم اله الشمس القديم وتيجانه وصوالجه ومدنه المقدسة وهو يغفل كل شيء عـن سفنه وبحارته وعن ابو فيس وعن الرحلة وعن مملكة الاموات وعـن سرور ساكنيها » ٠ (١)

واذا حاولنا ان نجري مقارنة بسيطة بين الاله « آمون » والاله « اتون » في شكله الجديد الذي صاغه كبار كهنة الديانة الاتونية ، فسنلاحظ ان معنى « آمون » هو المختبيء الذي لا يرى والقوة الشاملة لكـل شيء ٠ (٢)

« وكان يرسم على شكل انسان ٠٠ ويقع قدس اقداسه فـي اخر المعبد ، وفي اشد اجزائه ظلمة ، ولا يمكن بلوغ هذا المكان الا بعد تـأديـة طقـوس معقـدة لا يسمـح بهـا الا لاشخـاص محـدودين للغايـة » ٠ (٣)

اما الاله « اتون » فان اسمه يدل على كائن مادي ، فقد استعمل للتعبير عن معنى تجريدي بحت ، وقد رمز اليه باشعة الشمس التي تتدلى من قرص الشمس حيث تنتهي بأيد تقـدم رمز الحياة الـى العابدين (٤) «وكانت المعابد الاتونية مفتوحة للسماء لتيسر عبادة الاله في صراحة واضحة بمنأى « عن الغموض » ٠ (٥)

فهناك انشودة شمسية ، تحتوي على اسطر خطـيرة المعنـى ستفيدنا كثيرا لتبيان مدى استفادة الديانة اليهودية من الاتونية ٠

وتبدأ الانشودة بالشكل التالي : (٦)

---

(١) ادولف ارمان — ديانة مصر القديمة ص ١٢٦ ٠
(٢) فؤاد محمد شبل — دور مصر في تكوين الحضارة ص ٥٧ ٠
(٣) فؤاد محمد شبل — دور مصر في تكوين الحضارة ص ٥٧ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٥٧ ٠
(٥) المصدر السابق ص ٥٧ ٠
(٦) سليم حسن — مصر القديمة جـ — ٥ ص ٢٩٥ — ٢٩٦ ٠

انك صانع مصور لاعضائك بنفسك
ومصـــور دون ان تصور
منقطع القرين في صفاتـــه مخترق الابديـــة
(مرشد الملايـــين الـــى السبل)
وعندما تقلع في عرض السماء يشاهدك كل البشر
على الرغم من ان سيرك خفي عن انظارهم
وحينما يأتي وقت غروبك
تصغي اليك ايضا ساعات الليـــل
ولا يكون اجتيازها نهاية كدك
كل الناس تنظر بواسطتك
وانت خالق الكل ومانحهم قوتهم
وانت صانع يجــرب
وراع شجاع يســوق ماشيتـــه
وانت ملجؤها ومانحها قوتها
وهناك نشيد اخــر : (١)
« انت خالق الجرثومة في المرأة
والذي يذرأ البــذرة اناسيا
وجاعل الولد يعيش في بطن امه
ومهدئا ايـــاه حتى لا يبكي
مرضعا اياه حتى في الرحم
وانت معطي النفس حتى تحفظ الحياة لكل انسان خلقته » .

ومن الاناشيد التي تأثر بها الفكر المسيحي فيمـــا بعد هـــذا النشيد « ليس هناك واحد اخر يعرفـــك الا ابنـــك « اخناتون » لقد جعلته عليما بمقاصدك وقوتـــك » (٢) وهـــذا نفس مـــا ترمي اليـــه المسيحية حيث يسوع المسيح ابن الرب الذي يعرف كـــل شيء عـــن ابيـــه !

أما مدى تأثر اليهودية بالديانة الاتونية فقـــد تركنا بحث هذا

---

(١) جيمس هنري برستيد ــ فجر الضمير ص ٣٠٣ .
(٢) نفس المصدر السابق ــ ص ٣٠٤ .

الموضوع الى الفصل الخاص باليهودية ، ونكتفي بذكر هذا النشيد الذي يتبين من خلاله مدى تأثر الفكر الديني اليهودي بالديانة الاتونية · (١)

نشيد اتون	التوراة
« السفن ترحل في النهر صاعدة او منحدرة	هذا البحر الكبير الواسع الاطراف
فيه على السواء وكل فج مفتوح	صغار حيوان مع كبار
لانك اشرقت والسمك يثب	هناك تجري السفن · لوياثان
في النهر امامك واشعتك تنفذ الى	هذا خلقته ليلعب فيه
وسط البحر الاخضر العظيم »	(المزمور ١٠٤ – ٢٥ ، ٢٦)

ان العقيدة الجديدة تمثل مستوى من النضج مرموقا حقا فمن عبادة للالهة برؤوس حيوانات او على شكل انسان الى عبادة اله واحد اثيري الهيئة ·

وهذا ما يدل دلالة واضحة على ان بعض المتنورين في المجتمع المصري القديم استطاعوا تفسير كثير من الظواهر الطبيعية وهذا ما ادى بهم الى نكران هذا العدد الكبير من الالهة وحصرها في اله واحد يقبع خلف السماء يتمثل في الشمس مانحة النور والعطاء ·

واذا كان هذا التفسير مقنعا في ازدياد عدد المتنورين في المجتمع الكهنوتي على وجه الخصوص ونتيجة للزخم الحضاري الهائل لكنه لا يمكن ان يعتبر بأي حال من الاحوال العامل الجوهري لهذا التغيير الذي تمثل في العامل الاقتصادي ولكي نفهم اهمية هذا العامل نرجع الى بداية القضية ·

قلنا في بداية كلامنا عن الديانة الاتونية ان عبادة الاله « امون » قد توسعت وازدادت الهبات على معابده وفي مقابل ذلك شحت معابد

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٣ ·

الالهة الاخرى وبذلك يمكننا القول ان ثـورة « اخناتـون » كان يقف وراءها كهنة معبد « اتون » وتخص بالذكر منهم الكاهن « آي » (١) اذ لعب هذا الكاهـن مـع « اخناتـون » نفس الـدور الذي لعبه « اريسطندروس » مع « الاسكندر » !

لقد اشرف على تربيته وهو طفل وملأ فكره بعبادة الاله « آتون » حتى كانت ثورته في العام السادس من حكمه ، تدل دلالة واضحة على مدى تأثير الكاهن « اي » في هذه الثورة حيـث امر اي ـ اخناتـون ـ بطمس كلمة « الهة » اينما وجدت ، وابتنى لنفسه عاصمة خاصـة لعبادة الاله « آتون » سماها « اخيتاتون » بعد ان وجـد عبادة الالـه « امون » عريقة في طيبة ، وادرك استحالة انتزاعه منها ٠ (٢)

ولم يكتف بذلك بل اقام مدنا اخرى للالـه « اتـون » في النوبة واخرى في اسيا ٠ (٣) وهذا ما يذكرنا بالاسكندر الذ يابتنى اكثر من عاصمة باسمه في كافة انحاء العالم القديم الذي احتله ، وكان غرضه من ذلك السيطرة على العالم باسم الدين اذ يؤكد كثير مـن المؤرخين « ان المخطط السياسي لاخناتون هو توحيد جميع رعايا الامبراطورية حول عقيدة مقبولة من الجميع تستند الى قوة انشمس نفسها» ٠(٤)

ولهذا « اصبح اتون خالق كل شيء فمن المستحيل ان يقوم الى جانبه آلهة اخرى فهو يجب ان يكون الاله الواحد الحقيقي ومـن الكفر الاعتقاد بوجود غيره الى جانبه » ٠ (٥)

ومن الممكن القول ان ديانة اخناتون كانت اقرب ما وصل اليـه التوحيد في حدود ما يفهمه انسان ذلك العصر ٠ (٦)

---

(١) ادولف ارمان ـــ ديانة مصر القديمة ص ١٢٦ وكذلك سليم حسن مصر القديمة ج ـــ ٥ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
(٢) فؤاد محمد شبل ـــ دور مصر في تكوين الحضارة ص ٥٨ وكذلك جـــون ولسون ـــ الحضارة المصرية ص ٢٦٣ .
(٣) فؤاد محمد شبل ـــ المصدر السابق ص ٥٨ .
(٤) جان يويوت ـــ مصر القديمة ص ١٢٩ .
(٥) ادولف ارمان ـــ ديانة مصر القديمة ص ١٣٣ .
(٦) جون ولسون ـــ الحضارة المصريـــة ص ١٦٣ وكذلك جيمس هنري برستيد المصدر السابق ص ٤٢٨ .

بعد الذي قدمناه عن هذه الديانة نود ان نخوض في اسباب فشل هذه العقيدة ، اذ يذهب البعض الى انه « كان يجب قبولها كوسيلة لتحرير الاف المواطنين في عصر رائع الازدهار ولتنقية الديانة من كل الحشو الذي تراكم فيها منذ الاف السنين » (١) ومن الاسباب الاساسية لفشلها كونها انبعثت من اعلى، اي من الحاكم وهذا يخالف طبيعة العقائد الفكرية الناجحة التي تتسم بانبعاثها في اوساط الجماهير وبين ظهراني الطبقات المستضعفة بالذات . (٢)

اضافة الى انه لم يحدث اي تغيير في الجهاز الحكومي الذي له التأثير المباشر على العقيدة الجديدة ، فانتقلت المناصب العليا من ايدي ابناء الارستقراطية القديمة الى ايد جديدة (٣) ، علاوة على خلوها من مباحث لما وراء الطبيعة وكثرة شطحاتها الصوفية وعدم وجود اي اهتمام للاخلاق فيها . (٤)

ونتيجة لذلك فضل الشعب البقاء على عقيدته القديمة حيث توفرت فيها هذه الجوانب ، فقد خلت العقيدة الجديدة من التراث الشعبي والاساطير كما قلنا .

واذا حاولنا الدقة في الكلام فنستطيع القول ان من الاسباب المهمة لفشل هذه العقيدة هو مخاطبتها العقل دون الالتفات الى العاطفة ، اذ لم تدرك هذه الديانة الجديدة ، ان اي عقيدة لا تعتمد على انفعالات الجماهير وعواطفهم يكون مصيرها الفشل . ولا بد لي ان اذكر ان الديانة اليهودية قد كانت خالية هي الاخرى من ناحية ما وراء الطبيعة ومن الاخلاقيات وهذا ما يؤكد تأثرها الكبير بالاتونية وقد اشرنا الى ذلك في الفصل الخاص باليهودية .

وفي ختام كلامنا عن هذه الديانة لا بد ان نقول شيئا عن بطل هذ الاتجاه الجديد في الدين المصري ، فمن هو اخناتون ؟

---

(١) ادولف ارمان — ديانة مصر القديمة ص ١٤٤ .
(٢) فؤاد محمد شبل — دور مصر في تكوين الحضارة ص ٦٣ .
(٣) جان يويوت مصر الفرعونية ص ١٢٨ .
(٤) ادولف ارمان — المصدر السابق ص ١٤٤ وكذلك فؤاد محمد شبل المصدر السابق ص ٦٤ .

« كان اخناتون اخر نتـاج سلسلـة مـن الزيجـات داخـل نفس الاسرة ، وقد تسرب اليها الضعف والتخنث » (١) ٠

فيذهب الكثير من الباحثين الـى انه اغـرب شخصية في التاريخ المصري حيث كان ضعيف البنية ، نحيـل القوام ، عنينا ، بـارز الوجنتين ، ذا وجه رفيع ضيق يوحي بالكآبة المحزنة ، لـه شفتان غليظتان وعينان مغوليتان ، وذقن مستطيلة ، اضافـة الـى انتفاخ ردفيه وبطنه وثدياه على نحو امـرأة ٠ (٢)

ومن الجدير بنا ان نتساءل لماذا اختار كهنـة « اتون » الملك « اخناتون » وهو على ما عليه من دمامة في الخلقة اضافة الى التخنث والقلق النفسي ؟! ومبدئيا تتأتى اثارتنا لسؤال من هذا القبيل لكون الابطال الذين سنأتي على ذكرهم في الفصول التالية يتمتعون بصفات معينة من قوة في الشخصية الى قدرة في التفكير وجمال في الوجه ، وهذه الصفات لم يتمتع بها « اخناتون كما توصل الى ذلك علماء الاثار والتاريخ القديم » ٠

ومن يدري فان اثار مدينته قد حطمت من قبل اتباع « امـون » بعد موته اذ ربما وصفه الكهنة الذين اشرفوا على تربيته بالخـوارق من ولادته وامكانياته الفكرية ، لكن شيئا من هذا لـم يصلنا حتـى نستطيع ان نحكم على الموضوع من خلاله ٠

بقي ان نذكر ، ان هناك صفة واحدة يتمتع بها « اخناتون » مع بقية المنقذين كونه ملكا او فرعونـا اذ سنـلاحظ فيمـا بعـد ان كل المنقذين اما ان يكونوا ملوكا او امراء او من سلالة الملوك والامراء ٠

ومن خلال ما توفر لدينا من معلومات نستطيع القول ان ضعـف شخصيته قد ساهم فيه كهنة « اتون » اضافة الى الصفات البيولوجية التي اكتسبها من عائلته ٠

---

(١) جان يويوت ــ مصر الفرعونية ص ١٢٨ ٠

(٢) اليزابيت رايفشتال ــ طيبة في عهد امنحتب الثالث ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨ وكذلك جان يويوت المصدر السابق ص ١٢٨ ٠

فربما كان للكاهن « آي » دور كبير في هذا الضعف اذا امكن ان نسميه ضعفا اذ انه قد وجه الى الدين كليـة حتى انه لـم يستطع التوفيق بين السياسة والدين ، (١) فاعتبر نفسـه موجودا من اجل خدمة ابيه « اتون » ، ولا ينكر معظم المؤرخين هذا الجانب في شخصيته اذ وصفه البعض بأنه يمتلك « شخصية عميقة التكوين ولا شك في انه اعظم المتصوفين في التاريخ ، غير انه كان ينقصه الاحساس الكامـل بالواقع مما جعله يخفق في ان يجمع بين شخصية الملك والقداسة» . (٢)

ومهما كان الامر من فشل العقيدة الجديدة فاننا نستطيع القول ان « اخناتون » ومن ورائه كهنة اتون ، لم يستطع التكيف مع الواقع الموضوعي ، علما ان الظروف الموضوعية لم تنضج لثورة مـن هـذا القبيـل كـان مـن الممكـن أن يتصـدى لها قـواد الجيش ومن خلفهـم الكهنـة المعـارضـون

الاسكنـدر كمنقـذ منتظـر :

استطاع الفرس من غزو مصر في عهد « ابسمتك الثالث » ونشر سلطانهم عليها بقيادة قمبيز بـن كورش سنة (٥٢٥ ق٠م) ، وان يحكموا البلاد حكما مباشرا وقد توج قمبيز نفسه ملكا على مصر واتخذ لقب فرعون ليكسب نفسه مركزا شرعيا في نظر المصريين ٠ (٣)

وقد اتسم الحكم الفارسي بانتهاكه للديانة المصرية والحط من شأن المصريين اضافة الى الفقر والبؤس اللذين اصابا اشعب المصري خلال هذه الفترة مما كان محفزا للتفكير بالثورة على الفرس الذيـن استولوا على اقتصاديات البلاد وعلـى كافة مرافقها ، وفعلا قامت ثورة عارمة بقيادة رجل انتظروه طويلا يدعى « خابا باشا » (٤) اذ كان اميرا محليا ، قاد الثورة واستطاع ان يهـزم الفـرس بمساعدة الاثنين ، ونصب نفسه ملكا على مصر سنة ٤٥٨ ق٠م٠ (٥)

---

(١) جان يويوت ــ المصدر السابق ص ١٣٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣٠ .
(٣) ابراهيم نصحي ــ تاريخ مصر في عهد البطالمة ج ــ ١ ص ٥ .
(٤) اتبين دريوتون وجاك ناندييه ــ مصر ص ٦٦٧ ــ ٦٦٨ .
(٥) ابراهيم نصحي ــ تاريخ مصر في عهد البطالمة ج ــ ١ ص ٥ .

لكن هذه الثورة لم تدم طويلا ، اذ استطاع الفرس ارجاع مصر الى حظيرة امبراطوريتهم بقيادة « اجرز كسيس بن دارا » الذي اخمد الثورة وقتل القائمين بها ٠ (١)

وقامت ثورات اخرى لكن الفرس استطاعوا اخمادها جميعا وبقيت مصر تحت نير الحكم الفارسي الى سنة ٣٣٢ ق٠م ٠ ولم يفكر المصريون بعد الفشل الذي اصابهم بالثورة فقد كانوا بانتظار منقذ لهم من الخارج ٠

ولعب الدين المصري دورا مهما في ابقا ءالشعب في حالة انتظار ، ذلك بنبوءة خرجت من معبد امون « مقتضاها ان الفرس سيطردون وان الملك الوطني سيعود ثانية » (٢) ٠

وظاهر الحال يؤكد ان الانتظار لمجيء منقذ منتظر كان مجديا الى حد بعيد ، اذ تمثل المنقذ هذه المرة في شخصية الاسكندر الاكبر ، باعتباره سليل ملكهم الوطني « نكستابو » فقد اعتقد الشعب المصري ـ بتأثير الفكر الديني ـ ان الاسكندر مصري الاصل « وهناك قصة طريفة فحواها ان نكتانبو الثاني عندما طرده الفرس في منتصف القرن الرابع لم يفر الى النوبة بل الى مقدونيا حيث هام بحب ملكتها ، وان الاله « امون » قد تقمص صورة نكتانبو وخالط اوليمبياس ، وانجب منها الاسكندر وانه بعد انتهاء المخالطة قال للملكة افرحي ايتها السيدة لانك حملت مني ولدا سيثأر لك ويحكم العالم » ٠ (٣)

وفعلا تحققت النبوءة وصدق كهنة الديانة المصرية ، اذ دخل الاسكندر محررا ومخلصا لمصر من الفرس !

فقد اوحى الى الشعب عن طريقالكهنةبأن زمن العبودية والتنكر

---

(١) المصدر السابق ص ٥ ، ٦ .
(٢) المصدر السابق ج ــ ٢ ص ١٤ .
(٣) المصدر السابق ج ــ ٢ ص ١٣ ــ ١٤ .

للالهة قد انتهى ، فهيا ـ اي الشعب ـ لاستقبال المنقذ المنتظر (١) ، واحتشد في موكب طويل على طول الطريق لملاقاته بالورود والزهور ٠

وبذلك استطاع الاسكندر ان يكسب احترام المصريين وتقديرهم واعجابهم فعمد الى احترام الديانة المصرية واجلالها فحج الى معبد آمون في سيوة (٢) وقدم القرابين للالهة ٠

ويمكننا اعتبار استقباله من قبل كهنة امون ذا اثر كبير لا على الشعب المصري فحسب انما على العالم القديم كافة ، وهذا ما كان يرمي اليه الاسكندر فقد كان يسعى جادا لاضفاء صفة المشروعية لسيطرته على العالم باعتباره مخلصا ومنقذا ٠ والذي يهمنا فيما يتعلق بالديانة المصرية هو تحقق النبوءة السابقة في شخصية الاسكندر ، لذا سنبحث عن كيفية تحقق هذه النبوءة عن مجيء منقذ منتظر وما هو السر في ذلك ؟

وحقيقة الامر ان موضوع الاسكندر كمنقذ منتظر تقف خلفه خدعة كبيرة مارسها كبار الكهنة المصريين بكل ذكاء ومقدرة بعد ان شعروا ان مصالحهم قد ضربت وان المعابد التي كانت تدر عليهم الاموال قد اصبحت مجدبة كنتيجة لما عمله الفرس من حط لقيمة الديانة المصرية ٠

ونظرا لدقة هذه الخدعة التي ساهمت فيها اكبر العقول الدينية نحاول ان نتتبعها منذ بدايتها لاستقصاء ابعادها واغراضها ٠

وبدأت ـ اي الخدعة ـ مع فيليب والد الاسكندر ـ اذا صح انه والده !! الذي كان يشعر دوما بالخطيئة لقتله امه وظلت هذه الجناية تلاحقه طول حياته ، اضافة الى تأنيب ضميره وخوفه من عقاب الالهة وكلام الناس ٠ لكل هذا استشار عرافه « اريسطندروس » بحل لمعضلته فنصحه بزيارة معبد « سامو تراقيا »
فالتضحية التي يقدمها لالهة « كابيروس » تطهر كل انسان مهما

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ وكذلك ابراهيم نصحي ـ المصدر السابق جـ ـ ١ ص ٢١ ٠
(٢) موريس دروون ـ الاسكندر الاكبر ص ٢٠٠ ٠

كانت ذنوبه وبالغا ما بلغت خطاياه من الفظاعة ، لا سيما خطيئة سفك الدم . (١)

وقبل ان نعرف ما حدث في سامو ترافيا نود ان نعرف من هو الكاهن « اريسطندروس » ؟

اريسطندروس رجل زكي واسع الحيلة ، درس في مستهل حداثته في معابد مصر ، وتلقى العلوم في اديرتها . ونظرا لما ابداه من حكمة وذكاء ، وتفوق اختاره معبد امون لتنفيذ مآربه في قضيتنا هذه .

ومن الممكن القول ان الدور الذي لعبه هذا الكاهن يشبه الدور الذي لعبه الكاهن « آي » مع اخناتون كما اسلفنا الاشارة الى ذلك . اذ سنلاحظ فيما بعد اي رجل « اريسطندروس » !

المهم ان فيليب اقتنع برأي عرافه اريسطندروس وصحبه معه الى معبد « سامو ترافيا » وعند وصولهم الى المعبد استقبلهم كبير الكهنة استقبالا فخما ورحب بـ « فيليب » ترحيبا حارا وقدم له فتاة جميلة الوجه ، فاحمة الشعر ، متقدة العينين وشخصية يبدو انها معقدة (٢) وقال له ـ اي كبير الكهنة ـ اننا اخترناها لك اذا ارتضاها عرافك ، « وهي من بنات الملوك وفي عروقها يجري الدم الملكي وتدعى « اولمبياس » ولها من العمر ستة عشر عاما .. وستكون وقفا على خدمتك وحدك مدة الايام التسعة بدلا من ان توزع نفسها بين عدة حجاج ، شأن غيرها من المحظيات » (٣) .

ولنا ملاحظتان على هذا النص ، الاولى ان كبير الكهنة ترك الموافقة على بقاء « اوليمبياس » بجانب فيليب للكاهن « اريسطندروس » اذ كان على علم بموافقته المسبقة كنتيجة للخطة المدبرة بينهم .

والملاحظة الثانية ان « اولمبياس » ليست من النساء اللاتي

---

(١) موريس دروون ــ الاسكندر الاكبر ص ١٨ .
(٢) جــون جنتر ــ الاسكندر الاكبر ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٣) موريس دروون ــ المصدر السابق ص ٢٢ ، ٢٣ .

يمارسن البغاء المقدس في المعابد انما دربت تدريبا خاصا على اعمال الحب والجنس فكان اختيارها نتيجة لدراسة الجنس عند فيليب - من قبل المعبد - دراسة دقيقة ، وبناء على هذه الدراسة تم وضع (ترتيبات) ادت في اخر المطاف الى وقوع فيليب في مصيدة المعبد ٠

وكانت الخطوة الثانية بعد تقديم « اولمبياس » له ، اقامة احتفال خاص له رقصت فيه اولمبياس شبه عارية ، بحركات رشيقة تستلفت النظر ، اضافة الى ان جو المعبد كان مظلما مما كان له اكبر الاثر على نفسيه فيليب ٠

ولم يخطىء المعبد في اقامة رقصات شبه عارية اذ كان المجون صفة جميع العسكريين في ذلك الزمان اما ظلام المعبد فكان يثيره اكثر من سواه والذي اعتقده ان المعبد قام بذلك بعد الاتفاق مع اريسطندروس الذي كان مطلعا على نفسيته ٠

اما الخطوة التالية فهي السماح لفيليب ان يواقع اولمبياس في المعبد ،لكنه عندما اختلى بها امتنعت عليه ورفضت رفضا قاطعا ان يواقعها بحجة انها مقتصرة على الاله آمون ، فهو زوجها ولا يمكن ان يواقعها غيره ٠

وكلما ازدادت تمنعا ازداد هو تلهفا ، الى ان اضطر اخيرا ان يطلب الزواج منها ٠ اذ كان المعبد يعلم ان فيليب يعبد المرأة التي تمتنع ٠ وبعد الحاح شديد وافقت على عرضه !!

وقد ادخل الكهنة فيليب عليها وهو في حالة سكر شديدة بحيث لم يستطع ان يقدر بدقة ما اذا كانت اولمبياس عذراء أم لا ٠ ولقد ادعى فيما بعد انها كانت ثيبا وانه مخدوع وان الاسكندر ليس ابنه وانما هو ابن زنا ٠

وما دمنا قد وصلنا الى هذا الحد فلا بد لنا ان نتساءل عما يطلبه معبد آمون من هذه الخدعة ٠

مبدئيا يجب ان نعرف ان الدين مرتبط بالسياسة في الازمنة

القديمة وان لرجال الدين المصري وعيا بالظروف المحيطة بهم فقد ادركوا بشكل من الاشكال ان ميزان القوى سيختل في العالم وان الامبراطورية الفارسية المسيطرة على مصر بالذات ستهزم امام القوة اليونانية الصاعدة • لذلك هيأوا الظروف لقيام رجل يدين بالولاء للدين المصري ومن بلاد اليونان واذا حاولنا الدقة من « مقدونيا » ذ تؤكد ظواهر الامور انها ـ اي مقدونيا ـ ستوحد الولايات اليونانية تحت زعامتها •

واذا ما استطاع هذا الرجل المقدوني ان يهزم الفرس فستكون مصر مركز الامبراطورية الجديدة وتعاد الهبات والهدايا لمعابد مصر بشكل لم يسبق له مثيل •

وبعد الذي قلناه عن اهداف الخدعة نرجع قليلا الى الوراء لنرى كيف سارت الخدعة ، فقد قلنا ان امتناع اولمبياس عن فيليب كان يقف وراءه الكاهن اريسطندروس ، حيث كان على علم بأن فيليب يضعف امام المرأة المتمنعة ، اذ يسقط امامها متهافتا لا يلوي على شيء كما قلنا •

فأمرت اولمبياس من قبل المعبد ان تتمنع وان تخبر فيليب بأنها زوجة للاله امون •

ومن الطريف ان نذكر هذا الحديث الذي دار بين مجموعة من الكهنة ، بعد ان قرر فيليب ان يأخذ اولمبياس معه كملكة لمقدونيا ، فتحدث كاهن كان مشاركا في هذه الخدعة « ستكون مملكة الشمال كالبيضة التي تغذي « المعبد » ولكن ذاك الذي سيدعونه والده لن يكون والده ، لان مبدأ امون لا يمكن ان يحل في امير من الشمال ما دام هو نفسه ليس ابن آمون » (١) •

يظهر لنا ومن خلال ما يحدثنا به « اريسطندروس » ان احد كهنة المعبد هو الذي واقع اولمبياس (٢) حتى تلد الولد الالهي ، وربما كان اريسطندروس نفسه هو الذي واقعها !!

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٨ .

الذي يهمنا من الامر ان المعبد امر اولمبياس بألا تواقع فيليب خلال فترة الحمل وفعلا بدت اولمبياس فتاة شديدة المراس ، صعبة المران ، لا يمكن ترويضها ، اذ استعصت كلية عليه ، مدعية ان الاله آمون هو الذي واقعها ! ولم تكتف بذلك بل اتخذت لها افعى على اساس ان الاله امون قد تجسد فيها « وقد ابصر مرة زوجته عارية تماما فوق سريرها تعانق افعاها الحبيبة وتستخدمها للقيام بدور كان عليه هو زوجها ان يقوم عادة به » . (١)

وامام قلقه وحيرته واضطرابه من تصرفات زوجته الغريبة اضطر ان يسأل عرافه عن حل لمعضلته ، فما كان من « اريسطندروس » الا ان يزيد الجو ضبابا اسهاما منه في تمرير الخدعة فاخبر فيليب بأنه لا مانع من ان يكون الاب الارضي اذ جعل الاله زوس ميزة خاصة في المولود الجديد في وقوع اختياره عليه لابوته !

ولا نريد ان نخوض في تفصيلات لا طائل تحتها انما الذي يهمنا ان الاسكندر قد ولد على اساس انه ابن الاله « آمون » وقد علم بذلك من امه عندما اخبرته ان فيليب ليس بأبيه انما ابوه الذي في السماء !!

وعند ولادته وقعت واقعة لها علاقة شبه كبيرة بالوقائع التي حدثت في الديانات الاخرى ، اذ في ليلة مولده قدم سائح من منطقة « ايفيزا » يبدو عليه الوقار واخبر كهنة مقدونيا بمن فيهم « اريسطندروس » خبرا مرسلا لهم من سحرة ايفيزا واعاده عليهم كلمة كلمة « اضاء في تلك الليلة ، في احدى زوايا العالم ، مشعل سيضرم الشرق بأسره ... » . (٢)

ويترتب على هذا النص حقيقتان ، الاولى : ان الساحر لم يرسل من قبل سحرة ايفيزا وانما من قبل كهنة مصر زيادة في الاعجاز !

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٤١ .

اما الحقيقة الثانية فان لهذا النص علاقة شبه كبيرة بغيره من النصوص في الديانات الاخرى ، اذ سنلاحظ فيما بعد انه عندما ولد بوذا نزل كاهن من صومعته بعد ان لاحظ عرسا في السماء ليخبر عن مولد الطفل المعجزة وتحقق الامر نفسه لزرادشت وكذلك ليسوع المسيح اذ قدم المجوس الى اورشليم عندما علموا ان طفلا معجزة قد ولد !

وعندما ولد الاسكندر كانت له علامة مميزة اذ كانت احدى عينيه زرقاء صافية واليمنى سمراء قاتمة (١) ولا نعلم مدى صحة هذا الخبر انما الملفت للنظر ان له علاقة شبه ايضا بما جاء في الديانات الاخرى ، اذ تكلم بوذا وكرشنا وعيسى وهم في المهد ٠

واذا حاولنا ان نعود لمسألة ابوته الالهية فسنلاحظ ان امه اولمبياس عملت ما وسعها لتأكيد ابوته الالهية ، فكانت تأخذه الى المعبد متضرعة للاله « آمون » وعندما كان يسألها عن فعلها كانت تقول له « اناجي اباك واضرع له ان ينزل عليك بركاته » ٠

- اين هو ابي ؟

- انه هناك ، كما انه في كل مكان من العالم ، في الشمس والنجوم ٠٠ (٢)

الى هنا والخدعة كما لاحظنا قد سارت سيرا حسنا ، المهم بعد ان ولد الاسكندر ، بنيت شخصيته بالشكل الذي يحقق المصالح المرجوة منه ٠

واول عمل قام به « اريسطندروس » في هذا المجال هو تسليم الطفل الى « كليتوس » (٣) اذ كان ضابطا شابا وشقيق مرضعة الاسكندر « هلليلانكة » (٤) ، وعندما استفسرت اولمبياس منه عن

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٥١ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٨ .

سبب وضع الطفل في رعاية الضابط الاسود كليتـوس ، قال لها ان الولد لا يحتاج في مثل هذه السن الى معلم غزير المعارف وفيلسـوف عبقري ، انما يحتاج الى رجل ذي قلب سليم تعجبه منه القوة دون ان يخشاه ويأنس بتقليد حركاته ، وكان ـ اي اريسطندروس ـ ذكيا في اختياره هذا ، اذ يتمتع « كليتوس » في مشيته بحركات بديعة كان لها اكبر الاثر في تربية الروح العسكرية عند الاسكندر وهناك واقعة ربما تفيدنا في تكوين رأي عن اتجاه الاسكندر العسكري فتذكر لنا بعض النصوص انه « كان في ايام شبابه الاولى يعزف على القيثارة ويتأثر بأنغامها اشد التأثر ولما عنفه فيليب على هذا ، هجر الآلة ورفض من ذلك الوقت ان يستمع لغير النغمات العسكرية » ٠ (١)

وربما يذكرنا هذا النص بهتلر عندما شعر بأنـه انسان لـه وجود عندما كان في جبهة القتال ، اذ لا يستطيع ان يرى انسانيته الا في هذا الجانب الحيواني ! وبعد ذلك تولى تربيته « ليزيما خوس » وكان الرجل مطلعا على الالياذة والاوديسا ، فساهم في تعليم الاسكندر شيئا من الادب ، وكان من عادة « ليزيما خوس » ان يجد وجه شبه في كل امرىء يشاهده مع احد ابطال « هوميروس » « فكـان يؤكد ان الاسكندر تجسيد حي لاخيلوس قاهر طروادة » مما كان لهذا الامر اكبر الاثر في نفس الاسكندر واعتبار نفسه اخيلوس اخر ٠

وربما يذكرنا موقف « لزيماخوس » من الاسكندر بموقف يوحنا من يسوع المسيح حين اعتبر يسوع المسيح المنتظر ولا احد غيره ممـا كان سببا مهما في تضخيم شخصية يسوع ٠

وبعد انتهاء دور ليزيما خوس في تربية الطفل تولاه فيما بعـد « ليوتيداس » وكان رجلا زاهدا متقشفا علم الاسكندر كيف يكون رجلا ويقوى على مجابهة المصاعب ٠ (٢)

اما اهم شخصية ساهمت مساهمـة جديـة في بنـاء شخصية

---

(١) ول ديورنت ــ قصة الحضارة جـ ــ ٢ ، م ــ ٢ ص ٥١٩ / ٥٢٠ ٠
(٢) ول ديورنت ــ قصة الحضارة جـ ــ ٢ م ــ ٢ ص ٥١٦ وكذلك موريس دروون ــ المصدر السابق ص ٧٧ ــ ٧٨ ٠

الاسكندر فهو الفيلسوف « ارسطو » ، فتعلم عنه ـ اي الاسكندر ـ الكثير واخذ من اسلوبه في التفكير اسلوبا له في ممارسته الحياتية اذ « كانت حياة ارسطو العقلية ، بعد ان غادر تلميذه الملكي مماثلة لحياة الاسكندر العسكرية ذلك ان كلتا الحياتين تعبر عن نزعة الفتح والبناء ، والتركيب » . (١)

وربما كان لاختياره تربية الاسكندر اثر كبير لشخصية « اريسطندروس » اذ كان ـ اي اريسطندروس ـ على علم مسبق بكراهية « ارسطو » للفرس لذلك ساهم مساهمة جدية لوضع الاسكندر تحت رعاية ارسطو حتى يمكن ان يتحقق الامل الاكبر وهو طرد الفرس على يد الاسكندر من ارض مصر بعد ان عاثوا فسادا بمعابد الالهة كما مر بنا .

وفعلا تحقق ما اراد ، اذ كانت فارس حلم الاسكندر فيما بعد ، فكان على يقين بأن الفرس يقضون قضاء تاما على عبادة الاله « آمون » ما وسعهم الى ذلك سبيلا ، فشب على كراهية فارس التي لقنه اياها استاذه « ارسطو » (٢) وقبل ان نسترسل بعيدا في موضوعنا نقف عند مسألة غاية في الاهمية وستكون فيما بعد هي السبب في جنون العظمة الذي اصيب به الاسكندر في اخر ايام حياته.

فقد عرفنا ان الاسكندر قد فخمت شخصيته من قبل اساتذة اكفاء اضافة الى العوامل البيولوجية وقدرته على التفكير .

كل ذلك جعله يستفسر عن سر ولادته التي كثرت الشائعات عنها .

فقد شاع عنه علنا انه ابن سفاح فوضعه هذا الاتهام امام اكثر من مشكلة وطرح في ذهنه اكثر من سؤال « وراح يتذكر دروس ليوتيداس عندما كان هذا يعلمه ان عليه ان لا ينتظر امتلاك شيء

---

(١) ول ديورنت ــ المصدر السابق ص ٥١٦ .
(٢) موريس دروون ــ الاسكندر الاكبر ص ٩٢ .

لم يفتحه بجهده وكد يمينه · يجب ان يبين لنفسه انه الاقوى والافضل » · (١)

وطفق يسأل امه ، وراح ينظر اليها نظرات مريبة ، فهي قد اعلمته ان له ابا الهيا ، ولم تدعه على جهل بهذا الامر ولكن من هو ابوه الارضي ؟

يؤكد دورون من ان امه كانت تجد صعوبة بالغة في اشباع فضول ابنها « لان ما جرى في ساموتراقيا كان غير مفهوم لها في جزء كبير ، ولانها كانت قد اقسمت يمينا مغلظة للكهنة ان تحفظ سر الاسرار ، وكان الخوف يعقد لسانها عن البوح بكل ما تعرف ، ولان الاقرار بوظائفها التي مارستها قبل زواجها عسير على ام تخاطب ولدها » · (٢)

ولم يخرج الاسكندر من عندها بنتيجة غير الشك ، ولكنه اضطر للسكوت على مضض في ان يكون فيليب اباه وليس احد غيره ·

وخوفا من ان يؤدي الشك بالاسكندر الى الانحراف عن المبادىء التي هيء من اجلها ، استطاع الكاهن «اريسطندروس» بذكائه ولباقته ومقدرته الفائقة ان يقنع الاسكندر بأنه ابن الاله «آمون»، وان فيليب قد اختير من قبل الاله « آمون » ليكون ابا ارضيا له واختيرت مقدونيا لتكون الرحم الذي ينزل فيه الاسكندر ·

وبعد ان اطلعه على كل ذلك طلب منه ان لا يتأخر كثيرا « اذ ينبغي لخطاه ان تكون بعد اليوم كخطى الصاعقة ، وان تاج المحرر المنقذ في مصر ينتظره كابن لآمون منتظر » · (٣)

وفعلا دخل الاسكندر مصر فاتحا ومخلصا بعد ان حطم اسطورة الامبراطورية الفارسية · واشباعا لفضوله قرر ان يزور معبد آمون

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٣٥ .

لم يفتحه بجهده وكد يمينه · يجب ان يبين لنفسه انه الاقوى والافضل » · (١)

وطفق يسأل امه ، وراح ينظر اليها نظرات مريبة ، فهي قد اعلمته ان له ابا الهيا ، ولم تدعه على جهل بهذا الامر ولكن من هو ابوه الارضي ؟

يؤكد دورون من ان امه كانت تجد صعوبة بالغة في اشباع فضول ابنها « لان ما جرى في ساموتراقيا كان غير مفهوم لها في جزء كبير ، ولانها كانت قد اقسمت يمينا مغلظة للكهنة ان تحفظ سر الاسرار ، وكان الخوف يعقد لسانها عن البوح بكل ما تعرف ، ولان الاقرار بوظائفها التي مارستها قبل زواجها عسير على ام تخاطب ولدها » · (٢)

ولم يخرج الاسكندر من عندها بنتيجة غير الشك ، ولكنه اضطر للسكوت على مضض في ان يكون فيليب اباه وليس احد غيره ·

وخوفا من ان يؤدي الشك بالاسكندر الى الانحراف عن المبادىء التي هيء من اجلها ، استطاع الكاهن «اريسطندروس» بذكائه ولباقته ومقدرته الفائقة ان يقنع الاسكندر بأنه ابن الاله «آمون»، وان فيليب قد اختير من قبل الاله « آمون » ليكون ابا ارضيا له واختيرت مقدونيا لتكون الرحم الذي ينزل فيه الاسكندر ·

وبعد ان اطلعه على كل ذلك طلب منه ان لا يتأخر كثيرا « اذ ينبغي لخطاه ان تكون بعد اليوم كخطى الصاعقة ، وان تاج المحرر المنقذ في مصر ينتظره كابن لآمون منتظر » · (٣)

وفعلا دخل الاسكندر مصر فاتحا ومخلصا بعد ان حطم اسطورة الامبراطورية الفارسية · واشباعا لفضوله قرر ان يزور معبد آمون

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٣٥ .

في واحة سيوة ، واستقبل هناك استقبالا فخما من قبل كبير الكهنة الذي اخبره بأنه ابن الاله (آمون) وان أباه الذي في السماء يفخر بابنه الارضي ا

وقد دهش الاسكندر لملاقاته كاهنا في اقاصي الصحراء قادرا على التعبير بالاغريقية ، اذ اعلمه الكاهن بأنه سافر الى معابد مقدونيا وساموتراقيا وغيرها • (١)

وطلب الاسكندر من كبير الالهة ان يخبره فيما اذا كان ابوه آمون سيملكه امبراطورية العالم فاجابه وقد ارتفع صدره في زفرة عميقة : « بلا جدال يا بني سيجعلك آمون سيد امبراطوريته » • (٢)

وسأل الاسكندر كبير الكهنة عما اذا كان قتلة ابيه قد نالوا غقابهم ؟

فاجابه « ما من بشري يستطيع ان يقتل اباك • واذا كنت تريد الكلام عن فيليب الذي ورثت مملكته فان كل شيء جرى وفق المشيئة العليا » • (٣)

والملاحظ عن السؤال الذي طرحه الاسكندر فيه شيء من الذكاء فمن المعتقد ان فيليب الذي اغتيل من قبل عشيقه « بوزتياس » قد تم اغتياله بالاتفاق مع الاسكندر واولمبياس واريسطندروس فأخذ الناس يتهامسون عن مقتل فيليب الذي اشترك فيه الاسكندر • (٤)

وحقيقة الامر انه غير مقتنع ان فيليب ابوه وقد عرف الحقيقة كاملة في معبد (سيوة) عن ابيه الارضي والارجح ان اريسطندروس هو نفسه الاب الارضي للاسكندر • وتقديرا للجهود التي بذلها اريسطندروس فقد منح من قبل كهنة « ممفيس » صفة جديدة ، الذي قاد ابن آمون الجديد • (٥)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٤) جون جنتر ـــ الاسكندر الاكبر ص ٢٧ وكذلك المصدر السابق ص ٢٠٧ .
(٥) موريس دروون ـــ المصدر السابق ص ٢٠٠ .

المهم ان المنقذ المنتظر ابن آمون قد وصل ارض آمون ··· ارض مصر واصبح فرعونا والها مصريا وبذلك تكون مهمة «اريسطندروس» قد انتهت فالذي عليه ايصاله لمصر كما قلنا ليتزعمها وتكون سيدة للشرق من جديد · بيد انه هل كان بامكان معبد آمون الذي ساهم في صنع الاسكندر ابقاءه في مصر ؟

وهذا السؤال يذكرنا بقصة الدكتور « فرانكشتاين » الذي صنع وحشا ، ولكنه لم يستطع ان يخلق الخواطر التي تدخل الى رأس الوحش والتي يقرر ان يقوم بها واننا لا نستطيع ان نقول في هذه الحالة ان الدكتور « فرانكشتاين » قد انتحر اذا كان الوحش قد اغتال خالقه الدكتور « فرانكشتاين » (١) ان كهنة مصر لم يخطر في بالهم ان شخصية الاسكندر من القوة ، بحيث يصعب ابقاؤه في مصر كلما حاولوا الى ذلك سبيلا ، فنفسه المتوثبة الطامحة ، تقوده الى اختراق المصاعب والقيام بالمغامرات مهما كانت جسيمة ·

فباءت كل المحاولات لابقاء الاسكندر بالفشل ولم يجد نفعا كونه ابن الاله « امون » ، فمهمته في الحياة ـ كما يعتقدها هو ـ السيطرة على العالم وليس البقاء في مصر ·

في ختام حديثنا عن الاسكندر نلقي نظرة تقويمية عن شخصيته ونزعاته وطموحاته ولنرى من هو الاسكندر الذي احدث هذا الدوي في التاريخ الانساني ·

واول صفة برزت في شخصه على كل ما عداها هي (الطموح) ، فقد كان متوثبا تجري في عروقه دماء حارة حتى شكا مرة الى اصدقائه اذ كان يضرب الارض بقدميه صارخا : « سيفتح والدي اذن كل البلاد ولن يبقى ما اعمله » · (٢)

ان طموحه هذا قد وجه وجهة عسكرية ، لذا فقد بقي ناقص

---

(١) سدني هوك ـــ البطل في التاريخ ص ٧٤ .
(٢) موريس دروون ـــ الاسكندر الاكبر ص ٧٣ وكذلك ول ديورنت المصدر السابق ص ٥٢١ .

التعليم الى اخر ايام حياته « وليس في وسعنا ان نحكم اكان لو امتد به اجله يبلغ ما بلغه قيصر من صفاء الذهن او ما بلغه نابليــون من دقة الفهم ، ولكن مشاغل الملك ادركته وهو في العشرين من عمره ، واستغرقت شؤون الحرب والادارة كل وقته وجهده » ٠ (١)

فلا يمكننا ان ننكر انه كانمتحدثا لبقا ، ولكنه من ناحية اخرى كان يتورط في مئا تالاغلاط اذا تطرق الحديث الى شؤون السياســة والحــرب ٠ (٢)

وقد بقي عقله الى اخر ايام حياته عبــدا للاوهــام والخرافــات والاساطير ، اذ كان شديد الثقة بالعرافين والمنجمين ٠ (٣)

« وكان في مقدوره ان يقود الاف الرجا ل، ويهزم الملايين منهــم ويحكمهم ، ولكنه لم يستطع السيطرة علــى طبعه ولــم يتعلم قط الاعتراف بما ارتكب من خطأ او بما فيه من نقص » (٤) وكان مغرورا يهيم بالثناء على شخصه اعتزازا يطغي على حكمتــه ويفسدها ؛ « وقد عاش طول حياته في جو من الانفعال والمجد يكاد يذهب بعقله ، وكان يحب الحرب حبا استحوذ على عقله فلم يترك له ساعة ينعــم بها بالســلام » ٠ (٥)

وكان من شدة غروره بنفسه ان اعتبر نفسه « اخيلوس » اخر كما ذكرنا ذلك ، فكانت تنتابه نوبات قسوة نتيجة لهذه المتناقضات في دخيلته مثال ذلك انه لما استولى على غزة بعد ان حاصرها واقتحم اسوارها ، امر بحرق قدمــي « باتيس » قائدها العظيم وان توضع فيها حلتان من نحاس وان تشد الى العربة الملكية بالحبال ، وجرت به العربة بأقصى سرعتها حول المدينة (٦) ، كل ذلك لان اخيلوس فعل ذلك مع « هكتور » بطل الطرواديين ٠

---

(١) ول ديورنت ــ قصة الحضارة ــ جـ ــ ٢ ــ م ــ ٢ ص ٥١٩ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٥١٩ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٥١٩ ٠
(٤) المصدر السابق ٥١٩ ٠
(٥) المصدر السابق ص ٥١٩ ٠
(٦) المصدر السابق ص ٥٢١ ٠

وهناك قصة طريفة تبين لنا مدى اعجاب الاسكندر بنفسه ، اذ اقترح عليه احد اصدقائه ، حفر صورته على جبل « آثوس » في « تراقيا » تخليدا لذكراه • « وعلى ان تحفر الصورة في جسم الجبل برمته فتكون من الضخامة ، بحيث تكفي اليد اليسرى منها لايواء مدينة تضم عشرة الاف شخص وتكفي اليد اليمنى لجريان نهر حو مصبه في البحر وتأمل الاسكندر المشروع الهائل ثم رفضه بحجة انه اقل ضخامة مما ينبغي » • (١)

ومن صفاته الاخرى انه كان شديد الانفعال •• كثيرا ما يفقد اتزانه ورصانته وحكمته فدمر مدنا كاملة وقتل اطفال ونساء ابرياء •

وتذكرنا اعماله هذه بأي سفاك دماء في التاريخ كجينكز جان وهولاكو وهتلر •• غير اننا لا نعدم جوانبه الانسانية التي كثيرا ما كانت تضيع امام قسوته في تدمير كل شيء •

وحقيقة الامر ان المهمة التي جاء من اجلها الاسكندر ليست تحرير الشعوب انما املاء لغروره في تبوء مركز السيادة في العالم ، ولم يكن ادعاؤه بأنه ابن الاله « آمون » الا واجهة للوصول الى اغراضه اذ كان على علم مسبق بالعلاقة الجدلية بين الدين والسياسة •

وقد بلغ اعجابه بنفسه مبلغا ، اصبح معه يقتل كل من يشك بألوهيته ، وهذا ما يذكرنا بالامبراطور الروماني كاليغولا الذي بلغ شكه وكرهه للاخرين بحيث بات يتمنى ان يكون للناس رقبة واحدة حتى يستطيع ان يقطعها بضربة واحدة • فأدى به شكه الى قتل كثير من قواده واصدقائه ومن بينهم صديقه ومربيه الضابط « كليتوس » بحجة انهم يتآمرون عليه ويذكرنا موقفه هذا بنيرون الطاغية الروماني الذي قتل امه بحجة انها تتآمر لقتله !

ومن الممكن القول ان الاسكندر قد اصيب بجنون العظمة نتيجة اعتقاده الراسخ انه ابن الاله حتى اصبح يدافع عن لقبه بشكل غريب حقا وهذا ما يذكرنا بالفيلسوف الفرنسي « جان جاك روسو » الذي

---

(١) جون جنتر — الاسكندر الاكبر ص ١٢٥ .

اصيب هو الاخر بجنون العظمة في اخر ايام حياته حتى اصبح يعتقد ان فرنسا والمانيا وانكلترا يدبرون مؤامرة لاغتياله !!

اضافة الى ما ذكرنا فقد كان في الاسكندر كثير من صفات اللوطيين حيث كان على علاقة بصديقه « هيفستيون » اذ كان « يحبه حبا بلغ من شدته انه حين دخلت زوجة دارا خيمة الملك الفاتح وانحنت اولا لهيفستيون احتراما له لظنها انه هو الاسكندر قال لها الملك الشاب في رقة : ان هفستيون هو ايضا اسكندر » (١) وكان يريد ان يقول انه هو وهفستيون رجل واحد !!

والملاحظ انهما كثيرا ما كانا يشتركان في خيمة واحدة ويقاتلان في الحرب جنبا الى جنب (٢) وقد احس الاسكندر بعد موت هفستيون « ان نصفه قد انتزع منه ، فاحزنه ذلك وفت في عضده ، وبقي ساعات ملقى على جثة صديقه يبكي وينتحب واقتلع شعره من فرط الحزن ، وابى ان يتناول شيئا من الطعام عدة ايام متوالية » ٠ (٣) « كما امر بأن يعبد الناس هيفستون باعتباره بطلا وفقا لنبوءة الاله زيوس ــ امون » ٠ (٤)

ولم يكتف بذلك بل افنى قرية عن اخرها احتراما لروح صديقه وعشيقه ٠ و لايسعنا في هذا المجال ان نتحدث عن الاسكندر اكثر من ذلك ٠٠٠ انما ننهي بحثنا بعبارة جميلة للاستاذ ديورنت يقول فيها : « ولقد كان من الخير للاسكندر ان يموت وهو في عنفوان مجده ، ولو انه طال به العمر لتكشف له انه كان مخدوعا في كثير من الامور » !! (٥)

من هو المنقذ المنتظر بعد الاسكندر :

بعد موت الاسكندر قسمت الامبراطورية بين قواده ، فاصبحت

---

(١) ول ديورنت ــ قصة الحضارة ج ــ ٢ ، م ــ ٢ ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٥٣٧ ــ ٥٣٨ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٥٣٧ ــ ٥٣٨ ٠
(٤) جون هنتر ــ الاسكندر الاكبر ص ١٢٥ ٠
(٥) ول ديونت ــ المصدر السابق ص ٥٣٩ ٠

مصر للقائد بطليموس ٠ وظاهر الحال يؤكد ان بطليموس قد شعر بتأثير الالوهية على الشعب المصري حيث لعب الدين فيه دورا خطيرا شوه كل معالم توثبه ٠

وقد حاول « بطليموس » ان يتقرب من الشعب المصري ولم يجد فكرة اكثر اقتناعا عند الشعب من فكرة المنقذ المنتظر ، لذلك بادر الى تلقيب نفسه بالاله المنقذ (سوتر) (١) ٠

لكنه لم يستطع ان يكون منقذا فقد ادرك الشعب المصري على نحو ما ان اليونان جاؤوا هذه المرة فاتحين وليس محررين اضافة الى ان الواقع العملي يكذب ادعاءه بكونه منقذا ، اذ ان مصالحه وحاشيته تتعارض مع مصالح الشعب المصري ٠ فاذا امكن تمرير الخدعة على الشعب المصري باعتبار الاسكندر ابن الاله (آمون) فمن يكون بطليموس ؟

ومهما يكن الامر فقد تميز الحكم البطلمي الذي دام ما يقرب من ثلاثة قرون (من سنة ٣٢٣ ق٠م الى مجيء الرومان سنة ٣٠ ق٠م) ينهب خيرات البلاد واستثمار اقتصادياتها الصالحة ، ليس هذا فقط بل عمد البطالمة الى ابعاد المصريين عن مراكز الدولة المهمة وعدم اشراكهم في الجيش وتمييزهم عن الاغريق باعتبارهم ادنى منهم درجة ، واجبارهم على العمل دون مقابل ٠ (٢)

امام هذا الوضع يتبادر الى اذهاننا سؤال ، فالملاحظ ان احد المنطلقات لظهور المنقذ هو وجود ظلم وحيف كبيرين فهل ظهر منقذ منتظر في مصر في تلك الفترة ؟!

وحقيقة الامر ان المصريين قد ضاقوا ذرعا بالنظام الاقتصادي والمالي الجديد منذ عهد فيلادلفوس ، فان وثائق زينون تحدثنا عن وقوع اضطرابات بين المزارعين كانت تنتهي باضرابهم عن العمل وفرارهم الى المعابد للاحتماء بالالهة » ٠ (٣)

---

(١) ابراهيم نصحي — تاريخ مصر في عهد البطالمة جـ — ١ ص ٧٧ .
(٢) المصدر السابق جـ — ٤ ص ١٦٦ .
(٣) المصدر السابق جـ — ٤ ص ١٦٥ .

وهذا اضعف الايمان ، وربما يذكرنا موقف قدماء المصريين من البطالمة بموقف الشيعة الاثنى عشرية من السلطة العباسية فكلما ضايقتهم السلطة التجأوا الى السرداب الذي غاب فيه الامام الثاني عشر - حسب اعتقادهم - متضرعين لخروجه ٠ لكننا لا نعدم عن قيام ثورة بين صفوف الشعب المصري كان من الاسباب المهمة لها كثرة فتوحات بطليموس الثالث التي ادت « الى ازدياد ضغط الحكومة على الاهالي ومطالبة مزارعي الملك بايجارات باهظة » ٠ (١)

اضافة الى المجاعة ، التي يذكر قرار « كانوب » انها ترتبت على نقص الفيضان عن منسوبه ٠ (٢)

وبعد الفشل الذريع الذي لاقته الثورة والتنكيل بأبطالها ، قامت نبوءة تعرف بنبوءة صانع الفخار - (Potter's Prophecy) ، وتكشف هذه النبوءة عن كره عميق للاجنبي ، وتتنبأ بقيام زعيم وطني يحرر البلاد من مغتصبيها ويعيد العاصمة الى منف ويتولى حكم مواطنيه ٠ (٣)

وقامت بعد ذلك ثورة اخرى كان من الاسباب المهمة لقيامها ، عودة الجنود المصريين من موقعة رفح تلك الموقعة التي اضطر فيها الملك بطليموس الرابع « فيلوباتور » « الى ادماج المصريين لاول مرة في صلب الجيش العامل ، بعد ان كانوا لا يؤلفون حتى ذلك الوقت الا الفرق الاضافية في الجيوش البطلمية » ٠ (٤)

وربما يذكرنا موقف الجيش المصري القديم بموقف الجيش الفرنسي الذي اشترك في حرب التحرير الامريكية ، عندما رجع الى بلاده محملا بافكار ثورية جديدة كانت من الاسباب المهمة في قيام الثورة الفرنسية ٠

---

(١) ابراهيم نصحي - تاريخ مصر في عهد البطالمة جـ - ٤ ص ١٦٧ ٠
(٢) المصدر السابق جـ - ٤ ص ١٦٧ ٠
(٣) المصدر السابق جـ - ٤ ص ١٦٨ ٠
(٤) المصدر السابق جـ - ٤ ص ١٦٩ ٠

ولكن هذه الثورة اجهضت ايضا من قبل السلطات البطلمية ، ولم تكن هي الاخيرة انما قامت ثورات اخرى كان نصيبها الفشل ولا نريد ان نخوض في عوامل فشل هذه الثورات انما الذي يهمنا ملاحظته ان فكرة المنقذ اخذت تنحو منحى واقعيا أمام الواقع الاجتماعي الفاسد، فبدلا من لجوء قدماء المصريين الى البحث عن منقذ خارج حدود الطبيعة نجدهم بحثوا عن هذا المنقذ داخل مجتمعهم ٠

لكن هذه النتيجة لم تكن حتمية في كل الاحيان فكثيرا ما كان يأسهم عاملا لرجوعهم في البحث عن المنقذ فيما وراء الطبيعة ٠

واستمر اليأس يطحن الرؤوس حتى القرن الاول الميلادي ، عندما اعتنق الشعب المصري الديانة المسيحية « واستطاعت المسيحية ان تتغلغل في روح المصري بقدر ما كان مستعدا لقبولها ، بما ورثه من ممهدات لذلك في ديانته المصرية القديمة » ٠ «(١)

وربما كان من الاسباب المهمة لاعتناق المصريين للديانة المسيحية هو وجود المنقذ المنتظر (المسيح) وعودته الى الارض ثانية في تلك الديانـــة ٠

اذ لم تكن فكرة المنقذ التي تنادي بها المسيحية غريبة عن اذهانهم وعواطفهم بحيث كان لادعاء المسيح بأنــه ابن الاله مــن العوامل التي ساهمت في دخول المصريين الى هذا الدين الجديد ٠

والسبب في ذلك انهم تعرضوا لمسألة من هذا القبيل في تاريخهم٠

لكن اعتناق المصريين للمسيحية لم يحل المشكلة ، اذ اضطهد الشعب المصري من قبل السلطات الرومانية الوثنية اضطهادا شديدا، وعندما اصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية لم ينته الاضطهاد بل ازداد عن السابق بسبب الخلاف بين الكنيسة المصرية من جهــة

---

(١) مراد كامل ــ حضارة مصر في العصر القبطي ص ٢٨ ٠

والكنيسة الرومانية والقسطنطينية من جهة اخرى ٠ (١) وخلاصة الموضوع ان المسيح المنتظر لم ينزل لانقاذ المصريين من بؤسهم بل ازداد بؤسهم وهم في الانتظار ٠

وربما كان وضعهم هذا من الاسباب المهمة لاعتناقهم دينا جديدا هو الاسلام وتبديل لغتهم الى العربية ، اذ اعتبر الاسلام منقذا ومخلصا لهم ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠ ــ ٣١ ٠

الفصل الثاني

المنقذ في الديانة الهندية

لا نستطيع ان نعطي فكرة واضحة المعالم عن الاصول الاولى للديانة الهندية قبل وصول الموجة الهندية - الارية (التي سميت سابقا بالآريه) • فمعلوماتنا تستند حاليا على ما صرنا نعرفه عن اقدم حضارة في وادي السند ، ولما كانت كتابات هؤلاء لم تحل رموزها فمن الصعب اذن التحدث او حتى عرض اية فرضية في هذا الحقل عنهم •

ولا نستطيع الجزم برأي فيما اذا كانت « موهنجو - دارو » تمثل اقدم ما للانسان من مدنيات • (١)

فالبحوث الاثرية التي قامت في الهند قدمت لنا نتائج عظيمة ولكنها لم تكن كافية ما دام الاعتقاد قائما بأنه هناك مدنيات في الهند لم تكشف عنها الحفريات الاثرية لحد الان •

ويقول الاستاذ ول ديورنت «تنهض الدلائل على ان موهنجو دارو كانت على ذروتها حين شيد خوفو الهرم الاكبر • وعلى انها كانت

(١) قصة الحضارة جـ ـ ٣ ٢ـ١ الهند وجيرانها ـ ول ديورنت ص ١٨ .

تتصل مع سومر وبابل بصلات تجارية ودينية وثيقة · وانها ظلت قائمة اكثر من ثلاثة الف عام » · (١)

ونتيجة لهذه الصلات الحضارية بين الهند وسومر وبابل من جهة اخرى يقوم السؤال اي من المدنيات تأثرت بالاخرى ؟

ويعتقد ماكدونل ان هذه المدنية العجيبة ـ اي مدنية الهند ـ قد استمدت اصولها من سومر (٢) ويذهب الاستاذ صول الى رأي معاكس فيعتقد ان السومريين قد نقلوا مدنيتهم وثقافتهم من الهند · (٣)

وتؤكد هذه الصلات وجود اختام متشابهة في موهنجو دارو وفي سومر وخرزات خزفية وغير ذلك · (٤)

وان هذه العلاقة بين سومر وبابل من جهة وبين الهند من جهة اخرى تقودنا الى التفكير في اصل اسطورة نوح كما وردت في الكتاب المقدس اذ نجد مثيلا لها في بلاد الهند ، فتحكي اساطيرهم ان « مانو » كان يستحم في بركة او شاطيء نهر فاذا بسمكة تطلب منه السماح ليتركها تعيش وفعلا اخذها ووضعها في بركة ماء ولما كبرت لم تسعها هذه البركة فوضعها في البحر وبعد مدة رجعت اليه واخبرته ان طوفانا عارما سيجيء ويغرق البشرية كلها وبعد ان تكهنت له بذلك ، طلبت منه ان يركب سفينته (٥) وان يضع زوجا من كل اثنين في الارض ، وكذلك بذور الاشجار لانقاذ كل ذلك من الطوفان ، وقد اصاب الطوفان الارض كما تقول الاسطورة الهندية واظلمت الدنيا كلها ولم ينج الا « مانو » ومن كان معه ، وبذلك يكون « مانو » كما كان نوح في العراق ـ اول منقذ للبشرية من طوفان عارم احل بها كما تقول الاسطورتان ·

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧ .
(٥) محاضرات في التاريخ القديم على طلبة الصف الثاني ـ قسم التاريخ كلية الاداب جامعة بغداد ـ د. سامي سعيد الاحمد ص ٦٨ .

ولا نستطيع الجزم فيما اذا كانت القيم والطقوس الدينية الموجودة في الهند اصلها عراقي ام العكس - فلا بد ان يكون احد الفكرين العراقي او الهندي قد تأثر بالاخر وربما تطلع علينا المكتشفات الاثرية باراء اخرى تنسف اراءنا هذه ٠

ولا يهمنا شيء من الديانات الهندية قدر ما يهمنا فكرة المنقذ في هذه الديانات ، لذا سنحاول ان نقصر بحثنا على الديانات الثلاث الرئيسية وهي الهندوسية والبوذية والجينية ٠

المنقذ في الديانة الهندوسية :

تعتبر الديانة الهندوسية من اقدم الديانات في الهند ويبلغ عدد اتباعها معظم سكان الهند حيث تتمتع بشعبية كبيرة وذلك لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا ٠ وقبل بيان فكرة المنقذ في هذه الديانة ، نود ان نذكر اصل هذه الفكرة ومدى تأرها بالافكار التي تماثلها والتي وردت في الديانات الاخرى ٠

تعتبر مسألة خلود الانسان وانتقاله الى واقع افضل من واقعه الموجود فيه من الاسباب المهمة لقيام هذه الفكرة ٠ اذ لعبت فكرة خلود الانسان وانتقاله الى جنات نعيم يعيش فيها تحت ظلال الحب والعطاء ، ويجني كل ما تطيب له نفسه دورا مهما في الديانة الهندوسية حيث تأثر الآريون بالديانات الموجودة في الشرق عبر مرورهم في بلاد الهند اذا جاز هذا الافتراض ، معتمدين على الظروف البيئية والتقدم الحضاري الموجود في الشرق القديم انذاك ٠ كما يجب ان نعرف ان الموجة الارية التي نزحت من اوربا كانت موجة رعوية غير مستقرة انطاقت من واقع متخلف باحثة عن الكلأ والطعام ، عكست الظروف الحضارية في مصر حيث كان الانسان العراقي والمصري القديم مستقرا ، وان هذا الاستقرار ادى به الى التفكير في تطويره وادامته نحو الاحسن ٠

لذا نرى ان الديانة الهندوسية الاولى كانت تؤمن بوجود جنة في عالم اخر ونار تحت طبقات الارض ، وقد برزت هذه الفكرة في عصر الفيدا ، فكانت الارواح الطيبة تتمتع بالسعادة ، اما الارواح

الشريرة فتعاني انواع العذاب (١) وتوجد في الجنة التي صاغتها الديانة الهندوسية انواع النعيم والمأكولات والمشروبات والحب والغناء والموسيقى وشجرة الخلد تلك التي تشبه التين (٢) اما النار فيدخلها الفاسقون والمجرمون وهي في الطبقة السفلى الثالثة حيث يعذب العصاة في اعماق جهنم ٠ (٣)

وكان من نتيجة ذلك ان استقرت تلك العلاقة الجدلية بين الالهة والانسان ٠ (٤) فما على الانسان الا ان يقدم هباته وقرابينه للالهة لكي تحميه وتمده بالمطر واليسر والصحة اولا ثم تنقله الى عالم مزدهر ثانيا اما الانسان الذي يمتنع عن تقديم الطقوس والقرابين والهدايا فيكون مصيره النار ، ولكن هذه النظرة الى فكرة الالهة طرأ عليها تبدل هام في القرن السابع ق٠م بدل مفهوم الفكرة واعطاها بعدا جديدا يختلف اختلافا كليا عن مفهومها السابق، وينسب الدكتور الندوي (٥) هذا التبدل الى اجبار طبقة الكهنة بقية الاجناس على الاعتراف بها ارقى الطبقات واعظمها شأنا بعد ان كانت في السابق تمارس اعمال الطقوس والمراسيم دون الاعتراف لها بأي تفوق على بقية الاجناس ، وفي الحقيقة ان هذا الرأي الذي اورده الدكتور الندوي لا يستند الى اي دليل وعند مراجعتنا للمصادر التي تكلمت عن الديانة الهندوسية لم نجد فيها ما يشير الى ما ذهب اليه الندوي ٠

ونتيجة لعدم وجود دليل يؤكد لنا هذا التبدل ليس امامنا الا أن نفترض بأن هذا التبدل قد حصل بسبب تعقد العقلية الدينية الهندية ، نتيجة التعقد الحضاري الذي حصل في الهند ابان تلك الفترة ، ومن الممكن ان يكون افتراضنا معقولا اذا ادركنا ان الفلسفة والدين في الهند يسيران جنبا الى جنب وان العقلية الهندية هي من اكبر العقليات القديمة التي استطاعت ان تغور في اعماق الانسان

---

(١) الهند القديمة — حضارتها ودياناتها — د. محمد اسماعيل الندوي ص ٩٧ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٩٧ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٩٧ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٩٨ ٠
(٥) المصدر السابق ص ٩٨ ، ٩٩ ٠

والكون باحثة منقبة عن وجود كل منهما ! ويؤكد افتراضنا هذا قول الفيلسوف الالماني شوبنهور « انك لن تجد في الدنيا كلها دراسة تفيدك وتعلو بك اكثر مما تفيدك وتعلو بك اسفاريو بانشاد » (١) ويذهب الاستاذ ول ديورنت الى القول « كانت اسفار اليو بانشاد اقدم اثر فلسفي ونفسي موجود لدى البشر ، ففيها مجهود بذله الانسان دقيق ودؤوب يدهشك بدقته وما اقتضاه من داب ، محاولا ان يفهم العقل ، وان يفهم العالم وما بينهما من علاقة » ٠ (٢)

ونتيجة لهذا التبدل الذي حصل قامت نظريات تدعي ان جميع الاجناس مخلوقة من جسم الاله براهما بعكس طبقة الشودرا ـ او المنبوذين تلك الطبقة التي خرجت من رجليه لذلك اتسمت بالدناءة والحقارة والمذلة ، وقد سن الكهنة ـ نتيجة هذه النظرية ـ قوانين ثابتة لهذه الطبقات عبر كتاب « قوانين مانو » بحيث اصبح من المستحيل الخروج عن هذه القوانين والتنصل منها ، وقيدت تلك القوانين طبقات المجتمع بقواعد صارمة ، وتبعا لهذا الانقلاب الذي سنه رجال الدين كان لا بد ان تتبدل كثير من القيم الدينية ومن بينها فكرة المنقذ موضوعة البحث ٠

ولا يفوتنا ان نذكر ان تقسيم المجتمع الى طبقات كان نتيجة حضارية لمجتمع طبقي ينقسم فيه الناس الى اسياد وعبيد اولا ثم نتيجة لعدم اختلاط طبقة الكهنة (الارية ـ الهندية) مع اهل البلاد الاصليين ٠

ومنذ الان اصبح المنقذ يتمثل في فكرتين اولهما الانطلاق والاندماج في الروح الاعظم براهما وثانيهما التجسد والعودة ٠

ونحاول ان نشرح كلا المفهومين في الديانة الهندوسية ٠

اولا : الانطلاق والاندماج في الروح الاعظم :

من اولى الافكار التي شغلت ولا زالت تشغل بال الهندي هو ما يسمونه « فكشا » ومعناها الخلاص (٣) ٠ والتي لعبت دورا

(١) قصة الحضارة جـ ٣ م ـ١ ول ديورنت ص ٤٣ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٣ ٠
(٣) قصة الحضارة جـ ٣ مـ ١ ول ديورنت ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

اساسيا في الفكر الديني الهندوسي بعد ان تبدلت من شكلها القديم الذي شرحناه سلفا عبر تأثرها بالديانات المنتشرة في الشرق الاوسط الى شكل اخر يختلف اختلافا كليا عن الشكل السابق لكي تتلاءم مع الحالات المستحدثة والتطورات التي حدثت في النظام الاجتماعي ٠

وعبر هذا الانتقال اصبحت الفكرة تتمثل في ثلاث طرق يتم في نهايتها الانقاذ والخلاص ٠

واولى هذه الطرق هي « الكارما » ـ - Karma - ـ التي تعني التأكيد على العمل والقيام به خير قيام ، وتقوم هذه الفكرة على ان كل عمل يأتيه الانسان له نتيجة حتما ٠ « وان كل شيء يختبره الانسان في كل طور من اطوار الوجود المتكررة تقرر الاعمال التي يأتيها في الوجود السابق » ٠ (١)

ويمكن تقريب الموضوع من خلال دراستنا لفلسفة اليوغا التي تذكر « بأن حياتنا تكون سارة او غير سارة تبعا لما وضعنا لها من اسباب ، بما قدمناه من اعمال وهذا يشبه ما يقال عن شخص عندما نقول « عن عمله : الجزاء من جنس العمل » (٢) وقد جاء في « منو سمرتي » الكتاب الهندوسي المقدس « ان طبقات الناس من رفيع ومتوسط ووضيع ان هي الا نتائج الاعمال » ٠ (٣)

وتظهر لنا هذه النقطة جيدا ان الطريق الجديد والذي يتمثل « بالكارما » كان نتيجة هذا التمايز الطبقي الذي شنته طبقة الكهنوت على بقية طبقات المجتمع ٠ وقد قسم كتاب « منو سمرتي » الاعمال الى ثلاثة اقسام ، الاول ينبعث من القلب والثاني من العقل والثالث من الجسم ٠ (٤)

وان الانسان لا يحاسب عن اعماله في هذه الحياة ، انما في

---

(١) اديان العالم الكبرى ـ ملخصة عن الانكليزية حبيب سعيد ص ٣٠ .
(٢) مقارنة الاديان ـ اديان الهند الكبرى ـ احمد شلبي ص ٦١ ، ٦٢ .
(٣) منو سمرتي ـ كتاب الهندوس المقدس ترجمة احسان حتي ص ٦٧٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٦٧٩ .

حياة ثانية « ويغدو المرء جزاء اعماله السيئة ، التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية جمادا والتي ارتكبها بلسانه طيرا او حيوانا وينحط الى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله » ٠ (١)

والملاحظ ان الجزاء العقلي قد وضعه رجال الدين الهندوسي بدقة فائقة حتى لا يفكر المنبوذون في الثورة والنيل من طبقة الكهنة والحقد عليهم ، بل يعتقدون انهم ولدوا من طبقة المنبوذين جزاء اعمالهم العقلية والذهنية الفاسدة في الحياة السابقة ٠ (٢)

ويحاولون التكفير عن خطاياهم بالتسابق في تقديم الخدمة لطبقة الكهنوت وطاعتهم حتى يصبحوا في حياتهم المقبلة مثلهم ٠

وامتدادا لفكرة الجزاء الذي لا يتناسب مع العمل ، وكون الجزاء يكون في حياة ثانية ، اضطر رجال الدين الهندوسي الى ابتكار نظرية تناسخ الارواح وتعتبر الطريق الثانية من طرق النجاة والخلاص وقد اعتبرت تلك النظرية الحياة عبارة عن مسيرة طويلة منذ فجر التاريخ ، يقطعها الانسان على قدميه ، وتعتبر هذه النظرية ان موت الجسد لا يعني انتهاء المسيرة فكلما مات جسد انسان ولد له اخر ٠ (٣) وان التعاسة والشقاء التي يعانيها الفرد في حياته الراهنة ما هي الا نتيجة لاعماله في حياته السابقة ٠ (٤)

« والحياة التي تعقب الحياة الاولى تكون طيبة او خبيثة بحسب حسن الحياة الاولى او خبثها ، فالروح تتقمص اما برهميا او قديسا او الها او جندالا او بقرة او خنزيرا أو حية » ٠ (٥)

وان الانسان لا يجني الثمار في الحياة المقبلة الا نتيجة للبذور

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ ٥
(٢) الهند القديمة ــ محمد اسماعيل الندوي ص ١٠٦ .
(٣) في بلاد البقرة المقدسة ــ احمد عبد المنصف محمود ص ٧٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٥ وكذلك الهند القديمة محمد اسماعيل الندوي ص ١٠٤ .
(٥) حضارات الهند ــ غوستاف لوبون ص ٣٣٦ .

التي بذرها في الحياة الراهنة · (١) ولكن الى متى يبقى هذا التحول والانتقال والى متى يبقى الانسان محملا باعباء حياة سابقة لا يتذكرها ولا يعرف عنها اي شيء ؟

فلا بد من خاتمة لهذا الانتقال وهذا التحول ، وفعلا فكر رجال الدين الهندوسي بوضع حد لهذه الحركة اللانهائية عندما جعلوا الفلاح والخلاص يتحقق في الاندماج بالروح الاعظم ·

وكان ذلك نتيجة تأثر الهندوسية بآداب وفلسفة الديانة البوذية فالانطلاق والاندماج في الروح الاعظم هو اسمى ما يحصل عليه الهندوسي وهذه الفكرة اي الانطلاق والاندماج هي محاولة النفس الافلات من دورات تجوالها ونتائج اعمالها » · (٢)

واهم ما يتميز به الانطلاق هو تخليص الكائن من دورات الوجود المتتالية ولن يكسب هذا التخلص من دورات الوجود بالاعمال ، لان الاعمال الصالحة تنتج ثمارها عن طريق الميلاد المتكرر فلكي تكون حياتك المقبلة جيدة اعمل صالحا في حياتك الراهنة كما قلنا سابقا ·

وهناك طرق ثلاث يستطيع الانسان من خلالها ان يندمج ببراهما (٣) اولها طريق المعرفة وذلك عن طريق التأمل في الروح الالهية ، والثاني طريق العمل ولا يعني العمل الخير انما اداء الطقوس الدينية على احسن وجه ، اما الطريق الثالثة فهو الايمان المطلق باله بذاته ·

وتؤكد فلسفة الاوبنشاد بأن السعادة الابدية لا تنال باللذائذ لجسدية ولا بالثروة ومتاع الدنيا ·· بل السبيل الوحيد الى السعادة الابدية ينفتح بالتحرر من (كرما ـ نتيجة العمل) والبصيرة ، هي التي تحررنا من كرما وتمكننا من الاتحاد بالذات العليا » · (٤)

---

(١) الهند القديمة ــ الدكتور محمد اسماعيل الندوي ص ١٠٥ .
(٢) اديان العالم الكبرى لخصه عن الانكليزية حبيب سعيد ص ٣٢ .
(٣) في بلاد البقرة المقدسة ــ احمد عبد المنصف محمود ص ٨٥ .
(٤) ويدانت ــ فلسفة الهند الاخلاقية والدينية ــ شري راج غو بال ، مجلة ثقافة الهند العدد الثاني السنة ١٩٥١ المجلد الثاني ص ٣٨ .

ويقول البهدا رفيك « من لم يرغب في شيء ، ولن يرغب وتحرر من رق الاهواء واطمأنت نفسه الى نفسه ، فلا يعاد الى حواسه ويتحد بالبرهما فيصير اياه » (١) ويظهر لنا من ذلك ان الانطلاق والاندماج هما تخصيص الذات الانسانية للتأمل والتواجد من اجل الاتحاد بالروح الاعظم وبذلك يكون الفرد في هذه الحالة بعيدا عن الشهوات واللذات ، والدنيا وقبحها ٠

ويجب عليه لكي يتحقق له الاندماج ان لا يفكر في الموت او الحياة ، بل يتوقف وينتظر بلوغ الهدف الذي كرس حياته من اجله ٠ (٢)

وهكذا يتضح لنا ان ارقى اشكال الخلاص بعد ان يجتاز المرء مرحلة الكارما والتناسخ ـ هو الانطلاق والندماج في الروح الاعظم براهما ، فيتمثل الانقاذ في التلاشي عندما يذوب الانسان ويصبح جزءا من براهما ٠

ثانيا ـ التجسد والعودة :

تعتبر فكرة تجسد المنقذ وعودته لانقاذ البشرية من الظلم والبؤس اللذين يحيطان بها في فترات متباعدة ، هي الفكرة الناضجة والمتبلورة التي استند عليها الفكر الديني الهندوسي وبقية الاديان الاخرى التي استندت عليه عندما تأثرت بهذه الفكرة ٠

والحقيقة ان هذا الشكل الجديد للخلاص في الفكر الديني الهندوسي كان نتيجة طبيعية لاسباب كثيرة منها ٠

١ ـ عدم مقدرة فكرة الانطلاق والاندماج على اقناع الجموع الشعبية بالخلاص الحقيقي ٠ ٢ ـ ان فكرة الانطلاق والاندماج لم تزل التباين الطبقي بل اكدته واعتبرته نتيجة للاعمال التي يرتكبها

(١) فلسفة الهند القديمة ــ محمد عبد السلام مجلة ثقافة الهند المجلد الرابع العدد الاول ص ٣٠ .
(٢) الهند القديمة ــ الدكتور محمد اسماعيل الندوي ص ١٠٩ .

الانسان ٠ ٣ ـ تعتبر فكرة التجسد والعودة استجابة لهـذا التحدي الصارخ من قبل طبقة الكهنوت ٠ ٤ ـ الظلم والبـؤس والخوف مـن المستقبل ٠ ٥ ـ انتشار بعض الافكار بين الطبقات الواطئة تدعـي ان الله صديق وحبيب للانسان ولا يمكن ان يكون عدوا له ٠

واذا حاولنا ان نجد تعريفا لهذا المصطلح فنستطيع ان نقول ان فكرة التجسد والتقمص تعني تجسدا الاله في جسد انسان ، اذ يتجلى فيـه لهـدايــة البشـر وتسمـى بالسنسكريتية واللغـات الهنـدية « اوتــار » ٠ (١)

ويقول الهنود تعليلا لنظريتهم « ان هذا العالم ليس مخلدا ٠٠٠ فسيجيء يوم ينهار فيه كله بسبب النار والفيضان ٠٠٠ وعندئذ سيتدخل الاله فشنوا ويحول دون احتراق العالم وغرقه ٠٠ وبدلا مـن ان ينتهي العالم الى الفناء فانه سينتقل الى عصره الذهبي » ٠ (٢)

والاله فشنو واحد من الثالوث الهندوسي ، اي احد الالهة الذين يسيطرون على العالم وهم براهما الخالـق وفشنـو الحافظ وشيفا المدمـر ٠

وقد انتشرت هذه العقيدة بين الطبقات المظلومة انتشارا عظيما ، وغطت جميع العقائد وكتـب لهـا النصـر والخلـود والاستمرار حتى اضطرت الكهنوتية الارية الى الاعتراف بها والتجاوب معها حيـث احتل الاله فشنو مكان الصدارة في الديانة الهندوسية ولا تزال هذه العقيدة سارية المفعول ٠

ويعتقد الهنود ان الاله فشنو يعمل على انقاذ البشرية من هلاك محقق ينزل الى الارض من وقت لاخر ، « ويقولون ان مرات نزوله الى الارض بلغ عشر مرات نزل منها حتى الان في تسع صور وتبقى المـرة العاشرة التي ينتظر ان يظهر بها » (٤) والمرة العاشرة هي المـرة

---

(١) الهند القديمة ـــ محمد اسماعيل الندوي ص ١١٠ .
(٢) قصة العقائد بين السماء والارض ـــ سليمان مظهر ص ٢٨ .
(٣) الهند القديمة ، محمد اسماعيل الندوي ص ١١٢ .
(٤) في بلاد البقرة المقدسة ـــ احمد عبد المنصف محمود ص ٨١ .

الاخيرة في نهاية هذا العالم ويقول الهنود « يأتي فشنو في نهاية هذا العصر المظلم على شكل رجل يمتطي حصانا ابيض وفي يده سيف يلمع ليحاكم الخطاة ويكافىء المحسنين ويعيد الى الذهب قيمته التي ضاعت » · (١) والاله فشنو له مظاهر متجسدة كثيرة واعظم ما تجسد فيه هو « كرشنا » و « راما » ·

« وهو في صورته الكرشنية هذه قد ولد في سجن واتى بكثير من اعاجيب البطولة والغرام ، وشفي الصم والعمى وعاون المصابين بداء البرص وذاد عن الفقراء وبعث الموتى من قبورهم » · (٢)

وقد صورت لنا ملحمة المها بهارتا تقمص الاله فشنو لشخصية « كرشنا » كما صورت لنا ملحمة الرامايانا تقمص الاله لشخصية « راما » بطل الملحمة لهداية البشرية · والجدير بالملاحظة ان الهنود يصورون كرشنا في صورة طفل رضيع مما يوجد شبها بين شخصيته وشخصية المسيح ·

ويعتقد الهندوس ان حلول الاله في كرشنا هو حلول اللاهوت في الناسوت كما يعبر المسيحيون عن المسيح ويصفونه بأنه البطل الذي قدم نفسه فداء للبشرية عن ذنبها الاول ويقولون ان عمله هذا لا يقدر عليه احد غيره (٤) · « ومن الغريب انهم يذكرون حول « كرشنا » من الاساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالاناجيل عن المسيح فكرشنا ولد من عذراء مخطوبة اسمها ديفاكي وان ولادته احيطت بعجائب فالارض سحبت وظهر نجمة في السماء ··· وقد ولدته امه في غار فأضاء عند ولادته بنور عظيم (٥) » ·

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣ ·
(٢) قصة الحضارة ــ ول ديورنت ــ ص ٢٠٤ وكذلك قصة العقائد بين السماء والارض ص ٢٩ ·
(٣) المها بهاترا ــ الدكتور محمد اسماعيل الندوي عن مجلة تراث الانسانية المجلد الخامس ص ٨٠٤ ·
(٤) محاضرات في مقارنة الاديان ــ القسم الاول الاديان القديمة ــ محمد ابو زهرة ص ٢٩ ·
(٥) المصدر السابق ص ٢٩ ·

ويزعم الهنود انه قتل مصلوبا على شجرة ، وهبط الى جهنم ثم صعد الى السماء على ان يعود في اليوم الاخر ليحاسب الناس احياءهم وامواتهم (١) .

وكثيرون شاهدوا صعود كرشنا الى السماء .

ويعتقد الهنود بقدوم كرشنا في اليوم الاخر على شكل فارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد اشهب ، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الارض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء (٢) .

ويظهر لنا مما تقدم وجود شبه كبير بين شخصية كرشنا وشخصية المسيح وسنحاول في فصل المنقذ في الديانة المسيحية ان نعقد مقارنة بين شخصية كرشنا والمسيح كمنقذين وبطلين .

ان فكرة المنقذ التي تمثلت على شكل تجسد وعودة سوف نعتمدها في بقية الديانات التي سنأتي على ذكرها ونربطها بالواقع الاجتماعي التي برزت فيه حيث يحل الظلم والبؤس والشقاء في مجتمع لا يقوى على صده فتبرز هذه الفكرة الى حيز الوجود كظاهرة لغياب البطولة في المجتمع والبحث عن بطل اسطوري له من الخوارق والامكانات ما يمكنه من تغيير الواقع اليائس الى واقع مزدهر .

المنقذ في الديانة البوذية :

تعتبر شخصية بوذا امتدادا لشخصية « كرشنا » و « راما » اللتين سبقت الاشارة اليهما ، فيعتقد كثير من الهنود ان اخر ما تقمصته روح فشنو كان « بوذا » حيث اتى ليساعد الضعفاء ويرشد العصاة الى الطريق المستقيم . (٣)

---

(١) قصة الحضارة ، الهند وجيرانها ــ ول ديورنت ص ٢٠٤ .
(٢) محاضرات في مقارنة الاديان ــ القسم الاول ــ الاديان القديمة ــ محمد ابو زهره ص ٣٢ و ٣٣ .
(٣) في بلاد البقرة المقدسة ــ احمد عبد المنصف محمود ص ٨١ ، ٨٢ .

وقد احيطت ولادة بوذا ـ كما احيطت ولادة كرشنا من قبل ـ بكثير من الاعاجيب وآيات البطولة ٠

فتذكر الروايات انه قبل مولده حلمت امه حلما غريبا « وهو ان ملائكة السماء صعدت في اعنان السماء ، وان فيلا ابيض اللون ، متناسق التكوين ، بديع المنظر ، رأسه تلمع كالزمرد ، وانيابه ذهبية ، مسلح بأسلحة ست دخل رحمها من جانبها الايمن » (١) واستدعى الملك « سودهوداتا » والد بوذا كبار الكهنة والعرافين وتنبأوا لهذا المولود الجديد بمستقبل باهر ، اذ سيكون حسب اعتقادهم سيدا لهذا العالم ورافعا الغشاوة عن اعين الناس ٠ (٢)

وتخبرنا المصادر البوذية بأنه عندما ولد بوذا ظهر ضوء لامع في السماء وحلت عقدت الاخرس وسمعت اذان الصم ونطق الابكم واستقام الاعرج على ساقيه (٣) « وانحنت الالهة من علياء سمائها لتمد له يد المعونة ، واقبل الملوك من اقاصي البلاد يرحبون بمقدمه » ٠ (٤)

وعندما وضعته امه خطا بضع خطوات الى الامام وصاح قائلا « انا سيد هذا الكون وهذه الحياة هي اخر حياة لي » ٠ (٥)

وتذكر الروايات البوذية بأنه كان هناك كاهن كبير قد شهد من فوق صومعته في جبال الهمالايا حفلا اقامته ملائكة السماء وقد عرف ان هذا الحفل قد اقيم بمناسبة مولد بوذا « المستنير » وهبط الكاهن من مكانه الى حيث يدله النور الى مولد بوذا ٠ وعندما رآه بكي كثيرا من شدة فرحه واخبر والده وقال له « ان هذا الولد لم تجىء بمثله امرأة من قبل ٠٠ ولن تجيء بمثله امرأة بعد » ٠ (٦)

---

(١) قصة بوذا ـ عبد العزيز محمد الزكي ص ١٠ .
(٢) قصة الحضارة ـ ول ديورنت ـ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ وكذلك المصدر السابق .
(٣) انجيل بوذا ـ عيسى سابا ص ١٨ وكذلك قصة بوذا ص ١٠ .
(٤) قصة الحضارة ـ ول ديورنت ٦٦ ، ٦٧ .
(٥) قصة العقائد بين السماء والارض ـ سليمان مظهر ص ٣٥ .
(٦) المصدر السابق ص ٣٦ .

وقال له « ان هذا الصبي هو مخلص العالم اجمع من القلق والاضطراب والشك ... وهأنذا اقول وقد تصرمت ايامي وجاء وقت انحلالي ان الصبي هذا يحكم العالم وهو مخلص الاحياء .. جاء ينقذ الفقراء من احمالهم الثقيلة ويساعد التعساء » . (١)

وعندما شب بوذا وقام يبحث عن الحقيقة ، كان من اولى الافكار التي دفعته للهيام في الغابات والتزهد هي فكرة موت الانسان وانحلاله ويعتبر الالم المحور الذي دارت حوله تأملات بوذا ، فكثيرا ما كان يسأل ما الالم وما مصدره ؟ ولم نتألم وكيف علاجه ؟

ان بحثه الطويل من اجل الخروج بفكرة لخلاص الانسان جعلته يقرر ان الموت حقيقة لا مفر منها ، وان الرغبة هي مصدر كل الم ولكي يقضي الانسان على الالم ما عليه الا ان يقضي على رغباته فلا يستطيع انسان ما تحقيق ذاته الا من خلال سيطرته على رغباته وانفعالاته ، والانسان الذي يستطيع ان يقضي على شهواته الجنسية ورغباته المادية وانفعالاته واحقاده وانانيته يصل الى مرحلة التنوير التي وصلها بوذا وتتمثل بـ « النيرفانا » .

والنيرفانا معناها في السنسكريتية « منطفيء » كما ينطفيء المصباح او تنطفيء النار « اما الكتب البوذية المقدسة فتستعملها بمعاني : ـ ١ ـ حالة من السعادة يبلغها الانسان في الحياة باقتلاعه كل شهواته الجسدية اقتلاعا تاما ـ ٢ ـ تحرير الفرد من عودته الى الحياة » (٢) وانعدام شعوره ـ اي الفرد ـ بعودته الى الحياة مرة اخرى « والنيرفانا ليست في حد ذاتها موتا ، بل هي حالة من السلام المقيم والقداسة الكاملة والتجرد من الاماني والرغبات » . (٣)

ويعتقد البوذيون ان الذي يبلغ النيرفانا يخرج من دائرة الالم والسرور ويصبح فوق الاحزان والافراح . (٤)

---

(١) انجيل بوذا ـــ ترجمة عيسى سابا ص ١٩ .
(٢) قصة الحضارة ـــ الهند وجيرانها ـــ ول ديورنت ص ٨٤ .
(٣) اديان العالم الكبرى لخصه عن الانكليزية حبيب سعيد ص ١٤ .
(٤) قصة بوذا ـــ عبد العزيز محمد الزكي ص ٦٢ .

ويقول بعض الباحثين بأن الذي يبلغ مرحلة لنيرفانا تصاحبه حالة برودة ما بعد الموت اي لا حياة ولا موت · (١) ويعتقد البوذيون ان بوذا استطاع ان يصل الى مرحلة الانقاذ التي تمثلت بالنيرفانا في حياته بجمعه لمقوماتها السبعة وهي « السيطرة على النفس ، والبحث عن الحقيقة والنشاط ، والهدوء والغبطة والتركيز وعلو النفس » · (٢)

ومن الجدير بالملاحظة ان في الديانة المسيحية ما يقابل « النيرفانا » وتسمى في المسيحية « الاماتة » اي اماتة الجسد بالقضاء على الرغبات والنوازع والاهتمامات والتركيز على الفكر فقط · وهي من التدريبات المهمة في حياة الرهبنة · وبذلك يختلف طريق الخلاص في البوذية الذي يتمثل بالنيرفانا عنه في الهندوسية الذي يتمثل بالانطلاق والاندماج والتجسد والعودة ·

السؤال الذي يفرض ذاته الان هو كيفية الوصول الى النيرفانا اضافة الى تهذيب النفس وقتل الشهوات والرغبات ، علما بأن التناسخ في الهندوسية من الطرق المهمة للوصول الى الخلاص ؟

والملاحظ ان البوذية قد استعملت التناسخ ايضا لبلوغ هذه المرحلة فبوذا لم ينكر التناسخ ولكن في هذه المرحلة لن يتم عن طريق الروح الصغرى الموجودة في الانسان او الروح العليا التي تمثلت بالله، فلم يعترف بوجود اله ، لان عقله لم يفهم كنه هذه الروح وطبيعتها ، ولم يدرك كيف يمكن ان تتجسد فيها الروح الفردية · (٣)

وقد تساءل عن ماهية الروح التي تخرج من الجسد وكيف يجوز لنا ان نعتبر شخصية الانسان كما هي بعد خروج الروح منها ، ويعلل بوذا رأيه بقوله بأن النار عندما تفقد حرارتها لا يمكن ان تسمى نارا وكذلك اذا خرجت روح الانسان من جسده لا يمكن ان يسمى انسانا · (٤)

---

(١) الهند القديمة ــ الدكتور ــ محمد اسماعيل الندوي ص ١٤٩ ·
(٢) قصة الحضارة ــ الهند وجيرانها ــ ول ديورنت ص ٨٤ ·
(٣) قصة بوذا ــ عبد العزيز محمد الزكي ص ٦٢ ·
(٤) المصدر السابق ص ٤٨ ــ ٤٩ ·

ولذلك يتم التناسخ في البوذية عن طريق (الكارما) ـ نتائج الاعمال ـ التي اسلفنا الحديث عنها ٠

ففكرة الخلاص عند بوذا تتأتى من اعتماد الفرد على نفسه في انقاذ نفسه وقد اكد بوذا اكثر من مرة وقال ان الـذي يتصور ان الاخرين هم سبب سعادته انسان خاسر ، فالسعادة لا تتحقـق الا بجهود الفرد الذاتية من اجل تخليص نفسه من آلام الدنيا ولكنه مـن ناحية اخرى كـان يعتقـد انه جـاء لانقـاذ المساكـين والفقراء من تعاستهم ولقب من قبل اتباعه بـ « بوذيستاوا » اي بوذا المنتظر ٠ وفعلا فقد ساوى بين الناس ولم يعد في الدين البـوذي فـرق بـين الاجناس والفرق ٠

وقبل ان نتبين آراء البوذيين بمنقذهم بوذا نود ان نلقي ضوءا على التشابه بين شخصيته وشخصية المسيـح فهنـاك كثير مـن التشابه بين الشخصين ويقول الدكتور سامي سعيد الاحمد « ولنا ان نعرف بأن كل ما نقرأ عن حياة المسيح وتعاليمه عدا صلبه نراها في الكتابات التي وردتنا عن بوذا » ٠ (١)

فيقول البوذيون بأن بوذا تجسد بواسطة حلول روح القدس على العذراء ماريا (٢) وكذلك الامر مع عيسى حيث تجسد الروح القدس على العذراء مريم ٠ وتقول البوذية عند ولادة بوذا ظهر نجـم في السماء واضاءت السماء ورتلت الملائكة اناشيد السلام واحتفلت بمقدمه ، وتكلم بوذا وهو في المهد وعند قدومه شفى الابرص وتكلم الاخرس ٠٠٠ كما قلنا سابقا ٠

وهنـاك مسألة مهمة تظهر الشبه بين بوذا والمسيح فقد حاول الشيطان ان يغويه عندما كان في البرية ثلاث مرات ولكن الشيطان لم يستطع غوايته وهذا ما حدث للمسيح (٣) ، ولزرداشت وموسى وغـيرهم ٠

---

(١) محاضرات في التاريخ القديم ـــ الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٧٠ ٠
(٢) محاضرات في مقارنات الاديان ـــ القسم الاول ـــ الديانات القديمة محمد ابو زهرة ص ٥٤ ، ٥٥ ٠
(٣) الحضارات الهندية ـــ غوستاف لوبون ص ٣٣٤ وكذلك في بلاد البقرة المقدسة ص ١٠٧ وايضا انجيل بوذا ترجمة عيسى سابا ص ٤٤ ، ٤٥ ٠

ويقول البوذيون ان بوذا صعد الى السماء بجسده لما اكمل عمله على الارض • (١) وكل هذا وغيره حدث للمسيح وسنحاول في فصل المسيحية ان نعقد مقارنة بين الشخصيتين •

ويرى البوذيون بأن بوذا لم يكن وحده مخلصا ورسولا للحق في العالم فسوف يظهر بوذا منتظر ثان وثالث حاملين انوارا ليرشدا العالم الى طريق الحق • (٢)

ويقولون بأنه لا بد من مرور احقاب طويلة بين ظهور منقذ منتظر واخر ، وجاء في انجيل بوذا « يا اولادي ثقوا اني انا ابوكم وبواسطتي نجوتم من الالام والاوجاع • انا نفسي وصلت الى الشاطىء الاحر لاساعد الاخرين على اجتياز ساقيه •• فأنا المخلص المنقذ ، اطمئنوا لاني سأنقذ الاخرين واقودهم الى مقر الراحة • لقد ولدت في هذا العالم ملكا للحقيقة لكي اخلص العالم » • (٣)

ومن الطريف ان اهل التيبت لا زالوا يعتقدون بأن « دالاي لاما » ـ اي الكاهن الشامل لكل شيء ـ قد اختفى في دير بوتالا (٤) وانه تجسيد حي لبوذا المنتظر الذي لا زالوا ينتظرون قدومه !

المنقذ في الجينية :

كان تأسيس الجينية في وقت مقارب لتأسيس البوذية ، حيث يعتبر مهاويرا مؤسس الجينية معاصرا لبوذا وبشر بافكاره في الفترة نفسها التي بشر بها بوذا بافكاره وذلك في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن للجينيين رأيا اخر حول موضوع بداية ديانتهم ، اذ اعتبروا ديانتهم من اقدم الديانات وانها بدأت حسب اعتقادهم قبل ملايين السنين بعد تحول العالم من العصر الذي يتمثل فيه الحق الى عصر الشر والاثم •

---

(١) محاضرات في مقارنات الاديان ــ القسم الاول ــ الاديان القديمة . محمد ابو زهرة ص ٥٨ .
(٢) الحضارات الهندية غوستاف لوبون ص ٣٦٠ .
(٣) انجيل بوذا ترجمة عيسى سابا ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .
(٤) قصة الحضارة ــ الهند وجيرانها ــ ول ديورنت ص ٢٠٢ .

ولم يكن زعيمهم مهاويرا (البطل العظيم) الـذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد الا المنقذ الرابع والعشرين من مجمـوع المنقذين الذين ظهروا في احقاب بعيدة لانقاذ البشرية ويستدلون على رأيهم بأساطير ليست من التاريخ في شيء ٠ (١)

ولا يعترف هذا الدين بوجود اله لكنه يعترف بوجود روح لكـل شيء مادي ، وقبل ان نتبين مفهوم الخـلاص في الفلسفـة الجينية نحاول ان نلقي ضوءا على ولادة مهاويرا - مؤسس الجينية - والتنبؤات التي احيطت بها تلك الولادة ٠ وتقول الروايات ان ام مهاويرا حلمت احلاما كثيرة قبل ولادته ولا تزال هذه الاحلام منقوشة في المعابد الجينية واكثر النساء من الديانة الجينية يحفظنها عن ظهر قلب ويتلونها في عبادتهن ٠ (٢)

ومن بين هذه الاحلام ان الاميرة والدة مهاويرا قد حلمت ان فيلا عظيما ضخما نورانيا ناصع البياض كأنه سحابة فضية دخل بها ٠ ونلاحظ ان هذا الحلم قريب من الحلم الذي حلمت به والدة بوذا ٠

وتقول الروايات بأن ثورا ابيض ينشر نورا رائعا جاءها فـي الحلم واخبرها قائلا لها انك ستلدين ولدا سيقدر له ان يكون مبشرا دينيا عظيما ينقذ العالم كله (٣) ورأت عرشين من الماس والياقوت دليلا على ان ولدها يحكم العوالم الثلاثة وهناك احلام كثيرة تزيد على العشرين لا مجال لسردها في هذا المقام ٠

وعندما قصت الاميرة احلامها على زوجها الملك دعا كبار الكهنة ليفسروا هذه الاحلام فاخبروها بأنها ستلد مولودا « سيكون فاتحا روحيا وامبراطورا للشريعة الحقة » ٠ (٤)

ويذكر بعض الباحثين ان هذه الاحلام المزعومة تعبر عن الظلم

---

(١) مهاويرا مؤسس الجينيه مجلة ثقافة الهند مجلة ثان عدد ثالث ص ٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٤ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٥ ، ٦ ٠

الذي كانت تلاقيه طبقة الشستريا ـ والتي ينتمي لها مها ويرا ـ من استبداد وتعسف البراهمة • وكما قلنا سابقا فان فكرة المنقذ لا تبرز الا حيث يكون هناك ظلم وحيف لا تقوى على صده الهيئة الاجتماعية فتفكر في بطل ينقذها ، وما الاحلام والتنبؤات الا مجموعة الاماني بظهور منقذ وقائد عظيم •

اما فكرة الخلاص في الفلسفة الجينية ، فهي عندهم غاية الكون ومن اهم الحقائق ، ويعني الخلاص عندهم التطهر من اوساخ العواطف والشهوات الحيوانية والتخلص من قيود الدنيا والتمسك بالخير • (١)

ويقول الاستاذ ديورنت (٢) ان الطريق المؤدية الى الخلاص عند الجينيين هي توبة تقشفية ولزام على كل متقشف ان يأخذ على نفسه خمسة عهود الا يقتل كائنا حيا والا يكذب والا يأخذ ما لم يعط وان يصون عفته وان ينبذ استمتاعه بالاشياء الخارجة عنه •

ويذهب الجانتيون : الى ان اللذة الحسية خطيئة دائما • (٣)

والمثل الاعلى هو ان لا تنتبه للذة او الم وان تستغني استغناء كاملا عن الاشياء الخارجة كلها فالزراعة حرام على الجانتي مثلا لانها تمزق التربة وتسحق الديدان !!

ومن المسائل اللازمة لفكرة الخلاص « العري » فالزاهد لا يبلغ مرحلة النجاة « موشكا » الا بعد قهر جميع مشاعره وعواطفه وحوائجه فلا يحتاج لشيء حتى ولا للباس •

والناسك الحق ـ في عرف الجينية ـ هو الذي لا يشعر بالحر ولا البرد ••• فلا يحتاج الى لباس يقيه تقلبات الموسم • (٤)

---

(١) الفلسفة الجينية ـ محي الدين الالواي مجلة ثقافة الهند مجلد ١٢ عدد
(٢) قصة الحضارة ـ الهند وجيرانها ـ ول ديورنت ص ٦٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٠ .
(٤) مها ويرا مؤسس الجينيه مجلة ثقافة الهند مجلد ثان عدد ثالث ص ١٣ .

ويقول احد علماء الجينية في محاضرة له « ما دام المرء يــرى في العري ما نراه نحن لا ينال النجاة ، فليس لاحد ان ينال نجاته ما دام يتذكر انه عار » (١) ٠

وهذا ما يذكرنا بقصة ادم وحواء حيث كانا يعيشان في الجنــة بامان ٠٠٠ عاريين بطهر كامل ٠٠ لا يعرفان شيئا عن الخير والشر وعندما اغواهما الشيطان واكلا من الشجرة ، اخرجا من الجنة جزاء خطيئتهما ، وبذلك يعتبر الشيطان هو الذي علمهما الخير والشر وانهما عاريان ٠

فالذي لا يشعر بأنه عار يكون قد قهر الشيطان ٠

المهم في الامر بعد الذي قلناه ان الجانتيين متشددون يعتقدون بأن منقذهم المنتظر يظهر كلما اصاب العالم بؤس وشقاء وربما كان غاندي ، والذي كان شديد التأثر بالمذهب الجيني ، اخر منقذ ظهر لينقذ العالم من الضلال حسب التعاليم الجينية ٠

---

(١) المصدر السابق ص ١٣ ٠

الفصل الثالث

المنقذ في الديانة الزرادشتية

قبل الدخول في موضوع الديانة الزرادشتية ، نرى لزاما علينا ان نبحث بصورة موجزة عن الاصول الاولى للديانة الايرانية التي سبقت زرادشت ودينه ٠

تتميز تلك الديانة كما تميزت مثيلاتها في الهند ومصر والعراق بتعدد الالهة والخوف من قوى الطبيعة وعبادة الحيوانات والنباتات ٠

وربما كانت قريبة الشبه من الديانة الارية الاولى التي انتشرت في الهند وذلك بسبب وحدة الجنس باعتبار ان الاريين الذين هاجروا الى الهند يحتمل ان تكون هجراتهم عن طريق ايران ٠ فقد عبد الايرانيون القدماء البقرة واعتبروها مقدسة كما عبد الهنود والمصريون البقرة ونظروا اليها نظرة تقديس واتفقوا - اي الهنود والايرانيون - بوجود عالم اخر بعد الموت يحاسب فيه الانسان من قبل الالهة ٠ ولكن من الممكن القول ان الدين والاخلاق في ايران تختلف عما هي عليه في الهند حيث الظروف الجيولوجية والاقتصادية مختلفة في كلا البلدين ٠ وهنا عامل اخر تمثل في الهجمات المتتالية من القبائل الهمجية لهذه المنطقة وسلبها ٠ فحرارة الجو ورطوبتها

كانا من الاسباب المهمة في تحديد نظرتهم الى فكرة الخير والشر ، مما جعل حياة الشعب الايراني حافلة بالمصاعب والمخاوف والاخطار ٠

وعندما يكون الشعب جائعا مضطربا فانه لا يفكر كثيرا في الحياة بعد الموت كما يفكر في الخير والسلام ، لذا فان عباداتهم انحصرت في الالهة التي تجلب الخير والسلام وتطرد الاعداء ٠ وتصوروا من خلال ذلك ان هناك قوى الهية خيرة واخرى سوداء تجلب البؤس والشقاء « فعبدوا اله الشمس الذي ينضج المحاصيل وسموه « فيرا » وعبدوا الثور الذي مات ووهب الجنس البشري دمه شرابا ، يسبغ عليه نعمة الخلود ، وكان الايرانيون يعبدونه بشرب عصير الهوما المسكر ★ وعبدوا اله السحاب واله الريح ٠ (١)

ونتيجة لذلك « كانوا يعتقدون ان قوى الخير والشر في صراع دائم ونزاع مستمر ، ولعل هذا هو الذي جعلهم يدينون بالهة مختلفة يعد كل منها مظهرا لاحدى قوى الطبيعة » ٠ (٢)

في مثل هذه الظروف وجدت الديانة الزرادشتية ، مؤكدة الواقع الخير والطيب ونابذة كل ما هو سيء ، فاعتبرت العمل واجبا مقدسا لزراعة الارض اولا والانضمام الى القوى الخيرة ثانيا حيث دعت الى الاستقرار وتعمير البلاد واهتمت بتطوير القيم الحضارية السائد في تلك الفترة ٠ (٣)

واعتبرت تعدد الالهة خرافة ليس لها شيء من الصحة ، وليس في الكون الا اله واحد هو « اهورا مزدا » الذي يتمثل فيه الخير والحب والسلام والنور والسماء وان هناك قوى مرتدة يتمثل فيها الشر والبؤس تتمثل بـ « اهريمان » ذلك الشيطان الذي خرج عن سلطة

---

(١) حضارة مصر والشرق القديم ــ مجموعة من الاساتذة ص ٤٣٣ .

★ هذه القصة قريبة من قصة المسيح حيث يعتقد المسيحيون ان المسيح وهب دمه من اجل التكفيرعن البشر !

(٢) حضارة مصر والشرق القديم ــ مجموعة من الاساتذة ٤٣٣ .

(٣) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ــ حامد عبد القادر ص ٩٩ .

« اهورا مزدا » ، واعتبرت الزرادشتية ان قوى الخير والشر لا يمكن ان تبتدل طبيعتها وشبهتها بالليل والنهار فكما ان الليل مظلم والنهار متألق كذلك لا يمكن للخير ان يكون شرا ولا للشر ان يكون خيرا ابدا ٠ (١)

من هذا المنطق ابتدأت الديانة الزرادشتية تنشر معتقداتها حول الكون والانسان ٠ وقبل تبيان عناصر الديانة الزرادشتية لا بد لنا من القاء نظرة فاحصة حول زعيم هذه الديانة النبي « زرادشت » الذي هو موضوع بحثنا باعتباره المنقذ والمخلص للبشرية في عرف الزرادشتية من الظلم والشقاء الذي يصيبها مقارنين بينه وبين الشخصيات الانقاذية التي ظهرت قبله وبعده ٠

وقد اختلف المؤرخون من القدامى والمحدثين في امر وجوده فمنهم من انكره معتبرا كل ما ورد عنه من قصص وحكايات من قبل الخرافات والاساطير التي لا سند لها الا الخيال ٠ (٢) ومنهم من اعتبر زرادشت شخصية تاريخية واقعية لا سبيل الى انكار وجودها ومن هذا الرأي افلاطون ، وقد اختلف اصحاب هذا الرأي في تحديد الزمن الذي ظهر فيه زرادشت فمنهم من اعتقد انه ولد حوالي سنة ١٠٠٠ ق٠م ومنهم من اوصل مولده الى القرن الستين ق٠م ٠ (٣) ولكن المتفق عليه بين المؤرخين المحدثين انه ولد في القرن السادس قبل الميلاد فيكون بذلك معاصرا للجينيةوالبوذية والكونفوشيوسية ٠

وقد وردت قصص كثيرة تنبيء بمقدم هذا النبي ورد بعضها في الابستا الكتاب الزرادشتي المقدس فهناك عبارات تؤكد ذلك ، ومن بين الاخبار التي شاعت بين قدامى الايرانيين ثلاث روايات او بشائر تبشر بمولد هذا النبي وتقول انه سيقطع دابر قوى الشر وينشر العدل والسلام في العالم ٠

---

(١) قصة العقائد بين السماء والارض ــ سليمان مظهر ص ٢٤٥ .
(٢) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ــ حامد عبد القادر ، ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٥ ، ٢٦ .

اما الرواية الاولى « فهي ان ثورا ظهر بين قدامى الايرانيين وتكلم وتنبأ بمولد منقذ ينقذ العالم من سيطرة قوى الشر » . (١)

اما الرواية الثانية فقد نقلت عن اسطورة جمشيد ، الملك (المبارك الطلعة) الذي تذكر كتب الاخبار بأنه عاش في العصر الذهبي (؟) من عصور تاريخ ايران ، وقد روي عن جمشيد هذا انه حارب قوى الشر وانذرهم باقتراب مولود سيكون على يديه فناؤهم والتخلص من شرورهم (٢) . اما الرواية الثالثة فهي ان ثورا اخر تكلم لحظة قصيرة واعلن ان ساعة مولد هذا النبي قد اقتربت وان ظهوره في المستقبل القريب قد قضت به ارادة الاله . (٣)

ان تأكيد الروايات الزرادشتية على قصة الثور الابيض وتبشيره بمولد زعيم وقائد ينقذ العالم من الشرور تذكرنا بالاحلام التي حلمت بها والدة مها ويرا زعيم الجينية ووالدة بوذا .

اما عن ولادته فهناك اسطورة تروي ان ولادة زرادشت تمت بمعجزة الهية حيث حل ملاكه من السماء في النبات المسمى « صوما » وانتقل مع عصير النبات الى جسم كائن شفاف ووصل في الوقت نفسه شعاع من السماء في عذراء من اصل نبيل !! فتزوج بها الكاهن « فاتحد الملاك المحبوس بالشعاع الالهي (في جسم العذراء) فتكون زرادشت» (٤) ، وعندما علم الشيطان بذلك قصدها وعيرها وخافت ان يفتضح امرها وارتبكت كثيرا ولكنها اطمأنت بعد ذلك حين سمعت نداء من السماء يقول لها انك بريئة . (٥)

وهذا نفس ما تدعيه المسيحية من حلول اللاهوت في الناسوت وقد ادعته قبل ذلك الهندوسة وبعض المذاهب البوذية ، كما رأينا

---

(١) زرادشت الحكيم ، نبي قدامى الايرانيين ــ حامد عبد القادر ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ــ ٢ طه باقر ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
(٥) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٣٥ .

ذلك في شخصية بوذا والهندوسية في شخصية كرشنا وراما الذي تجسد فيهما الاله فشنوا · ان خوف ام زرادشت من افتضاح امرها يذكرنا ايضا بمريم العذراء والدة يسوع المسيح ووالدة كرشنا الذي طمأنها على ولدها وهو في المهد ·

وتذهب الروايات الايرانية القديمة ، الى انه بعد خمسة شهور من الحمل رأت الام في الحلم سحابة سوداء احاطت بيتها ، وان مخلوقات بشعة هبطت عليها من السحابة ، فانتزعت الطفل من رحمها بقوة وحاولت القضاء عليه ، فاخذت الام تصرخ « ولم يلبث ان هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء اربا ، فاختفت الكائنات البشعة التي ولت هاربة ثم انبثق من النور طيف شاب يشع منه نور متلألىء ، اعاد الطفل الى بطن امه ، وسكن من روعها وقال لها هذا الطفل عندما يكبر سيصبح نبي اهورامزدا » · (١)

وبجانب هذه البشائر والروايات عن مولد زرادشت « نجد من الاساطير ما يدل على اعتقاد قدامى الايرانيين بان زرادشت هو روح اله وان هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري هبطت من السماء الى الارض وحلت برحم امه فحملته ثم ولدته بشرا سويا » · (٢)

وقد رأينا ذلك من قبل في الاعتقادات المصرية القديمة عندما كان يعتقد المصريون ان الفرعون هو الا همتجسد على الارض ·

ورأيناه واضحا عند الهندوسيين في نظرية التجسد والتقمص والتي تتمثل في تجسد احد الالهة في احد الكائنات البشرية كما نجد الاله فشنو في شخصية راماو كرشنا وبوذا ··· وبعد ذلك سنجده في المسيحية التي تعتقد ان الله قد تجسد في صورة السيد المسيح · اما مولد زرادشت ففيه ايضا كثير من المعجزات والعجائب التي

---

(١) قصة العقائد بين السماء والارض — سليمان مظهر ص ٢٤٠ ·
(٢) زرادشت الحكيم بين قدامى الايرانيين — حامد عبد القادر ٣٣ ·

تشبه ما جاء في الديانات الاخرى ، فتروي الكتب الزرادشتية « انه لما ولد زرادشت احاط بالدار التي ولد فيها نور مقدس وهاج ، وهبط من السماء نجم عظيم ، ودنا من الارض واعلن النبأ السار ، وظهر في عرض الافق في السماء كوكب عظيم ملأ ضياؤه جميع أنحاء الفضاء (١) ٠

وقد رأينا من قبل عندما ولد بوذا كيف ان الارض انيرت وظهر نجم في السماء دعي نجم بوذا ورتلت الملائكة اناشيد الحب والسلام واقامت حفلا سماويا تكريما لهذا المولود المبارك ٠ وعندما ولد زرادشت ضحك بصوت مرتفع اهتزت له اركان البيت وهربت الارواح الشريرة الى عالمها السفلي (٢) بعد ان ايقنت ان ما انذرت به سابقا قد تحقق وان مولد هذا الطفل يؤذن بزوال سلطانها وقوتها ٠ وهذه الرواية قريبة جدا من الرواية البوذية التي تدعي ان بوذا عندما ولد خطا بضع خطوات وصاح قائلا انا سيد هذا الكون ٠ وقريبة ايضا من ولادة كرشنا والمسيح اللذين كلما اميهما وهما في المهد ٠

وتذكر الروايات الزرداشتية ان القوى الشريرة المتمثلة « بأهريمان » قد بذلت جهودا جبارة للقضاء عليه ولكنها لم تنجح لان العناية الالهية حرسته وجعلت كل هذه المحاولات تبوء بالفشل ٠ واول هجوم قام به حاكم مقاطعة اذربيجان « دوران سرون » الذي كان نائبا عن الملك لهراسب ، وكان هذا الحاكم يدين بالولاء « لاهريمان » فعندما اخبره المنجمون ان نبيا سيظهر وسيقضي على السحر وعلى دين اهريمان اخذ يسأل عن المواليد ويتتبع اخبارهم ، ولما سمع بمولد هذا الطفل المعجزة وانه ضحك عند مولده ، ذهب في طلبه الى دار ابيه وعندما رآه سحب خنجره ليقضي عليه ، ولكنه عندما امسك بخنجره جمدت يده وغمرته رهبة فاضطر الى ترك الطفل (٣) ، وتكاد هذه الرواية تطابق لما حدث لكرشنا ، كما

---

(١) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢) قصة العقائد بين السماء والارض ص ٢٤٠ والمصدر السابق ص ٣٦ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ٢ طه باقر ص ٤٢٦ .

(٣) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين — حامد عبد القادر ص ٣٧ .

روت لنا اساطير هندية عندما امر الحاكم بقتل كل الاطفال الذين سيولدون عندما اخبره المنجمون ان طفلا سيولد يكون على يديه قتله ٠ وتشبه ايضا ولادة يسوع المسيح حيث امر الحاكم الروماني هيرودوس بقتل كل الاطفال عندما علم ان طفلا معجزة قد ولد ! وكذلك موسى !

وهناك نقطة اخرى تتعلق بتشابه الحدث القصصي بين الزرادشتية واليهودية ويتمثل الفعل في الرهبة والخوف عندما هم الحاكم بقتل المولود الجديد زرادشت اذ اخذته رعشة غريبة وقلق غير مألوف وهذا ما يذكرنا بما حدث لفرعون عندما اختلى « بساره » زوجة ابراهيم الخليل اذ اخذته رعشة وخوف غريب فقرر تركها كما تذكر ذلك الاساطير اليهودية ٠ (١)

وهنالك حادثة اخرى لها اهمية كبرى في تقارب الحدث الاسطوري القصصي بين زرادشت وابراهيم الخليل حتى ظن كثير من المؤرخين ان زرادشت هو نفسه ابراهيم الخليل ولكن البحث الحديث برهن على ان ابراهيم قد ولد قبل زرادشت بعدة قرون ٠

وتتمثل هذه الحادثة في تشاور الحاكم الذي يدين بالولاء للشيطان مع اعوانه لتدبير مكيدة لقتل الطفل والتخلص منه وفعلا تم لهم ذلك عندما وضعوا الطفل وسط كومة من النار ، ولكن النار لم تحرقه ، بل كانت النار بردا وسلاما عليه (٢) ، بأمر من الاله اهو رامزدا ٠ وهذه الحادثة تشير الى حد بعيد الى ما حدث لابراهيم الخليل الذي كسر اصنام المشركين فقرروا حرقه وعندما وضعوه في النار لم يحترق بل كانت النار بردا وسلاما عليه بأمر من ربه !

وتذكر الكتب الزرادشتية بأن الشيطان اضطر الى تبديل أسلوبه معه بعد ان عجز عن قتله فحاول بشتى سبل الاغراء الممكنة حمله على التخلي عن اعتقاده باهورامزدا ووعده الشيطان بحكم الارض قاطبة ولكن دونما جدوى ٠ (٣)

---

(١) التكوين :اصحاح ١٢ آية ١٤ ــ ٣٠ .
(٢) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ــ حامد عبد القادر ص ٣٨ .
(٣) الاصول الاولى لانكار الشر والشيطان د. سامي سعيد الاحمد ص ٤٣ .

ويذكرنا هذا بأسلوب الشيطان لاغراء بوذا عندما هبت العواصف والامطار والرياح وتزعزعت الارض ولكن بوذا لم يتحرك وعندما اغراه ببنات الجن ووعده بحكم الارض ، ولكن بوذا صمد ولم يتحرك • وقد تكرر اسلوب الاغراء في اليهودية والمسيحية كما سنرى •

وقد اضطر الشيطان مرة اخرى الى التهديد بعد عجزه في اغرائه - واستعمل القوة والعنف حين عذب زرادشت بكل قسوة وشراسة وصب الرصاص المذاب في فمه (١) وشق صدره بالسيف • (٢) ولكنه لم يجزع واستمر على ايمانه بربه اهو رامزدا •

ونود ان ننقل هذا المقطع من كتاب الفنديد (٣) وهو اهم الكتب التي يتألف منها الافستا الكتاب الزرداشتي المقدس الذي نزل من الرب على صدر زرادشت كما يدعي الزرادشتيون •

« من ناحية الشمال ، من اعماق الشمال ، انقض اهريمان الممتلىء موتا ، « ديو الديوات » هكذا صاح اهريمان الردىء الممتلىء موتا » « يا دروج انقض واقتل القديس زرادشت ! » انقض الدروج وهو الشيطان (بوئيتي) •

بدأ زرادشت يتلو الاهوفافائيرنا (٤) « ارادة الرب هي قاعدة الخير ، خيرات فوهومنو في الاعمال الجارية في هذه الدنيا هي لاجل فرد من ساعد التغير يجعل اهور يحكم » •

---

(١) نفس المصدر ص ٤٢ .
(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج - ٢ طه باقر ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
(٣) الفنديد اهم الكتب التي يتالف منها الافستا - ترجمة د. داؤد الجلبي ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
(٤) الاهوفافائيرنا : دعاء يتلوه الزرادشتيون عندما يحيط بأحدهم الخوف ووسوسة الشيطان . يشبه عند المسلمين الدعاء الذي جاء في سورة الفلق من القرآن « قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد » وكذلك سورة الناس « قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر =

دهشت الدروج وهربت ٠٠ قالت الدروج لاهرمن « ايها المعذب اهرمن ، اني لم اجد سبيلا لاهلاك اسيبتا ما زرادشت ، عظيم جدا هو مجد القديس زرادشت » نهض زرادشت ، تقدم زرادشت دون ان تفتر همته بالفكر السيء ، واخذ بيده حجارة كبيرة ، حجارة بحجم الحجارة التي تبنى بها الدور ، القديس زرادشت هو اخذها من الخالق اهورا مزدا وديا اهرمن الرديء اريد قتل المخلوقات الديوات، اريد قتل النسو التي خلقها الديوات ، ننتظر ولادة (ساؤشيانت) (١) المظفر من بحيرة (كاسو) من ناحية الفجر من اعماق نواحي الفجر ٠

اجابه سيد مخلوقات الشر اهرمن لا تهلك مخلوقاتي يا زرادشت القديس ٠٠ اكفر بدين مزدا الصالح تنل النعمة التي تنالها « افذغتا » سيد البلاد ، اجاب زرادشت « كلا لن اكفر بدين مزدا الصالح ولو كان في ذلك تلفي وازهاق روحي » ٠

من هذه المحاورة بين اهريمان وزرادشت ربما يتبلور مفهوم الصراع بين قوى الخير والشر والذي اعتمدته الزرادشتية اساسا لديانتها ، اذ اعتبرت الكون عبارة عن مسرح كبير يدور فيه الصراع بين القوتين المتنازعتين وان النفس الانسانية تحمل ما في الكون اذ في في كل نفس ـ كما تقول الزرادشتية ـ قوتان متعارضتان وتتفاءل الزرادشتية مقررة ان النصر المحتوم في النهاية سيكون لصالح اهورا مزدا وكل القوى الخيرة ، ونتيجة لذلك اوجبت على كل انسان ان لا يقف مكتوف الايدي امام عدو يحركه الشر لانتهاك كل المبادىء الصالحة والخيرة ، بل عليه ان يدافع عن دين اهورا مزدا بكل السبل الممكنة حتى اوجبت على كل فرد ان يتزوج باكثر من امرأة واحدة لكي يزداد حزب الاله اهورا مزدا ويستطيع القضاء على دين « اهريمان » الشرير ٠

= الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » . او التاكيد على الالتزام بوحدانية الله كما جاء نلك في آية « قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفء احد » سورة الاخلاص .

(١) ساؤشيانت بن زرادشت المنتظر الذي لم يولد بعد والذي سيظهر في اخر الدنيا لينقذها من الضلال .

ومما هو جدير بالذكر في القطعة السابقة ورود اسم « افزغنا » وهو الاسم الاخر للضحاك « ازهي دهاكا » (١) الذي تكلم عنه النبي محمد كما جاء في صحيح البخاري ·

فيقال ان الضحاك في الزرادشتية لقب « بيفراسب » اي ذو العشرة الاف حصان وتصور الابستا الضحاك مسخا ذا ثلاثة رؤوس وست عيون وثلاثة افواه · وينظر اليه الفرس على انه ملكقوي من اعوان الشيطان · (٢)

وقبل تبيان العنصر الانقاذي في الديانة الزرادشتية نـود ان نلقي اضواء اخرى على التشابه بين شخصية زرادشت من جهة ، وغيره من الشخصيات الانقاذية من جهة اخرى وتذكـر الروايـات الزرادشتية انه كان هناك كاهن يشار اليه بالبنان اسمه « برزين كروس » (٣) كان يعلم ان نبيا سيظهر في عصره فلما وصلت اليه انباء زرادشت الطفل نزل من صومعته في اعلى الجبل وذهب الـى بيت ابيه واخبره ان ابنه سيكون سيدا ومنقذا للعالم وطلب مـن ابيه ان يشرفه بخدمة ابنه وهذا الحدث يذكرنا بقصة الكاهن مـع بوذا عندما رأى ملائكة السماء قد اقامت حفلا بمقدم بوذا وقـد اخبر والد بوذا ايضا بأن ولده سيكون سيدا ومنقذا للعالم ·

بعد ذلك نقول ان زرادشت الذي اشتغل فترة كما نقرأ فـي معالجة المرضى والجرحى من الجنود متطوعا · دفعه عمله هذا الى التفكير بمصير الالم ولم يتألم الانسان وكيف يمكن القضاء علـى الالم وتعتبر هذه النقطة حجر الزاوية في تفكير بوذا ، فالالم هـو الذي دفع بوذا للتفكير في مصير العالم ولكـن النتائـج بين بوذا وزرادشت كانت مختلفة ، فبينما اعتبر بوذا مصدر الالم هو الرغبة وان القضاء على الرغبة يعني القضاء على الالم اعتبر زرادشت بعد بحثه وهيامه في الغابات وبين الجبال ان مصدر الالم هـو عناصر

---

(١) الفنديداد اهم الكتب التي يتالف منها الابسـت ترجمـة الدكتور داؤد الجلبي الموصلي ص ٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .
(٣) زرادشت الحكيم نبي قدماء الايرانيين حامد عبد القادر ص ٣٨ وكذلك قصة العقائد .

الشر الموجودة في كل العالم وان القضاء على الالم يتأتى من القضاء على الشر الموجود في العالم والذي يتمثل في شخصية « اهريمان » واعوانه • وتذكر الروايات ان زرادشت عندما قرر ان يبحث عن سر الالم وعن سر الوجود قرر ان يترك زوجته وفعلا تركها وترك طفله •

وفي احد الايام وبينما كان واقفا امام كهفه حسب ما تذكر بعض الاخبار مفكرا متأملا اذ احس برعشة غريبة ونشوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع جنبات نفسه وتملؤها نورا وهاجا ، رأى كائنا نورانيا ؟ على شكل عمود حجمه تسعة امثال حجم الانسان يحمل في يده عصا من لهب وامره بخلع ملابسه وانبأه انه « فاهومانا » كبير الملائكة وانه جاء اليه بأمر الرب اهورا مزدا ليقوده الى السماء وارتبك زرادشت كثيرا لهذا الامر ولم يلبث ان وجد نفسه لدى الاله وهناك تلقى كلمات الحق والحقيقة (٢) وشاهد الجنة التي تكون مثوى للمحسنين والنار التي تكون عقابا للمسيئين اتباع الشيطان « اهريمان » (٣) والجنة التي تكلم عنها زرادشت تشبه الجنة التي تكلمت عنها الديانات السماوية - الكتابية وخصوصا الديانة اليهودية التي تأثرت كثيرا بالزرادشتية ، فبقدر اعمال المرء في حياته الدنيا يكون جزاؤه في الحياة الاخرى يوم الحساب وان كل اعماله وافكاره مكتوبة في الحياة ، فالافكار والافعال الصالحة مكتوبة في جانب ، والافكار والافعال الخبيثة في جانب اخر وعندما يموت الانسان تذهب روحه الى الملك المشرف على كتاب الحياة ، واذا كانت اعماله وافكاره صالحة تصل روحه الى الجنة « حيث تلقاها فتاة عذراء فتقودها لتعيش مع اهورا مزدا الى ابد الدهر اما الارواح الشريرة فانها عندما تمر على الجسر ترتجف من الفزع والخوف ولا تستطيع ان تجتازه لما تحمله من ذنوب فترمى في درك من الجحيم يتناسب مع ما اقترفت كل روح من ذنوب » • (٤)

---

(١) قصة العقائد بين السماء والارض سليمان مظهر ص ٢٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٦ وكذلك زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ص ٤٣ .
(٣) قصة العقائد بين السماء والارض ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٤) قصة العقائد بين السماء والارض ص ٢٧٣ وكذلك زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٨٥ .

وعندما رجع زرادشت من السماء كما تذكر الكتب الزرادشتية « فاق من نشوته واستيقظ من غفوته ، وعاد الى انسانيته بعد ان تكررت تلك التجربة الروحانية ثلاث مرات فانطلق لا يلوي على شيء ، ليكمل رحلته في بلاده ، وهو يشعر بأن روح الاله الاكبر قد حلت فيه » . (١)

واستمر ينذر الناس ويحذرهم باسم الاله الاعظم كما كان يفعل انبياء بني اسرائيل (٢) وتحدد وجهة نظره كما قلنا بأن هناك قوتين خالقتين احداهما تخلق الخير وتتمثل بالاله (اهورا مزدا) والاخرى تخلق الشر وتتمثل بالشيطان « اهريمان » ولكل منهما قابليتان متعادلتان على الخلق والابتكار وكل في مجال اختصاصه « وان الحرب بينهما مستمرة وسوف تنتهي بانتصار مبدأ الخير » (٣) . « وقد ذكر زرادشت سبع صفات لاهورا مزدا هي : النور ، والعقل الخير ، والحق والجبروت ، والقداسة ، والاحسان ، والخلود » . (٤)

ومن الجدير بنا ان نلاحظ ما يعتقده بعض الباحثين ان اسم « اهورا مزدا » كان اسما لاحد الالهة القدامى ومعناه « رب الحكمة » (٥) ويؤكد البعض بأن زرادشت قد اخذ اسم الهه « اهورا مزدا » من اسم اله الاشوريين وهو « اسارا مازدايش Assara Mazdeas » . (٦)
ومهما كانت الاراء في اله زرادشت فالذي يهمنا ان نعرفه أن هاتين الروحين المتناقضتين المتعارضتين في هذا العالم هي اساس الثنوية في الدين الزرادشتي (٧) ولن يتم التوحيد الا بعد ان يهزم

---

(١) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .
(٣) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ ٢ طه باقر ص ٤٢٧ .
(٤) حضارة مصر والشرق القديم مجموعة من الاساتذة ص ٤٤٨ .
(٥) انتصار الحضارة جيمس هنري برستيد ترجمة د. احمد فخري ص ٢٤٨ .
(٦) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ـ حامد عبد القادر ص ٨١ .
(٧) الاصول الاولى لافكار الشر والشيطان ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٨٣ .

اهورا مزدا اهريمان واتباعه ولكن هذه النتيجة لم تكن حتمية في كل الاحيان اذ ظهر في العهد الساساني رأي يدعو الـى الاعتقاد بالوحدة الالهية وكان ذلك بسبب الاقبال على دراسة الفلسفة بـين اتباع زرادشت مستندين في ذلك على عبارة « زرفان فارتا » اي زمان غير محدود، الواردة في الاقسام الحديثة من الابستا ونتيجة لذلك يكون هناك اله خالق متجرد من كل شـيء فوق سلطـة اهورا مزدا واهريمـان ٠ (١)

وربما تأثرت هذه الفكرة التي ظهـرت في العهـد الساساني بالفكر الديني الهندوسي الذي سبقها بمئات السنين ، حيث اعتبر الفكر الهندوسي برهما الخالق وفشنو الحافظ الذي يرمز الى الخير وشيفا المدمر الذي يرمز الى الشر وسنرى ان هذا الثالوث قد تأثرت به الديانة المسيحية فيما بعد ٠ وقد اكد مسألة التأثـر زرادشت نفسه عندما قال في الكاثات ان قصده اعادة الديـن الـى صفائه القديم (٢) وانه جاء متمما لا ناقضا كما اكد ذلك بوذا وعيسـى وموسى ومحمـد ٠

وتذكر لنا الروايات الزرادشتية الـى انه (اي زرادشـت) اضطر الى الاتيان بكثيرا من المعجزات ، واول المعجزات هو كتابه الابستا الذيأدعى أنه كتب بلغة سماوية ولا يعرف أحد معناه وتحدى به القوم ان استطاعوا أن يأتموا بمثله أو بجزء منه ويقول المسعودي « واتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول واخبر عنـه الكائنات من المغيبات قبـل حدوثهـا مـن الكليـات والجزئيات ـ والكليات هي الاشياء العامة والجزئيات هي الاشياء الخاصة مثـل زيد يموت يوم كذا ويولد لفلان في وقت كذا اشباه ذلك » ٠ (٣)
وذكر لنا ابن الاثير خبرا طريفا قد يكون من بنات أفكاره او

---

(١) الفنديداو اهم الكتب التي يتالـف منها الابستا د. داؤد الجلبـي الموصلي ص ١٨ ٠
(٢) الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير مجلد اول ص ٢٥٨ / ٢٥٩ ٠
(٣) مروج الذهب ابي الحسن المسعودي ص ٢٢٩ ٠

ابتداءا من المصدر الذي اخذ عنه مؤداه ان زرادشت قال لاتباعه تمسكوا بما اتيتكم به الى ان يأتيكم صاحب الجمل الاحمر يعني النبي محمد ، (١) ، وهذه الاخبار عن المعجزات والتوقعات سنلاحظها في الاديان اليهودية والمسيحية والاسلامية اما فكرة المنقذ الزرادشتية كما وردت في الافستا فتتمثل في تقسيم العالم الى اربعة دورات مدة كل منها ثلاثة الاف سنة يتم في نهايتها الانقاذ بظهور ابن زرادشت في اخر الدنيا ٠

ويشبه هذا التقسيم للعالم التقسيم الهندوسي الذي قسم العالم الى عشر دورات ٠٠ ظهر فشنو متجسدا فيها حتى الان تسع مرات وينتظر ان يظهر في المرة العاشرة التي ستكون المرة الاخيرة باعتبارها اخر دورات الحياة ، وعند الزرادشتيين تدوم الدنيا اثني عشر الف سنة وهذا ينقسم الى ادوار اقصر ، كل منها ثلاثة الاف سنة ٠ (٢) والدور الاول هو دور العصر الذهبي السعيد وفيه يسيطر اهورا مزدا على الارض ويشيع فيها الخير (٣) ٠ وفي نهاية هذا الدور يخرج اهريمان من الظلمات فيبهره النور ويعرض عليه اهورا مزدا الصلح لكنه يرفضه فيعرض عليه الحرب وتقوم بينهما حرب تدوم تسعة الاف سنة يتم في نهايتها النصر لاهورا مزدا ٠

اما الدور الثاني فهو الدور الذي تسود فيه الظلمة على الارض وتحل بالارض كارثة كبيرة ، وفي هذا الدور يخبر الاله اهورا مزدا نبيه وحبيبه الاول « يمسا » باعتباره اول كائن خلقه الاله وكلمه قائلا له « يا يمسا الجميل ابن فيفنهات » هي ذي اشتاء الشقاء تهجم على عالم الاجساد اتية بالبرد القارس المتلف ٠٠ وتسقط الثلج بقطع كبيرة بثخن « اردفي » على الجبال الشاهقة اعمل لك اذن ملجأ « فار Ver » طول كل من جوانبه الاربعة شوط فرس٠ وخذ اليه نماذج الماشية الصغيرة والماشية الكبيرة والناس والكلاب

---

(١) الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ص ٢٥٩ .
(٢) الفنديداو اهم الكتب التي يتالف منها الابستا ترجمة د. داؤد الجلبي الموصلي ص ٢٤ .
(٣) زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٧٥ ، ٧٦ .

والطيور والنيران المشتعلة » (١) وتشبه هذه الاسطورة الى حد بعيد الحكاية اليهودية التي تمثلت في شخصية نوح عندما اخبره الرب بأن يعمل له سفينة لينقذ نفسه وكل زوجين اثنين من النباتات والحيوانات والناس الصالحين ، وتشبه ايضا الاسطورة الهندوسية التي تمثلت في شخصية مانو اول مخلوق خلق على الارض ، عندما جاءته الكلمة ان يبني له سفينة لينقذ نفسه وبقية الحيوانات والنباتات من الطوفان الذي سيهلك الارض ، اما الدور الثالث فهو الدور الذي تقوم فيه معارك كبيرة بين قوى الخير والشر لكن الحرب بينهما سجال وغير حاسمة الى ان جاء زرادشت وبمجيئه بدأ الدور الرابع (٢) وفي هذا الدور يستمر النزاع والصراع بين قوى الخير والشر ولكن بشائر النصر بدت قريبة • ولاحت في الافق علامات تمهيدا لظهور ساأوشيانت (saoshyant) المبارك الطلعة مسيح الزرادشتيين الذي يتم في عهده انتصار الخير على الشر في الارض (٣) •

وفي هذا الدور كما تؤكد الكتب الزرادشتية لم يبق في العالم الا ثلاثة الاف سنة ، وان العالم سيفنى بعد ظهور ثلاثة انبياء ينشرون دين زرادشت في مناطق متباينة باعتبار ان الدين الزرادشتي هو دين العالم اجمع وانه جاء للعالم اجمع وليس لملة معينة ، فيظهر في كل الف سنة نبي بالقرب من بحيرة هامون في شرق ايران وتكون ولادته بطريقة معجزة « فتذهب فتاة ، موعودة الى بحيرة هامون في فصل الربيع وتستحم فيها ، فتحمل من نطفة زرادشت ثم يبعث مولودها وهو النبي الموعود في سن الثلاثين بأمر من اهورا مزدا » (٤) ويصلح هذا النبي ايران وينشر العدل فيها وتكرر هذه المعجزة ثلاث مرات تكون المرة الثالثة هي الاخيرة ، عندما

---

(١) الفنديداو اهم الكتب التي يتالف منها الابستا ترجمة د. داؤد الجلبي الموصلي ص ٣٦ •

(٢) زرادشت الحكيم نبي تدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٥٧ ، ٧٦ ، وكذلك الفنديداو ص ٢٤ ، ٢٥ •

(٣) وزرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين حامد عبد القادر ص ٧٦ •

(٤) حضارة مصر والشرق القديم مجموعة من الاساتذة ص ٤٥٠ •

تكون القطيعة قد حدثت بين الاب وابنه ويكون الجدب قد انتشر ، فالمطر لا ينزل ، والشجر لا يعطي ثمرا ، فيصلح المبعوث الثالث الاحوال عقب ظهوره ، ثم تنتهي الدنيا ، وتقوم القيامة ، ويسود حكم اهورا مزدا ويتحطم اهرمن واتباعه تحطيما كاملا وحينذاك تدب الحياة في الخيرين ويبعثون من جديد بعثهم الاخير ويخلو العالم من اعراض الشيخوخة والموت والانحلال الى ابد الابدين » ٠ (١)

ويذهب الشهرستاني الى القول « ومما اخبر به زرادشت في كتابه زنداوستا انه قال سيظهر في اخر الزمان رجل اسمه « اشيزريكار » ومعناه الرجل العالم بالدين والعدل ويحيي العدل ويميت الجور ، ويرد السنين المغيرة الى اوضاعها الاول ، وتنقاد له الملوك ٠٠ وينتصر الدين الحق ويحصل في زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن » (٢) ومن العلامات على مجيء المسيح المنتظر ان تأتي موجة من معدن منصهر فتغطي الارض وتطهرها وعندئذ تقع المعركة الاخيرة بين اهورا مزدا واهريمان ٠ (٣)

وتذكر الروايات الزرادشتية بان انتصارات اهريمان تكون في البداية ساحقة بحيث يستطيع بسط نفوذه على الارض (٤) ولكن هذا النصر لن يدوم طويلا اذ يظهر « ساأوشيانت » المسيح المخلص المنجي الذي يجدد العالم بعد البعث ، وتذكر الروايات الزرادشتية ان هفوني زوجة زرادشت الثالثة هي الام الروحانية للمسيح المنتظر الذي تقول عنه تلك الروايات انه ينحدر من زرادشت بطريق التناسل الروحاني ٠ (٥)

وبعد الذي بيناه عن المنقذ والمسيح المنتظر لدى الزرادشتيين نحاول ان ننتقل في الفصل التالي الى المنقذ في الديانة اليهودية ومدى تأثرها بالفكر الزرادشتي والهندي وغيرهما من الافكار الدينية !

---

(١) حضارة مصر والشرق القديم مجموعة من الاساتذة ص ٤٥٠ .
(٢) الملل والنحل تأليف ابي الفتح الشهرستاني ج ـ ١ ص ٢٣٩ .
(٣) الفنديداو اهم الكتب التي يتألف منها الابستا ـ ترجمة د. داؤد الجلبي الموصلي ص ٢٦ .
(٤) الاصول الاولى لافكار الشر والشيطان ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٤٨ .
(٥) زرداشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين ـ حامد عبد القادر ص ٩٢ .

الفصل الرابع

المنقذ في الديانة اليهودية

قبل ان نبدأ بعرض مسألة المنقذ في الديانة اليهودية ، نود ان نلقي نظرة سريعة على الاصول الاولى لهذه الديانة التي كانت فيما بعد منطلقا للديانات السماوية التي جاءت بعدها •

وليس بالمستطاع في الواقع ، استخلاص فكرة واضحة المعالم تمام الوضوح عن الاصول الاولى لهذه الديانة شأنها في ذلك شأن الديانات الاخرى التي اسلفنا الاشارة اليها ولكن الاعتقاد الاكبر هو ان هذه الديانة تأثرت بالفكر الديني المنتشر في بابل قبل ان يهاجر ابراهيم الخليل من العراق اذا كان لهذا الرجل (الاسطورة !) شيء من صحة لوجوده ، ثم تأثرت بالفكر الديني الكنعاني المنتشر في فلسطين عقب استقرار اليهود فيها زمنا وكذلك بالفكر الديني الهندي والمصري والزرادشتي •

ونحاول الان ان نلقي نظرة عابرة على هذه التأثرات ونبدؤها بالفكر الديني البابلي • أول ما نلاحظه في الدين البابلي هو تقسيمه للالهة الى الهة خيرة والهة شريرة ، وجعله لكل مدينة الها يدافع عنها ويحميها فهناك مثلا عشتار نينوى وعشتار الوركاء وعشتار

اربيل . (١)

وثمة رواية في التوراة تذكر انه عندما كان يعقوب في طريقه الى حرام ، نام في (تبل) دون علمه بقدسية المكان ، حتى رأى نفسه في المنام متسلقا سلما يصل بين السماء والارض وعندما استيقظ في الصباح اخذ احجارا معه لتذكره برب تبل . (٢) فان اخذنا هذه الرواية المنقولة من التوراة فأخذ الصدق أمكن تفسيرها بأن يعقوب كان يعتقد ان لكل مدينة الها خاصا بها وربا يحميها (٣) وهذه الفكرة تذكرنا بالديانات المنتشرة في المشرق وبابل .

ان الانسان البابلي القديم حاول ان يصور السماء كما يتصور الارض ، فهي في تصوره تشبه الارض تماما والصورة التي كونها الاسرائيلي الاول لنفسه عن الكون هي بعينها الصورة البابلية اذ ينقسم الكون الى السماء والارض ، والمياه تقسم الى منطقة القطب الشمالي السماوي حيث عرش الاله « انو » ثم سماء فلك كل من القمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل (٤) . « واذا تركنا العالم السماوي ونزلنا الى العالم الارضي وجدنا الجو والارض واليابسة ثم المحيط الارضي الذي يحيط بالكرة الارضية » . (٥)

وتكاد هذه الصورة ان تكون قريبة جدا من الصورة التي كونها الاسرائيلي عن العالم فلو رجعنا الى السفر الاول من التوراة - أي التكوين - نجد الشيء نفسه فمقابل السماء توجد الارض ، كذلك نجد ماء في السماء كما هي الحال في الارض « وقال الرب ليكن جلد في وسط المياه .. وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد . وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا وقال

---

(١) الدكتور سامي سعيد الاحمد - الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية . ص ١٨ .
(٢) المصدر السابق ص ١١ .
(٣) المصدر السابق ص ١١ .
(٤) دكتور فؤاد حسنين علي - المجتمع الاسرائيلي حتى تشريده ص ٩١ .
(٥) المصدر السابق ص ٩١ .

الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد دعاه بحارا ورأى الله ذلك انه حسن » (١) وعند حديث التوراة عن الطوفان جاء ذكر الماء العلوي الذي يتدفق من ابواب السماء ومما جاء في الاصحاح السابع « وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت على الارض في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء » • (٢)

« وتأثر الاسرائيلي بالبابلي ايضا في تقسيمه للارض الى الجهات الاربع شمال ، غرب ، جنوب ، شرق • فهذا التقسيم مأخوذ عن التقسيم البابلي حسب جريان الشمس وعبورها لخط الاستواء السماوي سواء في الاعتدالين او الانقلابين » • (٣)

وتذكر التوراة ان ابراهيم الخليل « قد اخذ بعض الحيوانات المضحى بها ، وقسم كل ذبيحة الى نصفين وجعل كل نصف بازاء الاخر وعندما حل الظلام اضرم نارا ودخانا في وسطها مثلث له وجود الرب ومر هو من بين اجزاء هذه الذبائح » (٤) وهذا ما كانت تفعله معظم شعوب الشرق الادنى القديم عندما تريد ابرام اتفاق مع الالهة • (٥)

ويعتقد البعض ان البابليين هم اول من حاول توحيد العالم تحت سلطة واحدة اسوة بسيطرة كبير الالهة على الكون ، وقد حاول الكثيرون تقليدهم امثال الاسكندر المقدوني وكورش وكذلك الاسرائيليون وهم ينتظرون المسيح من بيت داود لتوحيد العالم وحكمه من عاصمتهم اورشليم • (٦)

---

(١) تكوين ١ : ٦ — ١٠ .
(٢) تكوين ٧ : ١٠ — ١١ .
(٣) الدكتور فؤاد حسنين ، المجتمع الاسرائيلي حتى تشريده ص ٩٢ .
(٤) الدكتور سامي سعيد الاحمد — الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ١١ .
(٥) المصدر السابق ص ١١ .
(٦) الدكتور فؤاد حسنين علي — المجتمع الاسرائيني حتى تشريده ص ٩٢ .

وهناك نقاط للتشابه كثيرة بين الاصول الاولى للديانتين البابلية والاسرائيلية اعرضنا عن ذكرها بسبب خروجها عن موضوع بحثنا هذا ٠

بعد ذلك ننتقل الى تبيان اوجه التشابه بين الاصول الاولى للفكر الديني اليهودي والكنعاني ٠

ويعتبر التشابه بين الديانتين نتيجة طبيعية نظرا للتزاوج الحضاري الذي حصل بين قوم بدو رحل غير مستقرين تتنازعهم افكار مبعثرة وبين مجتمع زراعي معقد له معتقداته الثابتة وطقوسه المتميزة وابعاده الحضارية الواضحة ٠

« فأخذ العبريون الشيء الكثير من هذه الحضارة وتأثر دينهم باعتقادات ذلك المجتمع تأثرا كبيرا فجعلوا يقدسون الاله بعل ، احد الارباب الكنعانية ٠٠٠ واقتبسوا ايضا من الكنعانيين الفحش المقدس حيث كان العذارى ينذرن انوثتهن حال بلوغهن للاله وذلك بممارسة البغاء مع رجال المعبد ومرتاديه (١) وكذلك البكاء على الاله تموز حيث يعتقد الكنعانيون - مثلهم مثل العراقيين القدماء وغيرهم - بموته صيفا ورجوعه الى الحياة ثانية عند الربيع (٢) وربما كانت هذه الفكرة من الافكار التي هيأت لفكرة المنقذ ٠ « وفي احوال كثيرة اصبح للكنعانيين واليهود معبد واحد فيه تمثال يهوه وتمثال بعل بل اصبح يهوه ينادى بعل وقد ظل ذلك الى عهد يوشع » ٠ (٣)

ويقول الاستاذ « ووترمن » في العلاقة بين الديانة اليهودية والكنعانية « لقد اصبح من المسلم به الان ان جميع الاعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح كانت بالاصل من الطقوس الدينية في كنعان

---

(١) الدكتور سامي سعيد الاحمد — الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٢١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢١ .
(٣) احمد شلبي — اليهودية ص ١٥٢ .

وان شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكون مجموعة من الشرائع لنا كل الحق ان نعتبرها اساسا من عهود ما قبل اسرائيل » ٠ (١)

كما يقول ايضا « ان التحقيقات الاركيولوجية التي يمكن ان تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود اي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية » ٠ (٢)

اما العلاقة بين الديانة اليهودية والديانة المصريــة القديمة ، فأهم نقطة للتشابه بينها تتمثل في مسألة التوحيد التي استعارتها اليهودية من الديانة الاخناتونية ، تلك الديانة التي تزعمها الملك اخناتون واعتبر اله الشمس هو الاله الوحيد الذي يستحق العبادة فجاءت الديانة اليهودية بقيادة موسى - واعتبرت الاله يهوه - اله الحرب - هو الاله الوحيد الذي يستحق العبادة ، وليســت مسألة التوحيد هي الوحيدة التي استعارتها اليهودية من المصرية بل انما استعارت ايضا عادة الختان ، تلك العادة التي درج عليها الشعب المصري الذي اعتبر نفسه ارقى من بقية الشعوب ، اذ لا يوجـد شعب قديم يجري هذه العملية عدا الشعب المصري ٠ (٣) وهنــاك نقاط للتشابه كثيرة بين الديانة المصرية والديانة اليهودية ، ونظرا لاهمية العلاقــة بــين هاتــين الديانتين نــرى من الافضل بحث تلك العلاقة تحت موضوع المنقذ موسى ٠ اما عن نوعية العلاقة بــين الديانة الهندية والديانة اليهودية فهناك نقــاط للتشابــه كثيرة سنحاول ان نذكر اهمها ٠

جاء في التلمود « ان اليهود الذين يرتدون عند دينهم بقتلهم يهوديا فان ارواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات او النباتات ثم تذهب الى الجحيم وتعذب عذابا اليما مدة اثني عشر شهرا ثم تعود ثانية وتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين ثم ترجع

---

(١) الدكتور احمد سوسة ، مدخل الى كتاب العرب واليهــود في التاريخ ص ٣٣ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٣٤ ٠
(٣) محمد العزب موسى — موسى مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي ص ٤٢ / ٤٣ ٠

الى جسد اليهود بعد تطهيرها » (١) وهذا نفس ما تذهب اليه العقيدة الهندوسية في نظرية التناسخ كما مر بنا • ومما يلفت النظر ان اليهود يقدسون المال الى ابعد الحدود ، اذ يعتبر الركن المادي من الاركان التي طغت على الكتب اليهوية المقدسة وهذا ما لاحظناه عند الهندوس • ثم هناك ملاحظة مهمة وهي ان الهنود ومعهم المصريون وبقية شعوب الشرق الادنى القديم - قد قدسوا البقرة وعبدوها وهذا ما يذكرنا بالسامري الذي عمل عجلا ليعبده ، ويعتقد الهندوس ان غير الهندوس نجس مفتقد للطهارة لا يجوز ان يدخل في بيوتهم او يأكل معهم وهذا ما يؤمن به اليهود ايضا وهناك نقاط للتشابه كثيرة سوى ما ذكرنا سنمره عنها عندما تدعو الحاجة الى ذلك •

بعد هذه المقدمة من الاصول الاولى للديانة اليهودية وتأثرها بالديانات المنتشرة في الشرق القديم نحاول ان ندخل في موضوعنا الذي يتمثل بالمنقذ وبادىء ذي بدء نقول اننا لا نستطيع ان نتكلم عن كل المنقذين الذين ظهروا عبر التاريخ اليهودي لان ذلك وحده يستغرق كتابا كاملا بيد أننا سنكتفي بذكر المهم منهم والذي يخدم غرضنا محاولين الايجاز قدر الامكان •

يهوه المنقذ الاول :

يعتبر « يهوه » المنقذ الاول لبني اسرائيل • وقبل التعريف به منقذا ، نود ان نعرفه كمصطلح ، باعتباره رب بني اسرائيل • واصل التسمية لا يعرف اشتقاقها على وجه التحقيق ، فيذهب بعض الباحثين الى انه من مادة الحياة او نداء الضمير الغائب اي « ياهو » (٢) ويذهب « ول ديورنت » الى ان الاسم « يهوه » هو احد الالهة الكنعانيين ، ويؤيد ذلك وجود قطع من الخزف من بقايا العصر البرونزي (٣٠٠٠ ق٠م) عليها اسم اله كنعاني يسمى « ياه » او « ياهوا » • (٣)

---

(١) ترجمة يوسف نصر الله — الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤٧ .
(٢) د. احمد شلبي — اليهودية ص ١٥٢ /١٥٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٥٤ .

بعد هذه المقدمة عن اصل التسمية نعود مرة ثانية الى الفكرة التي قام عليها هذا الكتاب الى كيفية تحقق فكرة الخلاص في رب اسرائيل « يهوه » أعن طريق حلول اللاهوت في الناسوت كما هي الحال في الهندوسية والمصرية وغيرهما ام عن طريق التجسد ؟

في البدء لم يحل (الله) في انسان او يتجسد فيه انما كان موجودا في الشيء الذي تقدسه العقيدة وليس في كل شيء ، وهذا يعني ان (الله) لم يكن قد تبلور عند بني اسرائيل كمفهوم واقعي باعتباره موجودا في كل شيء ، وانما يتحقق فعله في اللحظة الابداعية ، يفرح فيثيب ، ويغضب فيبطش ... فهو الحامي والمدافع والناصر لبني اسرائيل واعتبر (الله) بمرور الزمن مصدرا لكل شيء ، فهو مصدر الخير ومصدر الشر وانه اله الظلام واله النور .. اله الحب والفرح واله الدمار والخراب .

وقد حدث تبدل كبير في فكر « يهوه » كمنقذ بعد السبي البابلي ونتيجة لتأثر المعتقدات الاسرائيلية بالمعتقدات البابلية والزرادشتية فانتقل من التخصيص الى التعميم اولا ثم من كونه مصدرا للظلام والنور الى مصدر للنور فقط .

ولهذا يحق لنا ان نتكلم عن هذا المنقذ في مرحلتين الاولى هي قبل السبي البابلي والثانية بعده ، وكما قلنا سابقا فان (يهوه) في هذه الفترة أي قبل السبي ـ هو اله بني اسرائيل وحدهم باعتبارهم الامة المفضلة عنده .

ويتحدث انبياء بني اسرائيل عن « يهوه » في حماس واعجاب شديدين وينتظرون اليوم الذي يتجلى فيه بقوته الحقيقية ، عندما يأتي في العاصفة مطلقا الرعب واللهب محطما قوى الوجود ، ويخر له البشر سجودا لاراد لقضائه (١) . وان هذا اليوم سيكون يوما مشهودا لا مثيل له اذ فيه يتدخل « يهوه » في مجرى التاريخ البشري وينتصر على الوثنية فيعظم شعبه ويبدأ عصر جديد من الرخاء

---

(١) الدكتور فؤاد حسنين علي ـ اليهودية واليهودية المسيحية ص ١٩ .

والتقوى والسلام ۰ (١)

ونجد في سفر اشعيا وصفا لاله بني اسرائيل فيقول الـرب (المنقذ) في هذا السفر « انا انا الرب وليس غيري مخلص » ۰ (٢)

وترتب على ذلك أن حسب اليهود انهم شعب مختار ودللوا على هذا الاختيار وتلك العلاقة بين الله وبني اسرائيل بانها حدثت نتيجة لعقد زواج تم في سيناء بين الرب وبني اسرائيل ، وسجـل عقـد الزواج بينهما ، وكانت السموات والارض شهودا لهذا العقد ؟!۰ (٣)

يا ترى ما هي صفات هذا المنقذ ؟ ان اول صفـة يتصف بها « يهوه » انه ليس معصوما عن الخطأ ، وكثيرا ما يقع فيه ، وفـي كلام الرب الى صموئيل يظهر ندم الرب على انه جعل شاؤول ملكا لانه رجع من وراء الرب ولم يقم كلامه ۰ (٤)

وان الله نزق طائش كثيرا ما يغضب ويثور وكثيرا ما ينصـح الانسان ويرشده ولكنه في نفس الوقت يغويه ويوقع به وذلك بحكم طبيعته الازدواجية باعتباره مصدرا للخير والشر « فهو يرسل مـن يريد الى شيول وينتشلهم منها متى يشاء (٥) وشيول هي عالم الاموات اي ان الله ينزل العقوبة بداعي نزوة عابرة المت به وعندما تنفرج اساريره ويذهب عنه النحس يغفر ويثيب ، والغواية هـي احدى الصفات الاساسية التي يتميز بها (الله) ، اذ جاء في سفر التثنية « وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب الهك هـذه الاربعين سنة في الفقر لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك اتحفظ وصاياه ام لا فلذلك اجاعك واطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلمك انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل مـا يخرج من فم الرب يحيا الانسان ۰ ثيابك لم تبل عليك ورجلاك لم

---

(١) The Letter Prophets T. Hen Shaw 310 f.f.
(٢) اشعيا ٤٣ : ١١ .
(٣) د. احمد شلبي . اليهودية ص ١٨٧ .
(٤) صموئيل ١٥ ص ١٠ — ١١ .
(٥) الاصول الاولى لافكار الشيطان — الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٦ .

تتورم هذه الاربعين سنة فاعلم في قلبك انه كما يؤدب الانسان ابنه قد ادبك الرب الهك » • (١) من هذا النص نستطيع ان نستنتج استنتاجين اولهما ان هذا المنقذ قادر على الغواية والاغراء في كل وقت • اي يتحقق فيه الفعل الشرير وهذا ما يذكرنا بما وقع لبوذا مع الشيطان وما وقع لكرشنا ايضا •

اما الاستنتاج الثاني الذي نستنبطه من هذا النص ومن غيره هو ان الله يحمل اكثر من صفة الخالق والموجود في كل شيء وان اجزاء من روحه موجودة في الانسان والنبات والحيوان وهو الواحد الاحد الذي لم يكن له بنت ولا ولد وانما صار يتبنى الملوك بعدئذ ، وهو الحافظ المتفاني من اجل شعبه ـ شعب اسرائيل ـ والمدافع عنه في كل الملمات التي تحيط به ، وهو المفني المدمر الذي يحمل كل العناصر الشريرة في شخصه اي تركزت في الشخصية الالهية افعال الخلق والحفظ والفناء وهذا ما نجده في الثالوث الهندوسي • في براهما الخالق وفشنوا الحافظ وشينا المدمر •

وهناك صفة اخرى يتميز بها هذا المنقذ كونه بطلا محاربا شديد البأس فمن صفاته شن الحرب « فالحرب لديه شيء مقدس وفي سبيل « يهوه » يسقط كثيرون من ابطال اسرائيل في حومة الوغى وصفة حب « يهوه » للقتال تتجلى واضحة في نعته بلقب « يهوه حياء ون » اي يهوه قائد الجيوش » • (٢)

وكان اعتبار بني اسرائيل لربهم بطلا محاربا نتيجة طبيعية تتناسب مع طبيعتهم غير المستقرة المحاربة التي تبحث عن الامن والسلام ، وكان الله يتمثل لهم على شكل تابوت يسمى « تابوت » العهد » او « تابوت الله » (٣) او تابوت قائد الجيش • (٤)

« وكان يؤتى بتابوت العهد الى معسكر الجيش فيستقبل

---

(١) سفر التثنية ٨ : ٢ — ٦ .
(٢) دكتور فؤاد حسنين اليهودية واليهودية المسيحية ص ١٤ .
(٣) انظر صموئيل الاول ١٤ .
(٤) صموئيل الاول ٤.٤ وكذلك ٦ : ٣ .

بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر ، ويقع الذعر في قلوب الاعداء الذين يقولوا إ اله العبريين حضر اليهم » ٠ (١)

ويروى ان موسى كان اذ رأى التابوت قد حمل وتحرك يقول « قم يا يهوه واهزم اعداءك فيولون الادبار واذا ما بلغ التابوت مكان الجيش يقول « عد يا يهوه الى ربوات اسرائيل » (٢) ولا نعلم كيف يمتثل هذا البطل لأمر من رجل مرسل من قبله وهو موسى ؟!

ويحق لنا ان نتساءل ماذا يقصد الاسرائيليون بهذا التابوت حتى تكون له هذه المكانة في قلوبهم ؟ والجواب هو أن بني اسرائيل نظروا الى التابوت باعتباره عرش الاله « فالتابوت عند الاسرائيليين امتداد في الواقع لفكرة المركبة التي ينتقل عليها الاله، فهي المركبة عند قدماء المصريين التي كان يسافر فيها اله الشمس في المحيطات السماوية ، وفي كل مسيرة دينية تعتبر هذه المركبة وسيلة من وسائل التنقل او الانقاذ حيث نجدها متمثلة في اسطورة موسى » ٠ (٣)

بعد ذلك نحاول ان نأخذ شخصية الاله « يهوه » بعد السبي البابلي لنرى ماذا جرى من تغيير في هذه الشخصية الانقاذية ٠

والملاحظات ان هذه الشخصية الانقاذية ، اصبحت تتميز بثلاث صفات كانت نتيجة لتأثر الفكر اليهودي بالفكر الزرادشتي الذي كان منتشرا في بابل وتتمثل هذه الصفات بالنقاط التالية :

اولا : انتقال عبادة يهوه من التخصيص الى التعميم : اي اصبح يهوه بعد السبي البابلي عالميا يرعى كل البشر ويحافظ عليهم وليس قاصرا على بني اسرائيل وحدهم « وان عفو الله وغفرانه سيأتيان لغير اليهود ايضا وليسا مقتصرين على اليهود فقط » ٠ (٤)

---

(١) المجتمع الاسرائيلي حتى تشريده — دكتور فؤاد حسنين علي ص ١٦٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٨ وكذلك سفر التثنية ١٠ : ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦٨ .
(٤) الدكتور فؤاد حسنين علي اليهودية واليهودية المسيحية ص ٤٧ .

ثانيا : ان الله لا ياتي الا بالاعمال الخيرة والصالحة للانسانية اما الاعمال الشريرة فهي من عمل الشيطان ، فالشيطان الان قد وصل الى مرتبة رأس الارواح الشريرة كافة ، ومملكته في معارضة تامة لله والاثنان في نزاع دائم وانها لحرب ضروس لا بد من انتهائها اخيرا بانتصار الخير على الشر • (١)

ثالثا : ان الله لا ينقذ بني اسرائيل بنفسه وانما سيرسل اليهم منقذا هو « المسيح المنتظر » والملاحظ ان كلمة المسيح لم تعن المنقذ في الاصول الاولى للديانة اليهودية ولكنها اصبحت مرادفة لكلمة المنقذ الذي سيظهر من بيت داود (٢) وقد تبلورت فكرة المنقذ بعد السبي البابلي عند اليهود ونتيجة لما الم بهم من بؤس وشقاء وسنحاول ان نلقي الضوء على فكرة المسيح في حينها بعد ان حاولنا ان نعطي فكرة ولو موجزة عن المنقذ الاول « يهوه » •

المنقذ « موسى » :

يعتبر موسى اهم شخصية في التاريخ اليهودي فهو المنقذ والمخلص لهم الذي قاد شعبه من ارض مصر الى ارض كنعان لكي يخلق منهم شعبا متميزا له مقوماته ونظرا للاهمية التي تحظى بها شخصية موسى ، نرى من الافضل دراسته كمنقذ من خلال الكتب الدينية التي تكلمت عنه لا سيما التوراة ثم نحاول ان نلقي ضوءا على هذه الشخصية مستمدا من الابحاث العلمية الحديثة التي اضفت عليها بعدا اخر يختلف اختلافا كليا عما جاء في الكتب المقدسة •

تذهب التوراة الى ان فرعون قرر قتل الاطفال العبرانيين بعد تشاوره مع كبار رجاله لتزايد عدد العبرانيين وخوفه على نفسه وشعبه من ان يهدده العبرانيون في قادم الايام او بتعاونهم مع اعدائه •

وفي هذه الفترة التي قرر فيها الفرعون قتل الاطفال العبريين

---

(١) الدكتور سامي سعيد الاحمد / الاصول الاولى لافكار الشر والشيطان ص ٦٣ •

(٢) The Letter Prophets T. Hen Shaw 310 f.f.

ولد موسى ٠ وابتغاء لفهم دقيق لهذه الاسطورة نورد النص التوراتي كما هو ٠٠ « وذهب رجل من بيت لاوى واخذ بنت لاوي ٠ فحملت المرأة وولدت ابنا ٠ ولما رأته انه حسن خبأته ثلاثة اشهر ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد ان اخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر ، فرأت السفط بين الحلفاءفأرسلتأمتها واخذته، ولما فتحته رأت الولد واذ هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من اولاد العبرانيين فقالت اخته لابنة فرعون هل اذهب وادعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات ترضع لك الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت الفتاة ودعت ام الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وارضعيه لي وانا اعطي اجرتك فاخذت المرأة الولد وارضعته ولما كبر الولد جاءت به الى ابنه فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت اني انتشلته من الماء » ٠ (١)

اما النص القرآني فيقول « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ، واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على بطنها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون » ٠ (٢)

وبعد ان شب موسى في القصر الفرعوني شاهد في احد الايام رجلا مصريا يضرب عبرانيا من اخوته فاستنصره العبراني ، فقتل المصري ودفنه في الوحل (٣) ، ثم خرج في اليوم الثاني ورأى رجلين

---

(١) سفر الخروج ٢ : ١ــ١٠ .
(٢) سورة القصص ٧ و ٣ وكذلك سورة طه من ٣٧ــ٤٠ .
(٣) الخروج ٢ : ١٢ قارنه بسورة القصص اية ١٥ .

عبرانيين يتقاتلان ولما اراد ان يتدخل قال له الذي استنصره في اليوم السابق انك قتلت المصري بالامس وتريد قتلي اليوم ؟ (١) فعلم فرعون ان موسى هو الذي قتل المصري فأرسل في طلبه غير أن موسى هرب وسكن في ارض مدين . (٢)

وفي مدين اقام عند كاهن وتزوج ابنته (٣) وفيما كان يرعى غنمه ذات يوم مع امرأته ضل طريقه وجاء الى جبل حوريب « وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن لتحترق فقال موسى اميل الان لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى ، موسى ، فقال هاانذا فقال لا تقترب الى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة » (٤) واعطاه الله الرسالة وامره ان يذهب الى مصر لانقاذ شعبه من ظلم وجور الفرعون ، وفي القرآن جاء قول الرب « وانا اخترتك فاستمع لما يوحى » (٥) وان مشيئة الرب قضت بأن يفضل شعبه - اي شعب يهوه - على بقية الشعوب وان يرسل اليهم هذا المنقذ لتخليصهم مما هم فيه .

« وقد نشأ من هذا الايمان في عقلية اليهود القومية تخيلان اساسيان فاعتقدوا انهم شعب الله ، وبان الله ارسل اليهم منقذا عندما كانوا في الذل والاسر فتولد من التخيل الاول نظرية الترفع القومي ومن الثاني نظرية ظهور منقذ عندما تنزل بهم النوازل . بعد محاولة سرد قصة موسى كما وردت في التوراة نحاول الان ان نتعرف على شخصيته في ضوء البحوث العلمية التي تكلمت عنه ، واول ما سيلفت النظر هو هل شخصية موسى حقيقية ام مجرد اسطورة ؟

---

(١) الخروج ٢ : ١٣-١٤ قارنه بسورة القصص اية ١٩ .
(٢) الخروج ٢ : ١٥ قارنه بسورة القصص اية ٢٠-٢٢ .
(٣) الخروج ٢ : ٢١ .
(٤) الخروج ٣ : ٢-٥ قارنه بسورة القصص ٢٩-٣١ وكذلك سورة طه ٩-١٢ .
(٥) الخروج ٣ : ٦ - ١٠ قارنه بسورة طه ١٣ .

وحقيقة الامر انه ليست لدينا اية معلومات عن شخصية موسى سوى ما ورد في الكتب المقدسة وتراث اليهود و « ولكن بالرغم من ان وجوده يفتقر الى اليقين التاريخي التام الا ان الاغلبية الكبرى من المؤرخين يعتقدون ان موسى كان يعيش حقا ، وان الخروج من مصر تم تحت قيادته فعلا » (١) ولكن من هو موسى ما دام الامر قد استقر على وجوده في الوقت الحاضر ؟

« تكاد تجمع المصادر العبرية على ان موسى عبري وان اسمه مشتق من الفعل (واشا) ويشير معناها الى الخارج ، ولكن الادلة العلمية تبرهن العكس فموسى مصري قح » (٢) ٠

الادلة التي توردها التوراة على كون موسى عبريا هو أن الاميرة المصرية التي انتشلته من الماء هي التي اطلقت الاسم « موسى » على هذا الطفل وقالت لانني سحبته من الماء ، ولكن هذا الدليل لا يكفي ما دامت المصادر العبرية تدعي ان اسم موسى اشتقاق شعبي من اللغة العبرية ، فلا يمكننا والحالة هذه ان نعترض (او ربما كان من الهراء الافتراض) ان الاميرة المصرية لها المعرفة باللغة العبرية ٠ (٣)

ويذهب الاستاذ برستيد الى القول « من المهم ان نلاحظ ان اسم « موسى » اسم مصري فهو ببساطة الكلمة المصرية « موسى » Mose ومعناها « طفل » هي اختصار لاسماء من نوع « امخوس » ومعناه « امون ـ طفل » او « بتاحموس » ومعناها « بتاح ـ طفل » ٠٠ ثم اصبحت كلمة « موسى » بمعنى طفل ليست تعليلية الشيوع في الاثار المصرية ، ولا بد ان والد موسى ثبت قبل اسم ابنه اسم اله مصري مثل (آمون او بتاح) ، ولكن هذا الاسم

---

(١) موسى .. مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي) محمد الغرب موسى ص ١٧ ــ ١٨ ٠
(٢) الدكتور سامي سعيد الاحمد ــ الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ١٢ــ١٣ ٠
(٣) محمد العزب موسى ، موسى .. مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي) ص ١٧ــ١٨ ٠

المقدس امحى تدريجيا مع الاستعمال المستمر حتى اصبح الغلام يدعى موسى فحسب » • (١)

هناك امر في غاية الاهمية ، وهو ان كل المصادر اليهودية تنص على ان موسى من اولياء العهد المصريين « ومن معرفتنا لقانون وراثة العرش المصري القديم لا يمكن ان يرشح للتاج احد الا اذا كان من الخط المستقيم للملك او متزوجا من امرأة يسري في عروقها الدم الازرق ومن الخط المستقيم للعائلة المالكة • ولما لم يكن موسى متزوجا انذاك كما تنص النصوص لم يكن بد من ان يكون مصريا بحتا • (٢)

ولا نريد ان نذهب في اصل التسمية بعيدا ولنحاول الان ان نلقي ضوءا على ميلاد موسى وقد عرفنا سابقا ان ميلاد « موسى » قد احيط بجو رهيب تمثل في قتل كل الاطفال العبريين من قبل الفرعون، وقد نجا الطفل موسى باعجوبة •

نعتقد انه ليست هناك ضرورة تدعونا الى مقارنة هذه الاسطورة بما سبقها من اساطير • فالتشابه العجيب بين كل تلك الاساطير يجعل الباحث يظن انه ليست هناك ضرورة لاجراء مقارنة، بيد ان هناك اسطورة قريبة جدا من اسطورة مولد موسى التي ذكرتها الكتب المقدسة وبطل هذه الاسطورة سرجون الاكدي الذي اسس بابل حوالي عام ٢٨٠٠ ق٠م وتقول اسطورة سرجون « انا سرجون ، الملك العظيم ، ملك اكاد ، كانت امي سيدة عفيفة ، ولا اعرف لي ابا ، ولكن شقيق والدي كان يجوب الجبال وفي بلدتي ازو بيراني Azupirani على ضفاف الفرات حملت امي ـ السيدة العفيفة ـ بي فولدتني سرا ، ووضعتني في سلة من البردي اغلقت فوهتها بالقار والقت بي في النهر ، ولكن التيار لم يجرفني وانما حملني الى اكي Aki الذي كان يسحب الماء ، وبسبب طيبة قلب اكي الذي يسحب الماء رفعني من المياه ، ورباني كأبنه

(١) المصدر السابق ص ١٩ •
(٢) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ١٣ •

الخاص » . (١)

اما قصة هربه الى مدين بعد قتله المصري والتي اسلفنا الكلام عنها فهي تشبه الى حد كبير قصة سنوحي من المملكة الوسطى في مصر وهربه الى كدم (٢) .

بقيت عندنا من المسائل المهمة في موضوعنا ـ المنقذ موسى ـ مسألة الوحي والرسالة التي بشر بها بني قومه فأنقذهم من ظلم فرعون ، وهي اهم مسألة في رأينا تحتل مكانا بارزا في هذا البحث ، والسؤال الذي تثيره : هل كانت الديانة التي دعا اليها موسى اول ديانة توحيدية تدعو الى اله واحد احد يدعى « يهوه » ام انها تأثرت بديانات سبقتها ؟

يذهب بعض الباحثين الى ان الدين الذي بشر به موسى ما هو الا ما تعلمه من اهل مدين ليس غير (٣) . ولكن للعلامة فرويد رأيا اخر اذ يقول ان الديانة الموسوية لم تكن الا شكلا من اشكال الديانة الاخناتونية اذ تعتبر الديانة الاخناتونية اول ديانة شبه توحيدية بالمعنى الذي نعرفه الان عن التوحيد ، اذ اقتصرت تلك الديانة على عبادة الاله « آتون » الذي تمثل في شكل قرص الشمس ويعلل فرويد رأيه بأن موسى كان معاصرا لاخناتون واذا لم يكن معاصرا فقد جاء في فترة مقاربة للدين الاخناتوني الجديد .

ويبدأ فرويد نظريته بملاحظة التشابه الحرفي في اسم الاله في العقيدتين . ويقول « اذا كان التشابه بين الكلمة (آتون) والكلمة العبرية (ادوناي) والاسم المقدس في السريانية (ادونيس) ليس

---

(١) محمد العزب موسى ، موسى .. مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي) ص ٢٢ .
(٢) الدكتور سامي سعد الاحمد ـ الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية ـ ص ١٣ . للتوسع في قصة سنوحي بامكان القارىء الكريم ان يراجع الجزء الثاني من كتاب موكب الشمس لدكتور احمد بدوي (ص ١٠٥ ـ ١٢٠) حيث يجد فيه شرحا كافيا لهذه القصة التي تشبه الى حد بعيد قصة موسى .
(٣) المصدر السابق ص ١١ .

مجرد صدفة وانما نتيجة وحدة اصلية في اللغة والمعنى ، فعندئذ يمكن ترجمة الصيغة اليهودية السابقة كما يجب وحيث تقول الصيغة اليهودية، Schena Jiskal Adonai Elohenu Adonai Echoo «اسمعي يا اسرائيل ان الهنا اتون (ادوناي) اله واحد » ٠ (١)

ولكن يجب عدم اخذ الامور بهذه البساطة فقد يكون التشابه في الاسم مجرد صدفة فعلا فلا بد من البحث عن نقاط للتشابه اخرى لكي نتعرف على حقيقة هذا المنقذ ودينه ، وهناك مسألة مهمة ربما تفيدنا في كشف نقاط اللقاء بين الديانتين فمسألة العالم الاخر هي المسألة الثانية التي تتشابه بها كلتا الديانتين ٠ فالمعروف ان اخناتون عندما جاء بدينه الجديد حاول ان يبتعد ابتعادا كليا عن معتقدات الديانة التقليدية والتي كانت سائدة قبله ، واليهودية ايضا انكرت وجود عالم اخروي - متأثرة بالدين الاخناتوني - مع ان نظرية العالم الاخروي تتفق كما عرفت البشرية فيما بعد مع التوحيد المطلق (٢) ٠ واستمرت اليهودية لا تعرف شيئا عن العالم الاخروي الى ما بعد السبي البابلي حيث تأثرت بالمعتقدات الزرادشتية التي كانت فكرة العالم الاخروي من ضمن أفكارها ٠

واذ تعتبر هذه الحجة مهمة في دعم الرأي القائل بتأثر الديانة اليهودية بالديانة الاخناتونية الا انها لم تكن الحجة الوحيدة فهناك ايضا عادة الختان التي لم تمارس من قبل اي شعب عدا الشعب المصري « ويمكن ان نؤكد في ثقة ان البابليين والسومريين لم يزاولوا الختان وكذلك فان تاريخ التوراة يذكر الشيء نفسه عن سكان كنعان كما يبدو ذلك في قصة المغامرة بين ابنة يعقوب وامير ششيم » ٠ (٣)

وبذلك يكون الشعب المصري هو الشعب الوحيد الذي مارس

---

(١) محمد العزب موسى — موسى ٠٠ مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي) ص ٤١ ، ٤٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٢ ، ٤٣ ٠
(٣) محمد العزب موسى ، موسى ٠٠ مصريا (نظرية فرويد في التاريخ اليهودي) ص ٤٣ ٠

هذه العادة بسبب شعوره بأنه افضل من بقية الشعوب اولا ولشعوره بأن هذه العادة تجعل الانسان طاهرا نقيا كما ثبت من فحص موميات المصريين القدماء بل حتى من الرسوم الموجودة على جدران المقابر ٠ (١)

ولكن ما الذي دفع موسى الى ارغام شعبه على ممارسة عادة يمارسها شعب عدو هو الشعب المصري ؟

وحقيقة الامر ان التوراة متناقضة في اجابتها عن هذا السؤال ، فهي مرة تقول انها فرضت من قبل الرب كعلاقة على ميثاق عقد بين الرب وابراهيم (٢) ومن ناحية اخرى يذكر النص التوراتي في عبارة مبهمة ان الرب غضب على موسى لانه أهمل هذه العادة وكاد الرب ان يذبح موسى عقابا له على ذلك غير ان زوجته وهي امرأة من مدين انقذت زوجها من غضب الرب بان سارعت باجراء هذه الجراحة له !

ان جواب التوراة عن هذه المسألة لا يعطي الحل النهائي عن ممارسة هذه العادة اذا ادركنا ان المصريين هم اول من مارسوا هذه العادة وبذلك يرجع التساؤل السابق ما الذي دفع موسى إلى ارغام شعبه على ممارسة عادة بغيضة عليهم اعتادها اعداؤهم ؟

وتتحدد المسألة في كشف العلاقة الجدلية بين الذين يمارسون هذه العادة والذين لا يمارسونها ، فالذين يمارسون هذه العادة يعتبرون انفسهم مطهرين وانقياء وان بقية الاجناس قذرة لا تصل الى مستواهم وانهم فخورون بهذه العادة ويشعرون بأنهم اسمى واكثر نبلا وينظرون باستعلاء واحتقار الى الاخرين الذين يبدون في اعينهم غير نظيفين ، اما الذين لا يمارسون هذه العادة فيعتبرونها عادة شاذة للغاية وبغيضة لا تتناسب مع الناس الاسوياء ٠ (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

من تكييفنا لهذه العلاقة الجدلية نستطيع ان نفهم السر في اجبار اليهود من قبل موسى على ممارسة هذه العادة ، فلما كان موسى مصريا ، فمن المعقول جدا ان يكون مختتنا ونتيجة لذلك لا بد ان يكون قد شعر بنفس الشعور نحو الاخرين - غير المختتنين - ولما كان اليهود الذين غادر معهم وطنهم غير مختتنين ، فلا بد ان يكونوا بديلا جيدا عن المصريين ، فهو يرغب في تقديسهم وتمييزهم عن الاخرين وكعلامة لتلك القدسية ادخل عليهم عادة الختان ، لكي تساهم تلك العادة في عزلهم ومنعهم من الذوبان مع الشعوب الاجنبية ٠ ولا بد لنا ان ننوه بأن هناك نقطة اخرى للتشابه بين الاخناتونية واليهودية نجدها في تشييد اخناتون للاله آتون وبين المزمور (١٠٤) ٠ (١)

« اضافة الى عادة الختان » ثمة مظهر اخر لفكرة التسامي عن بقية الشعوب اقتبسه اليهود من المصريين الا وهو تحريم تناول لحم الخنزير لاتصال ذلك باسطورة تقول بأن الاله ست قد تنكر في شكل خنزير وهاجم الرب « حور » ولما كانت الشعوب الاخرى تأكل لحم الخنزير امتنع المصريون نساء ورجالا عن مصافحة الاجانب او تقبيلهم او استخدام ادوات مطبخهم خشية ان تكون قد تلوثت بلحم الخنزير ، وبفضل هذا انحصر اختلاط المصريين بالاجانب في حدود ضيقة للغاية ٠ (٢)

نشيد اتون	المزمور ١٠٤
وعندما تقرب في الافق الغربي وتظلم الارض كالموت ٠	تجعله ظلمة فيصير ليلا
ويخرج كل اسد من عرينه	الاشبال تزمجر لتخطف ٠
وكل ما يزحف انها تلدغ	فيه يدب كل حيوان الوعر ٠
وعندما يطلع النهار وتشرق في الافق ٠٠ تدق الظلام بعيد ٠	تشرق الشمس فتجتمع وفي مآربها تربض ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧ ، ٤٨ . للاطلاع على التشابه بين النشيد والمزمور راجع كتاب الحضارة المصرية للاستاذ جون ولسون ص ١٦٦ ٠

(٢) محمد شبل — مشكلة اليهودية في العالم — ص ٤٢ ٠

يستيقظ النـاس ويقفـون على الانسان يخرج الى عمله اقدامهم
جميع ما في الكـون يعملون مـن والى شغله في المساء ما اعظم اعمالهم
ما اكثر اعمالك اعمالك يا رب
انها تخفى عن نظر الانسان ٠ كلها بحكمة صنعت ٠
ايها الاله الاوحد الذي لا مثيل
له لقـد خلقـت الارض حسـب ملآنه الارض من غناك مشيئتك

وقبل ختام الموضوع عن المنقذ موسى هناك ملاحظة تستحق منا الاهتمام تتمثل في عجز موسى عن الكلام مع الشعب العبري اذ كان يعاني من العجر با لنطق (١) ولذلك كان عليه ان يلتمس مساعدة صديقه الحميم هارون الذي ذكرت كل الكتب المقدسـة بأنه اخوه ، اذ كان هارون هو الناطق بلسان صديقه موسى بـين جماعته ٠ (٢) « وهذا يؤيد ما افترضناه سابقا كون موسى مصريا ليس له القدرة على التكلم بطلاقـة باللغـة التـي كـان يعرفها العبريون وربما كانت العبرية كلغة تؤيد فرضيتنا الاخرى في كون هارون وموسى ليسا بالاخوين نسبا بل صداقة ومن ان هارون كان من العبريين ولذلك عرف لغتهم كل المعرفة » ٠ (٣)

بعد ذلك نقول ان النهاية التي حصلت لموسى كانت اساس التوقعات بمقدم المسيح اذ وجد في سفر النبي هوشع آثار مهمة لها دلالة عميقة تؤكد ان موسى الذي انقذ شعبه من ظلم المصريين لقي نهاية مروعة في تمرد قام به شعبه العتيد العاصي وقتله وان الديانة التي جاء بها قد هجرت في نفس الوقت ، والواقع ان هـذه

---

(١) محمد العزب موسى ، موسى .. مصريا (نظـرية فرويد في التاريخ اليهودي) ص ٥٣ ٠
(٢) الدكتور سامي سعيد الاحمد — الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية — صـ ١٩ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٢٠ ٠

المأثورة قد وردت في كتابات معظم الانبياء ففي اواخر عهد السبي البابلي انبثق الامل بين الشعب اليهودي في ان الرجل الذي اغتالوه سوف يعـود ليقـود شعبـه النادم التائب وكان هـذا الامل نتيجـة الشعور بالخطيئة تجاه القائد الذي حررهم واساس التوقعات بمقدم مسيح منتظر ٠

كـورش منقـذا لليهـود :

كورش هو احدى الشخصيات المهمة في التاريخ الفارسي ، اذ يعتبر مؤسسا للامبراطورية الفارسية بعد ان وحد بين ماوي وفارس (٥٥٨ ـ ٥٣٠ ق٠م) ٠

وكما نعرف فان كورش شخصية فارسية فما الذي دعا اليهود الى اعتباره مسيحا ومنقذا ونحن نعلم ان العبريين متعصبين لا يرتضون بقادة من غير الاسرائيليين ، اضافة الى ان كتبهم المقدسة اكدت اكثر من مرة على ان المسيح المنتظر سيكون من بيت داود ؟

ولكي نعرف رأي اليهود بمنقذهم ومسيحهم المنتظر نود ان نلقي الضوء على ولادة هذا المسيح الفارسي (كورش) ، لنرى هل كانت ولادته كأي ولادة عادية أم تعرضت لما تعرضت له ولادة غيره من الابطال الذين اسلفنا ذكرهم ؟

وتذكر الروايات الفارسية ان الملك استيانس ـ جد كورش لامه قرر ان لا يزوج ابنته من احد الامراء الماويين لحلم رآه وفحواه انـه رأى مجرى ماء يخرج من ابنته ويغمر عاصمته وجميع آسيا فاستدعى الكهنة المجوس لتفسير الحلم واخبروه بأن ولدا من ابنته سيأخذ منه الملك (١) ، فزوجها من رجل من الاسر الشريفـة في فارس اسمه قمبيز ، ولكنه رأى حلما اخر كأن كرمة نمت تحت رحم ابنته وظللت جميع آسيا (٢) ، فقرر قتل الطفل ووضع على الام حراسة شديدة ،

---

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حـ ـ ٢ طه باقر ص ٤٠١ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٠١ ٠

ولكن الشخص الذي كان يحرس الام حتى يقتل مولودها الجديد ، اخذته رعشة ورهبة غريبة عندما رأى المولود الجديد فقرر ان لا يقتله فأودعه الى احد رعاته « وفتحت له المشيئة الازلية ابواب السماء الفطرية واخذه فضاء الجبال والصحارى يربيه في حجره ، حتى اتت الساعة التي ظهرت فيها مواهبه العظيمة » ٠ (١)

وتذكرنا ولادة كورش بولادة كرشتا وولادة زرادشت عندما هم الحاكم بقتله ولكن اخذته رعشة غريبة فقرر تركهما - وحري بنا في هذا المقام ان نتذكر ولادة كلكامش فقد روى الكاتب الروماني (تلوديوس اليانوس) قصة طريفة عن كلكامش تفيد ان جده لامه تنبأ له بعض الكهنة الكلدانيين بأن الابن الذي ستلده ابنته (اي كلكامش) سوف يغتصب منه العرش ٠ ولذا جهد الملك في القضاء على حفيده بأن رماه من اعلى الحصن ٠ ولكن بدلا من ان يموت الطفل تلقفه نسر طائر ٠ ثم التقطه بعدئذ احد خدم القصر ورباه فلما كبر استولى على عرش بابل وحكمها ★ ٠ وهناك اسطورة يونانية مضاهية للاساطير المذكورة آنفا وردت عن الملك (ارجوس) ٠ (٢)

لقد كانت هذه الاسطورة في ولادة كورش بداية وتبشيرا بأن يكون حكيما ونبيا عظيما او قائدا منقذا للعالم من الظلم والبؤس الذي حل به ، وربما ادرك كورش الجوانب الخيرة في شخصه - كما ادرل ذلك الاسكندر - فحاول ان يبث افكاره اينما حل مبشرا بالسلام والحرية والعدل ٠

اذا تفقنا على كل ذلك تبقى هناك مسألة مثيرة للتساؤل : كيف تحقق ان يكون كورش مسيحا منتظرا لبني اسرائيل ؟!

وللاجابة عن هذا السؤال من الافضل الرجوع الى الكتب الدينية

---

(١) ابو الكلام ازاد — ثقافة الهند م — ١ ع — ١ (شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن) ص ٦٤ .

★ نعتقد ان هناك خطأ اذ ان كلكامش لم يستول على عرش بابل بل الوركاء .

(٢) طه باقر — ملحمة كلكامش — هامش ٢٦ ص ٢٩ .

اليهودية التي تقرر ان نبوخذ نصر وضع حـدا في سنة ٥٨٧ ق٠م لاستقلالهم وسمل اعين ملكهم وقتل ابنه امامه ونهب معبدهم في القدس وحمل الكثيرين منهم الى بلاد بابل ليعيشوا في أسر وشبه عبودية مع الجماعة التي ارسلها مع الملك جيهو ياكم وحزقيال سنة ٥٩٨ ق٠م ٠

ونعـرف انهـم عاشـوا فـي منطقـة ابيـت في ذل واستعباد فـي ارضـ غريبـة واستبيحـت نسـاؤهـم فاخـذوا ينتظـرون فـي هـذا الوضـع منقـذا يخلصهـم مما هـم فيـه من كرب وبـلاء ولا بـد انهـم انتظـروه مـدة طـويلـة ليـأتـي علـى سحب السماء ولما طال الانتظار وضعف الامل في المنقذ المنتظر مـن آل داود انسحب تفكيرهم الى منقذ من خارج اسرائيل له الامكانية الواقعية لتبديل واقعهم المرير الى واقع مزدهر يعيد لهم مملكتهم في فلسطين (حسب ادعائهم) ٠

وقد خرجت عدة نبوءات تتكلم عن هذا المنقذ الجديد والذي ارسله رب اسرائيل لانقاذهم واهم تلك النبوءات نبوءة النبي دانيال الذي رأى رؤيا تبشر بمولد منقذ جديد كما جاء في الاصحاح الثامن من سفر النبي دانيال « في السنة الثالثة من ملك بيلشاصر الملك ظهرت لي انا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء فرأيت في الرؤيا وكان في رؤياي وانا في شوشان القصر الذي في ولاية عيلام ورأيت في الرؤيا وانا عند النهر أولاي فرفعت عيني ورأيت ، واذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد اعلـى من الاخر والاعلى طالع اخيرا رأيت الكبش ينطح غربا وشمالا وجنوبا فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم وبينما كنت متأملا اذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الارض ولم يمس الارض وللتيس قرن معتبر بين عينيه وجاء الى الكبش صاحب القرنين الذي رأيته واقفا عند النهر وركض اليـه بشدة قوته ورأيته قد وصل الى جانب الكبش فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه فلم تكن للكبش قوة على الوقوف امامه وطرحه على الارض وداسه ولم يكن للكبش منقذ من يده » ٠ (١)

---

(١) سفر دانيال الاصحاح الثامن من ١ ــ ٨ ٠

ثم جاء في نفس السفر ان الملك (١) جبريل ظهر له وشرح الرؤيا قائلا ان الكبش ذا القرنين يحتل اتحاد المملكتين مارا وفارس ، اذ يستولي على الحكم ملك قوي لا تقدر على مواجهته كل الدول ، اما التيس ذو القرن الواحد الذي حارب الكبش فهو ذو القرنين - كما جاء في الرؤيا - فالمراد به ملك اليونان ، والقرن البارز بين عيني التيس يدل على اول ملك من اليونان اي الاسكندر المقدوني . (٢)

---

(١) سفر دانيال الاصحاح الثامن من ١٥ — ٣٦ .

(٢) لقد جاء في القرآن ذكر شخص في التاريخ لقب بـ « ذي القرنين » وكان حديث القرآن عن ذي القرنين — كما جاء في سورة الكهف — نتيجة لسؤال وجه من قبل اليهود لاحراج النبي محمد . اذ ان صيغة الاية تؤكد وجود سؤال ويسئلونك عن ذي القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا... » [انظر سورة الكهف الاية ٨٣ الى ١١٠] ويظهر من صيغة الاية ان الاسم او اللقب « ذي القرنين » لم يضعه القرآن من عنده بل الذين سألوا اطلقوا عليه تلك التسمية . وقد ذهب المفسرون المسلمون مذاهب شتى في معرفة معنى هذا اللقب فقال بعضهم ان القرآن لم يستعمله في معناه الظاهر بل اريد به الزمن . ولما كان هذا الملك قد امتد حكمه واتسع نطاق فتوحاته الى عهدين كبيرين لقب بذي القرنين ، ثم اختلفوا في تحديد مدة القرن فقيل ثلاثون سنة وقيل خمسة وعشرون سنة وقيل عشر سنين . وتذكر بعض الروايات الاسلامية انه عاصر ابراهيم الخليل وانه كان من الانبياء فذكره البخاري مع الانبياء القدماء وقدمه على ابراهيم الخليل . وذهب البعض الاخر الى ان احد ملوك اليمن لقب بهذا اللقب وكان هذا الاسم .

ولكن هذه النظرية قامت على دليل خاطىء لا يدعمه دليل تاريخي ومخالف لكل القرائن والشواهد فلم نسمع ان احد ملوك اليمن مد سلطانه جنوبا وشمالا وغربا وشرقا واراد السيطرة على العالم ، ثم اذا ادركنا ان السائلين هم اليهود نستطيع ان نقرر بانه لا يوجد اي مبرر ان يسألوا النبي عن شخصية عربية لا بد ان يكون تاريخها معروفا عند قريش ومحمد .

ثم قامت نظرية اخرى مفادها ان « ذا القرنين » المذكور في القرآن ما هو الا الاسكندر المقدوني وقد اشتهر بملكه وانتصاراته في الشرق والغرب والظاهر ان ابن سينا اول من قال بهذا في كتابه الشفاء فانه =

وتعتبر رؤيا دانيل بشارة لليهود بأن نهاية اسرهم ببابل وخلاصهم منوطان بقيام هذه المملكة ذات القرنين اي ان ملك مادا وفارس يغير على ملك بابل ويتغلب عليه ويحرر اليهود من اسرهم وفعلا تحقق الحلم واصبحت النبوءة ـ اذا صحت طبعا ★ ـ واقعا ، فان كورش قد حقق انتصاره الاول في الغرب والثاني في الشرق والثالث في الجنوب اي في بابل وكذلك تحققت النبوءة بخلاص اليهود ، فقد انقذهم كورش من الاسر وسمح لهم بالعودة الى فلسطين وبناء الهيكل من جديد (١) ، ولم تكن نبوءة دانيال الوحيدة كما قلنا فقد وجدت نبوءات في سفر النبي اشعيا وسفر النبي أرميا « تجد في الاول منها اسم غورش بعينه وانه كان النطق به في العبرية « خورش » ويعتقد اليهود ان كتاب اشعيا الف قبل غورش بمائة وستين سنة وكتاب ارميا بستين سنة ٠ (٢)

وقد جاء في سفر اشعيا ان الرب قد اخبره بتعمير اورشليم وستبنى مدن اورشليم بعد خرابها ، وان الرب قد ذكر انه ارسل عبده المرسل من قبله كورش ليتمم مسيرة الرب في بناء اورشليم ٠ (٣)

= عند ذكره مناقب « ارسطوطاليس » ذكر انه كان معلما للاسكندر الذي ذكره القرآن باسم ذي القرنين واثنى على ايمانه وسلوكه القويم . (راجع المقال القيم للاستاذ ابو الكلام ازاد في مجلة ثقافة الهند مجلد اول عدد اول بعنوان « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) .

★ في راينا ان النبؤات التي وردت في التوراة عن احداث لاحقة لا شيء لها من الصحة ، انما هي خدع واكاذيب وضعوها بشكل يبعث على صدقها فالذي نعتقده جازمين ان كل النبؤات عن خلاصهم من الاسر وضعت بعد خلاصهم وليس قبل وهذا امر ينطبق على توقعاتهم ونبوءاتهم .

(١) ابو الكلام ازاد — مجلة ثقافة الهند — ٢ — ١ ع — ١ « شخصية ذي القرنين المذكور » ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٣) سفر اشعيا ٤٤ — ٣٦ — ٣٨ وكذلك الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية . الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٢٨ .

وقد اعتبرت الديانة اليهودية كورش مسيحا منقذا مرسلا من قبل الله اذ جاء في سفر اشعيا ، وهكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما واصفاد ملوك اجل لافتح امامه المصراعين والابواب ، لا تقلق انا اسير قدامك والهضاب امهد اكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد اقصف » . (١)

ويظهر من النص السابق ان الله قد اختار مسيحه وعبده كورش لانقاذ شعبه المختار اي اسرائيل - وارسله لخلاصهم الابدي ، وكما يظهر فان الله هو الذي يسير امام المسيح كورش - ويمهد له الطريق ويفتح له كل الابواب المغلقة فهو المنقذ لارادة الله وقد كان لظهوره والنبوءات التي قيلت عنه اهمية كبيرة على النفسية اليهودية ، التي ما زالت تأمل ظهور منقذ كلما اصابت اليهود مصيبة وحلت بهم كارثة واخذت شكلها النهائي بمجيء مسيح موعود به . (٢)

الانبياء الاسرائيليون كمنقذين :

ظاهرة النبوءة لدى بني اسرائيل من الظواهر التي تستدعي من الباحث الوقوف عندها فلا يوجد دين من الاديان - حسب اعتقادنا - له من الانبياء كما لبني اسرائيل، ففي سفر الملوك الثاني تقرأ عن عدد من الانبياء يبلغ الخمسين نبيا وفي الملوك الاول تقرأ عن اربعمائة نبي في مكان واحد (٣) وكما قلنا فان هذا العدد الكبير من الانبياء له اسباب كثيرة لا مجال للدخول فيها ولكننا نستطيع ان نقول ان من الاسباب المهمة لظهور الانبياء هو وجود حالة ردة اولا بين بني اسرائيل فظهور النبي هو انقاذ بني اسرائيل من شركهم والحادهم وارجاعهم الى دين المعبود الواحد « يهوه » . ثم ظهور الانبياء في فترات تتسم باليأس حيث يظهر كثير من

---

(١) سفر اشعيا ٤٥ : ١-٢ .
(٢) مجلة ثقافة الهند - ٢-١ م-١ (شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن) ص ٦٣ .
(٣) الدكتور فؤاد حسنين ، اليهودية واليهودية المسيحية ص ٢٤ .

الانبياء على شكل قواد عسكريين لتخليص الشعب مما هو واقع فيه ولا يسعنا المجال لالقاء الضوء على كل هؤلاء المنقذين ولكننا سنأخذ منهم ما يخدم غرضنا في توضيح الفكرة التي قاموا من اجلها ، ولكن قبل القيام بذلك نود ان نرى مفهوم النبوة ، فما هي النبوة ومن هو النبي ؟

النبي هو الواسطة بين العابد والمعبود ، فهو الشخص الذي ينتقيه الله من الشعب - اي شعب - ليقوم بمهمة رسالته الى الناس ، يعمل على توثيق العلاقة بين الاله والناس وذلك ببث افكار الله بينهم وتخويفهم من غضبه وبأسه وجبروته ٠

ولكن السؤال الذي نطرحه الان ما هي المميزات التي يتميز بها الانبياء ؟ ونجد الجواب في التوراة بأن اهم ما يتميز به الانبياء عن سائر البشر هو حلول روح الله فيهم ، وقبل ان نشرح كيفية حلول الله فيهم نرى من الافضل ان نتعرف على الروح اولا ٠ وتدل لفظة الروح على معنيين « الاول هو الريح وهي قوة غير مرئية خارج الانسان تحدث تأثيرا مرئيا » (١) وكان الفكر الديني اليهودي يعتبر الريح ظاهرة من ظواهر الله غير المرئية اذ جاء في التوراة « وكانت الارض خربة وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » ٠ (٢)

والمعنى الثاني هو النسمة التي في الانسان ، وهذه النسمة اساس الحياة وجاء في التوراة « وجعل الرب الاله ادم ترابا من الارض ونفخ في انفه نسمة حيوة ، فصار ادم نفسا حية » ٠ (٣)

ومن هذا نستطيع ان نقول ان لفظة الروح تعني توحيد الادراك الظاهر لقوة الله بالادراك الباطن لحياة الانسان الداخلية » (٤) ٠

---

(١) الدكتور مراد كامل ، اسرائيل في التوراة والانجيل ص ٨٨ ٠
(٢) سفر التكوين ١ : ٢ ٠
(٣) سفر التكوين ٢ : ٧ وكذلك اسرائيل في التوراة والانجيل الدكتور مراد كامل ص ٨٨ ٠
(٤) اسرائيل في التوراة والانجيل - الدكتور مراد كامل ص ٨٩ ٠

فروح الله عندما تحل في النبي تجعله متقدما على بقية الناس ، وهذا المعنى قريب من المعنى الذي ذهب اليه القرآن « ويسألونك عن الروح قل الروح من عند ربك » (١) فهو عمل من الرب على كل الناس ولكن الانبياء تتميز ارواحهم عن بقية الناس باعتبار حلول الروح فيهم تقوية جسمانية لهم اما كيفية حلول روح الله على النبي ، فقد تقفز روح الله على النبي كما يقفز الطير الجارح (٢) ٠ وكان بعض الانبياء مثل « اليشع يجري طقوسا خاصة لاستقبال روح الله اذ جاء في سفر الملوك الثاني ان النبي اليشع كان يستدعي عوادا (عازفا على الاوتار) ليعزف له بعض الالحان حتى تأتي اليه روح الله (٣) ٠ وعمل النبي « اليشع » يشبه عمل انبياء « بعل » الكنعانيين » ٠

«وقد يقف النبي وقفة هادئة واذا ما حلت الروح به انطرح ارضا طول النهار والليل فاقدا وعيه ، وهو في حالة غيبوبة وقد يظهر في حالة تشبه حالة المجانين » ٠ (٤)

والنبي كالمجنون غير مسؤول عما يفعل فهو يأتي بحركات تريدها الروح ، ويتفق الانبياء الاسرائيليون بأن كل ما يصدر عنهم جاءهم من الله لذلك جرت عادة النبي اذ بدأ عظته « خاطبني الله (٥) والشخص الذي يختاره الله نبيا تتقد في داخله نار لا يستطيع اطفاءها « واذ سئل النبي عن طريقة مجيء الوحي حار ولا يذكر الا لحظات الغيبوبة التي حلت به » ٠ (٦)

كما ان النبي ـ باعتباره متميزا عن الاخرين ـ يسمع اصواتا لا تقع في الحاضر بل في المستقبل مثل صوت البرق الذي سيدوي فيما بعد (٧) وصراخ سكان المدن ومن دلائل الوحي ان تصيب النبي

---

(١) سورة الاسراء الاية ٨٥ .
(٢) اليهودية واليهودية المسيحية ـ دكتور فؤاد حسنين على ص ٢٥ .
(٣) سفر الملوك الثاني ٣ : ١٥ .
(٤) دكتور فؤاد حسنين ـ اليهودية واليهودية المسيحية ص ٢٥ .
(٥) ارميا : ٢٣ ، ١٦ وحزقئيل ١٣ : ٢ .
(٦) دكتور فؤاد حسنين علي ـ اليهودية واليهودية المسيحية ص ٢٩ .
(٧) ارميا ـ ١٦٨ .

اعراض فتجعله كالمجنون او من به مس فيحدثنا حزقئيل انه كان يشعر بأنه مغلول اليدين والقدمين ولا يستطع الحراك او الانتقال من مكان الى اخر (١) ويلتزم النبي باوامر خاصة فالنبي اشعيا مثلا قضى ثلاثة اعوام عاريا (٢) وحمل حزقئيل مرة ادوات منزله ودخل في فجوة بالحائط (٣) ولو اردنا ان نأخذ اعمال الانبياء هذه والتي تسمى الاوامر الخاصة من الله بروح علمية لوجدنا انها تشبه اعمال من بهم لوثة او اعمال المأبوبين والمنحرفين • ثم ان هؤلاء الانبياء تأكيدا على امكانية تخليصهم للشعب ومقدرتهم على انقاذه كانوا يأتون بكثير من المعجزات « فالعهد القديم يحدثنا ان بردة النبي الياس كانت تقسم مياه الاردن الى قسمين كما ان عصاة لها عجائب اخرى ويروى ان ميتا عاش بسببها » • (٤)

بعد ذلك نحاول ان نأخذ بعض المنقذين للتدليل على اهمية المنقذ في الفكر الديني اليهودي واول هؤلاء المنقذين بل اول منقذ للعالم ـ حسب اعتقاد اليهودية ـ هو النبي نوح الذي امره الله ان يعمل له فلكا ولابنائه ونسائه ومن كل زوجين اثنين من النبات والحيوان اذ سيصيب الارض الطوفان نتيجة الخطيئة التي ارتكبت على هذه الارض ، ولنأخذ النص التوراتي حتى يمكننا مقارنته بغيره من النصوص « فقال الله لنوح نهاية كل البشر قد اتت امامي ـ لا بد ان الارض امتلأت ظلما منهم انما انا مهلكهم مع الارض اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار وهكذا تصنعه ـ ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسون ذراعا عرضه وثلاثون ذراعا ارتفاعه وتصنع كوى الفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق • وتضع باب الفلك في جانبه ، مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية • تجعله ، فها انا آت بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه روح حيوة من تحت

---

(١) الدكتور فؤاد حسنين علي ـ اليهودية واليهودية والمسيحية ص ٢٩ .
(٢) اشعيا ٢٠ : ٣ .
(٣) حزقئيل ١٢ : ١ .
(٤) الدكتور فؤاد حسنين علي ـ اليهودية واليهودية المسيحية ص ٢٦ .

السماء ٠ كل ما في الارض يموت ولكن اقيم عهدي معك فتدخل الفلك انت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك ٠ ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكرا او انثى » ٠ (١)

وهذا النص التوراتي يذكرنا باسطورة ماني الهندية ومن المؤكد ان اسطورة نوح قريبة من اسطورة « يما » الزرادشتية والتي ذكرناها في فصل الزرادشتية اذ نجد ان الحدث القصصي يكاد ان يكون واحدا في كلتا الاسطورتين لولا ان الفار « VOR » الذي عمله « يما » كان وقاية من الثلج بينما فلك نوح كان للوقاية من الطوفان اي ان الفرق جغرافي بيئي كما قلنا ذلك سابقا كذلك ورد النص في ملحمة كلكامش ، حيث ان الحكيم (ابوتانشتيم) انقذ البشر والحيوان من الطوفان بأمر من الالهة ٠ ان العهد الذي قطعه الرب مع نوح لم يسقط بل استمر مع ابراهيم وكل اولاده اذ ارسل الرب ابراهيم منقذا ومخلصا وايده بروح من عنده واورثه الارض ليسكن فيها هو ونسله وتعهد له بأن يرعاه ويدافع عنه ويحميه ٠ كما تؤكد ذلك الكتب المقدسة اليهودية !!

اذ جاء في التوراة « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » ٠ (٢)

ومنذ عهد ابراهيم فقد حظى الله بني اسرائيل وحدهم برعايته باعتبارهم خير الامم ـ كما يدعون ـ وقد وعدهم بأن يعطيهم فلسطين اذ يقول النص التوراتي « واجتاز ابرام في الارض الى مكان شكيم ، الى بلوطة مورة ٠ وكان الكنعانيون حينئذ في الارض وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض » (٣) وتأكد عهد الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه « ارفع عينيك وانظر

---

(١) تكوين ٦ : ١٢ــ١٩ ٠
(٢) تكوين ١٥ : ١٨ــ٢٠ ٠
(٣) تكوين ١٢ : ٦ ٠

من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لان جميع الارض التي انت ترى ، لك اعطيها ولنسلك الى الابد » ٠ (١)

وتأكد عهد الرب ليعقوب اذ يقول النص التوراتي « وهو ذا الرب واقف عليها فقال : انا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ٠ ٠وها أنا اكون معك واحفظك حيثما تذهب واردك الى هذه الارض لانيلا اتركك حتى افعل ما كلمتك به » (٢) ٠ ويذهب الاسرائيليون سواء القدماء او المحدثون الى ان الرب قد خص بني اسرائيل وحدهم برعايته ، وهذا الرأي يخالف الحقيقة فاننا حتى لو قبلنا هذه الاسطورة بكل ما جاء فيها فان عبارة « لنسلك اعطي هذه الارض » تعني الى نسل ابراهيم وكما نعلم فان نسل ابراهيم اولاده اسماعيل واسحق ٠

وبالاضافة الى وعد الله المنقذين الذين ارسلهم الى الارض ـ ليعطيهم الارض فقد وعدهم بأنه سينصرهم على اعدائهم (اي سكان البلاد الاصليين) اذ جاء في نص التوراة « ها انا قاطع عهدا قدام جميع شعبك افعل عجائب لم تخلق في كل الارض وفي جميع الامم ٠ فيرى جميع الشعب الذي انت في وسطه فعل الرب ان الذي انا فاعله معك رهيب احفظ ما انا موصيك اليوم ها انا طارد من قدامك الاموريين والكنعانيين والحيثيين والغزريين والحوريين واليبوسيين » (٣) وقد وعد الله مرسليه اضافة الى الارض والانتصار الحربي بواقع اقتصادي مزدهر اذ جاء في النص التوراتي « ومن اجل انكم تسمعون هذه الاحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب الهك العهد والاحسان اللذين اقسم لابائك ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة ارضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك واناث غنمك على الارض التي اقسم لابائك انه

---

(١) تكوين ١٣ : ١٤ــ١٥ .
(٢) تكوين ٢٨ : ١٣ــ١٥ .
(٣) الخروج : ٣ : ١٠ــ١١ وراجع ايضا سفر التثنية ٧ : ١ــ٥ / ٧ : ٩ / ٨ ، ٢٠ / ٩ : ١ــ٣ .

يعطيك اياها مباركا تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك » • (١)

فنرى من النصوص السابقة ان الله وعد انبياءه بالارض والانتصار الاقتصادي والحربي متى اتبع بنو اسرائيل اقوال هؤلاء المنقذين وعملوا باوامرهم وكما لاحظنا من النصوص السابقة ان فكرة المنقذ عند بني اسرائيل وفي الاحوال الطبيعية تنحو منحى ماديا بعيدة عن المفاهيم الغيبية ، اذ لا يفكر بنو اسرائيل في منقذ منتظر الا عندما يصيبهم البؤس والشقاء وبذلك تتبدل مهمة المنقذ حسب الاحوال، فاذا كانت الاحوال طبيعية تكون مهمة المنقذ زيادة المكاسب والحفاظ عليها واذا كانت الاحوال سيئة تكون مهمة المنقذ فك الاغلال عن رقبة شعبه ، وربما كان (زربابل) الذي انتظروه طويلا من كبار المنقذين عندهم ليعيد لهم بناء الهيكل ، ولكن لا نعرف ماذا حدث لزربابل حيث اختفى من التاريخ وماتت الامال العظام ، ولكن فكرة المنقذ بقيت حية عند الاسرائيليين (٣) تتجدد كلما المت بهم الكوارث •

ومن الانبياء المنقذين الذين ظهروا في تاريخ اسرائيل « القضاة الاثنا عشر » ونظرا لاهمية هؤلاء القضاة واعتبار سفرهم من الاسفار المقدسة رأينا من الافضل الكلام عنهم بشيء من الايجاز كخاتمة لبحثنا الانبياء كمنقذين لبني اسرائيل • وكلمة « قضاة » لا تنصب على السلطة القضائية كما نفهم من مدلول هذا اللفظ بل هم مجموعة من القواد العسكريين الذين قادوا بني اسرائيل في حروبهم •

والاولى بنا ان نأخذ اصل التسمية « قضاة » من اللغة العبرية حتى تسهل مهمتنا •

---

(١) سفر التثنية ٧ : ١٢ — ١٤ وراجع ايضا تثنية ٦ : ٣/٨ : ١٨ وتكوين ٨ : ١٥ ومن مع ٦ : ٦—٧ / ١٣ : ١٦ / ١٧ : ١٤—٦ / ١٦ : ٤ / ٢٨ :

(٢) The Letter Prophets T. Hen Shaw 310 f.f.
٤ / ٤٨ : ٤ .

(٣) سفر حجى ٢ : ٢ — ٢٣ .

ولفظة « قضاة » في اللغة العبرية « شوفطيم » وتؤدي هذه اللفظة عندهم معنى الحكم ، والسلطة الادارية ، والمنقذ ، وهـذا النوع من الحكم هو حكم عسكري مطلق ، وقد سموا ايضا مخلصين لان اقامة احدهم كان لتخليص الشعب من ايدي الاعداء » ٠ (١)

ولو رجعنا الى سفر القضاة لوجدنا ان حقبة القضاة كانـت (٣٥) سنة ويحتوي السفر على واحد وعشرين فصلا فيه كثير من اعمال البطولة والاعاجيب الخارقة الخارقة في وصف القضاة !! (٢)

وعهد القضاة هو عهد حرب بني اسرائيل مع اعدائهم وهـذا ما يؤكده سفر القضاة نفسه الذي يقـول (وصرخ بنو اسرائيل الى الرب فاقام الرب مخلصا لبني اسرائيل فخلصهم عيثنئيل بن قناز اجا كالب الاصغر فكان عليه روح الرب ، وقضى لاسرائيل وخرج للحـرب) ٠ (٣)

« وصـرخ بنو اسرائيـل فاقـام لهم مخلصا اهودين جـيرا البتياميني » ٠ (٤)

ومن بين شخصيات القضاة المهمة شخصية شمشون الـذي اصبح قاضيا على اسرائيل عشرين سنة (٥) واستطاع ان يزعج الفلسطينيين ويهزمهم في اثنتي عشرة جولة (٦) كما جاء في التوراة، وقد حكى لنا سفر القضاة عن ولادة شمشون ما يشبه ولادة غيره من الابطال والمنقذين فيقول السفر ان شمشون ولد لامرأة عاقر تراءى لها الملاك وبشرها وقال لها سيكون لك ابن ناسك للرب ويكـون بدء خلاص اسرائيل على يديه ٠ في الختام نستطيع ان نقول ان عدد

---

(١) دكتور مراد كامل الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٦٢ .
(٢) محمد عزة دروزة ــ تاريـخ بنـي اسرائيل مـن اسفارهم ــ ص ١٢٢ / ١٢٣ .
(٣) القضاة ٣ : ٩ــ١٠ .
(٤) القضاة ٣ : ١٠ــ١٥ .
(٥) تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ــ محمد عزة دروزة ص ١٢٩/١٣٠ .
(٦) راجع سفر القضاة الاصحاحات ١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ .

القضاة الاثني عشر مرتبط بمسألة الابراج البابلية الاثني عشر وهذا ما يذكرنا بالحواريين الاثني عشر والائمة الاثني عشر في الفكر الشيعي ٠

المسيـح المنتظـر :

لم تشغل قضية من القضايا بال اليهود كقضية المسيح المنتظر ، وقد تحدث معظم الانبياء والمنقذين الذين اسلفنا الاشارة اليهم عن عودة المسيح المنتظر لتطهير العالم من الظلم والبؤس ومن اجل سيادة السلام والعدل ، ففي سفر زكريا نقرأ عن دخول المسيح المنقذ الى القدس وهو راكب حمارا رمزا للسلام ، وليس حصانا رمزا للحرب وان نفوذه سوف يمتد من البحر ومن نهر الفرات الى نهاية الارض ٠ (١)

ان الامل بالمسيح نجده في الكثير من المزامير التي لا نعرف تاريخها بالضبط امثال (٢ : ٧-١٢ ، ٦٢ ٠٠) وفي سفر دانيال (٧ بـ ١٣-١٤) تقرأ ذلك الشبه بابن الانسان الذي يأتي على سحب السماء ويعطي المجد والملك ومملكة تخدمها جميع الامم والشعوب ٠ (٢)

في وصايا القضاة الاثني عشر فان المنقذ يرجع اصله الى قبيلة لاوي ويظهر كمحارب مهشم للشر (٣) ٠ ويقول النبي اشعيا ان دولة داود الجديدة ، ستقوم على العدالة والحق وستشمل كل العالم « لانه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام لنحو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الان الى الابد غيرة رب الجنود تصنع هذا » ٠ (٤)

---

(١) زكريا ٩ : ٩-١٠ ٠
(٢) The Letter Prophets. T. Hen Dhew 310.
(٣) المصدر السابق ٠
(٤) اشعيا ٩ : ٦-٧ ٠

ويقول ايضا « ويخرج قضيب من جذع يسىّ وينبت غصن من اصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع اذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الارض ويضرب الارض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه ويكون البر منطقة متنيه والامانة منطقة حقويه » ٠ (١)

« اما اشعيا الثاني فقد عنى بنبؤات السابقين واستنتج منها ما ينتظر العقيدة من تطور والشعب من مقدرات وانتهى من نبوءته الى الاعتقاد في ان اسرائيل ستصبح دولة عالمية ٠٠ ويبشر اشعيا الثاني في انانيته بمجيء عبد الله الذي ينشر العدالة بين البشر وينقذ العالم من طغيان الطغاة وعلى يد عبد الله تسود العدالة الالهية العالم » ٠ (٢)

وتكلم النبي فيها عن عودة المسيح المنتظر الذي سيخرج من بيت لحم ويعيد العدالة والحق الى سائر العالم (٣) وكذلك النبيان حجى وزكريا تكلما عن عودة المسيح المنتظر (عبد الله) ليخلص العالم من المصائب والنكبات (٤) ٠ وقبل ان نستمر في سرد النبؤات عن عودة المسيح المنتظر نرى من الافضل التعريف بكلمة مسيح لنرى ماذا تعني هذه الكلمة ٠

« ان المعنى الحرفي للفظة « مسيح » هو الممسوح بالزيت وقد استعملت هذه الكلمة لاول مرة في العهد القديم في صموئيل الاول» (٥) اذ جاء في سفر صموئيل الاول « فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله ، وقال أليس لان الرب قد رسمك على ميراثه رئيسا » ٠ (٦)

---

(١) اشعيا ١١ : ١ــ٥ .
(٢) دكتور فؤاد حسنين علي ــ اليهودية واليهودية المسيحية ص ٤٠/٤١ .
(٣) مينا ٥ : ١ــ٣ .
(٤) انظر حجى ٢ : ٣٢ وزكريا ٦ : ١٢ / ٢ : ٨ــ١٣ / ٦ : ١٣ .
(٥) دكتور مراد كامل ــ اسرائيل في التوراة والانجيل ص .
(٦) صموئيل الاول ١٠ : ١ .

وقد اكد الفكر الديني اليهودي على ان المسيح المنتظر سيكون من بيت داود « متى اكملت ايامك واضطجعت مع ابائك ، اقيم بعدك نسلك الذي يخرج من احشائك واثبت مملكته » (١) ٠ ولا نستطيع في هذا المجال ان نذكر كل النبوءات عن عودة المسيح المنتظر لذا نكتفي بما قلناه محاولين البحث عن منشأ الفكرة ٠

وكما قلنا سابقا في هذا الفصل وفيما سبقه من فصول ، ان هذه الفكرة تبرز الى حيز الوجود كلما ساد الظلم والخوف والبؤس ولكن هناك من يرى ان فكرة « المسيح اليهودية » كانت خطوة ناشئة عن خطوات سبقتها وتلك الخطوات هي الاعتقاد بأن الخلق اجمعين ليسوا من ابناء ابراهيم ٠٠ وان الشعب اليهودي ارقى هذه الاجناس وتلك الامم ، وان الههم يهوه اعظم واقوى آلهة القبائل خطرا ٠ ونشأت عن هذه الافكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ ، رجاء ان يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التي طال الامد عليها » ٠ (٢)

بعد ذلك نحاول ان نتعرف على حالات ظهور المسيح المنتظر ، ما هي العلامات التي اكدها الفكر الديني اليهودي لظهور المسيح المنتظر ؟

يقول التلمود « لما يأتي المسيح تطرح الارض فطيرا وملابس من الصوف وقمحا حبة بقدر كلاوي الثيران الكبيرة ، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الامم تخدم ذلك المسيح وتخضع له وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي الفان وثمانمائة عبد يخدمونه وثلاثمئة وعشرة اكوان تحت سلطته » ٠ (٣)

ولا يأتي المسيح الا بعد انقضاء حكم الاشرار (الخارجين عن دين بني اسرائيل) (٤)٠وقبل مجيئه يكون شعب اسرائيل في ذل ومسكنة حتى ينتهي حكم الاجانب ويسيطر اليهود نهائيا على باقي الامم ونتيجة

---

(١) صموئيل الثاني : ٧ : ١٢ .
(٢) اليهودية ــ د. احمد شلبي ص ١٩٠ .
(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ص ٤٨ / ٤٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩ .

لسيطرة اليهود تقوم الحرب ويهلك ثلثا العالم ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقون الاسلحة التي اكتسبوها بعد النصر (١) ٠ وبعد ذلك تنبت اسنان اعداء بني اسرائيل بمقدار اثنتين وعشرين ذراعا خارجا عن افواههم (٢) ٠ ويقول التلمود ان المسيح المنتظر عند مجيئه ستستقبله كل الامم وتقدم له الهدايا فيقبلها ويغفر عنهم ويرفض هدايا المسيحيين ولا يقبلهم في دينه لانهم من نسل الشيطان (٣) ٠ ولا بد لنا ان نذكر ان اليهود اعتبروا عيسى بن مريم ملحدا كافرا خرج عن الدين وانه موجود في لجات الجحيم ، بين القار والنار وتزانت به امه عن طريق الخطيئة ، (٤) ولا يفوتنا ان نذكر بأن هناك كثيرا من اوجه التشابه في مسألة المسيح المنتظر بين الفكر الديني اليهودي والفكر الديني الزرادشتي ٠

فاليهود مثلا يعتقدون ان المنقذ الذي سيظهر في نهاية العالم ليكون ملكا لجميع الدنيا ستؤكل في عيده Behomothand Leviathan (٥) والـ (Leviathan) عبارة عن وحش ملتف اذ جاء في سفر ايوب بأنه التمساح مرة وانه التنين الاسطوري مرة وقد لعن ايوب ميلاده (٦) ٠ ويذكرنا (Leviathan) بالضحاك عند الزرادشتيين (ازدرها) ، اذ صوروه بصورة وحش على شكل ثعبان خرافي هو التنين مرة وصوروه على شكل مسيخ ذي ثلاثة رؤوس وست عيون وثلاثة افواه ٠٠ الخ ٠

وليست هذه النقطة الوحيدة في التشابه بين الزرادشتية واليهودية ، اذ يعتقد اليهود « ان العالم سيبقى الفي سنة في الارتباك والبلبلة ، والفي سنة في سيادة القانون « التوراة » والفي سنة بعد مجيء المسيح » (٧) وهذا نفس ما ذهب اليه الزرادشتيون

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩ ٠
(٤) الدكتور احمد شلبى ــ اليهود ص ١٩٢ ٠
(٥) J.G.R. Forlong (Encyclopedia of Religions Vol. 2528 f.f.
(٦) المصـــدر السابق ــ
(٧) ظفر الاسلام خان ــ التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٥٨/٥٩ ٠

اذ قسموا العالم الى اثنتي عشرة سنة طول كل دور ثلاثة الاف سنة اي ان العالم ينقسم الى اربعة ادوار في اخر هذه الادوار سيخرج المسيح المنتظر (سارأادشنيت) كما قلنا سابقا وهذا نفس ما ذهب اليه الهندوس اذ قسموا العالم الى عشرة ادوار وان فشنوا ظهر في تسعة من هذه الادوار وينتظر مجيئه في المرة العاشرة كما قلنا سابقا واعتقد اليهود ان المسيح المنتظر سيظهر من بحر الجليل (١) وهذا نفس ما ذهب اليه الزرادشتيون اذ اعتقدوا ان مسيحهم المنتظر سيظهر من بحيرة هامون ٠

« وهناك خلاف بين الحاخامات حول المدة التي يبقى خلالها المسيح على الارض ، فيقول البعض انه سيبقى اربعين عاما ، والبعض يقولون سبعين عاما ، والبعض الاخر ثلاثة اجيال وقال اخرون سيقضي على الارض المدة التي سبقت مجيئه منذ خلق العالم او منذ زمن نوح حتى الان » ٠ (٢)

ان اعتبار المسيح المنتظر قد وجد منذ خلق العالم تقترب من فكرة « يما » الزرادشتية حيث اعتبرته الزرادشتية المخلوق الاول لكنها - الزرادشتية - لم تعتبره المسيح المنتظر عكس اليهودية اذ اعتبرت المنقذ هو المخلوق الاول ٠

ويعتقد اليهود « ان المسيح سيموت ثم يخلفه ابنه ثم حفيده » (٣) وهذا نفس ما ذهب اليه الفكر الديني الزرادشتي كما مر بنا سابقا ٠

ومن خرافات اليهود في مجيء المسيح اعتقادهم ان حياة الناس حينئذ ستطول والطفل سيموت في سن المائة (المراد بالناس بنوا اسرائيل وحدهم ، اما الطفل فالاجانب) (٤) ٠

---

(١) J.G.R. Forlong (Encyclopedia of Religions Vol. 2528 f.f.

(٢) ظفر الاسلام خان ــ التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٦٠ ٠

(٣) المصدر السابق ص ٦٠ ٠

(٤) المصدر السابق ص ٦٠ ٠

ومن امارات مجيء المسيح عندهم اجتماع الاسباط وخضوعهم لملك واحد ، وهزيمة شعبي ياجوج وماجوج وانشقاق جبل الزيتون وجفاف وادي مصرايم (وادي العريش حاليا) (١) وخروج ماء عذب في اورشليم ومن بيت المقدس ويقوم الموتى من قبورهم (٢) وسيادة القانون والعدالة ورجوع الدين الى اصوله بعد القضاء على الشرك والالحاد .

ومن الجدير بالملاحظة ان آمال اليهود في مسيح منتظر لم تتوقف بل ازدادت كلما ، كانت النكبات ثقيلة ، والصعاب شديدة ، فظهر عيسى بن مريم وادعى انه المسيح المنتظر ولكن اغلبية اليهود رفضوا هذا الادعاء وقاوموه والقوا القبض على عيسى وحكم عليه بالصلب ولكن هذه المسألة لم تتوقف فيذكر لنا التاريخ ظهور مسيح بين فترة واخرى ، فظهر مسيح مزيف في فرنسا واخر في اسبانيا وفي غير ذلك من البلاد التي يوجد فيها اليهود ، ويذكر لنا التاريخ ظهور مسيح في القرن الثامن الميلادي في بلاد فارس ، ففي بلدة شيرين ظهر رجل من اليهود وادعى انه المسيح المنتظر ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين (٣) وفي نفس القرن ظهر فارسي اخر من بلدة اصفهان اسمه ابو عيسى حيث ادعى انه المسيح المنتظر وقاد جيشا قوامه عشرة الاف جندي مدعيا ان فلسطين لن تعود الا على اسنة الرماح فعاشت حركته فترة حتى استطاع ان يقضي عليها ابو جعفر المنصور . (٤)

وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهر اشهر مسيح مزيف لليهود وهو « سبتاي زيفي » وقد ولد زيفي عام ١٦٢٦ بعد اندلاع حرب الثلاثين في اوربا بثمانية اعوام (٥) وساورته نفسه ان يعلن انه المسيح المنتظر » (٦) بعد ان لاحظ انتشار الفكرة بين الناس ، حيث

---

(١) دكتور فؤاد حسنين ــ اليهودية واليهودية المسيحية ص ١١٥ / ١١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٥ / ١١٦ .
(٣) اليهودية ــ د. احمد شلبي ص ١٩٢ .
(٤) المصدر السابق ص ١٩٢ .
(٥) سليمان مظهر ــ قصة العقائد ص ٣٢٨ .
(٦) د. احمد شلبي ــ اليهودية ص ١٩٣ .

بدأ الناس يؤمنون ـ نتيجة للمذابح المروعة بينهم ـ بأن نهاية العالم قد دنت وان الحرب تمهيد لقدوم مخلص للبشرية وحددوا مجيئه عام ١٦٦٦ (١) ، ولما حل عام ١٦٦٦ اعلن (زيفي) اول رسالة له لليهود واختار لاعلانها يوما يمضيه اليهود في هم وحزن لانه يرتبط عندهم بذكريات اليمة .

وفي هذه الرسالة يقول « من اول ابن الله سبتاي زيفي مسيح ومخلص شعب اسرائيل الى جميع ابناء اسرائيل ـ السلام « لما كان قد قدر لكم ان تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وانجاز وعد الله الى ابنائه .. فلا بد ان تغيروا احزانكم فرحا وصومكم مرحا لانكم لن تبكوا بعد الان فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا اليوم الذي كان من قبل يقضى في حزن والام الى يوم عيد لاني ظهرت » (٢) . وبدأت القصص العجيبة تنتقل بين الناس ، في كل مكان ، بعضها عن سفينة غريبة بديعة المنظر ظهرت فجأة من شمال اسكتلندا .. قلاعها وجبالها من حرير وملاحوها يتكلمون اللغة العبرية ويرفعون عليها علما كتب عليه « اسباط اسرائيل » وقد فرح اليهود في كل مكان .. بل ان الكثيرين من المسيحيين المتدينين آمنوا بأن زيفي هو مخلص البشرية المنتظر ... (٣)

وقد بلغ من تصديق اليهودية ان الكثير منهم اخذوا يستقبلونه بعودة السيد المبارك المسيح ال يعقوب ★ ... ولبس الناس الفخر

---

(١) سليمان مظهر ــ قصة العقائد ٣٢٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٣١ وكذلك احمد شلبي ص ١٩٣ .
(٣) قصة العقائد ص ٣٣٠ .
★ فيما يتعلق بالمسيح المزيف « زيفي » نقلت ما كتب عنه من مصادر عربية لكتاب عرب ، وقد نقلت النصوص كما وردت من مصادرهم ولكن لي ملاحظات كثيرة حول هذه النصوص اذ في اعتقادي انها متأثرة بالدعاية الصهيونية والا هل تصدق ان الناس في ازمير وفرنسا وهولندا وانجلترا تجمعوا في الكنائس يغنون ويرقصون فرحين بقدوم المسيح اليهودي المنتظر ؟ وهل تصدق ان الاثرياء وزعوا ثرواتهم (!!) وباع بعضهم ممتلكاتهم باعتبار انه لم تعد لهم حاجة الى الثروات طالما ظهر المسيح المنتظر ؟
=

ما لديهم من ثياب ٠٠ في ازمير وفرنسا وايطاليا وهولندا وانجلترا وتجمعوا في الكنائس والميادين يرقصون ويغنون ووزع الاثرياء ثرواتهم وباع الاخرون ممتلكاتهم معتقدين انه طالما ظهر المسيح فلم تعد لديهم حاجة الى الثروات والاملاك (١) واعلن زيفي انه سيستعيد فلسطين وامجاد صهيون تلك التي حققها داود وسليمان (٢) ولكن املهم به خاب عندما القى القبض عليه في القسطنطينية وطلب منه السلطان ان يختار بين اعتناق الاسلام او الاعدام بتهمة الخيانة فاعتنق المسيح المنتظر « زيفي » الاسلام وبذلك ضاعت امالهم في زيفي واخذوا يبحثون عن امال اخرى في منقذ جديد ٠

= ان الشك صفة من صفات اليهودي فكيف يجوز لنا ان نصدق بهذه السرعة ان اليهود وزعوا ممتلكاتهم التي تعتبر جانبا مهما في عقيدتهم وباعوها بثمن بخس لان المسيح قد ظهر ؟ والذي ارتئيه على الكتاب العرب ان يمحصوا الواقعة قبل تصديقها .

ان اليهودي الذي عاش في القرن السابع عشر اكثر وعيا من ذلك الذي عاش في القرن الاول الميلادي فكما نعرف ان اليهود لم يصدقوا يسوع المسيح في ذلك الوقت فكيف صدقوا بـ « زيفي » دون تأكد من صحة ما ذهبت اليه ؟

(١) قصة العقائد ص ٣١٠ وكذلك احمد شلبي ص ١٩٢ .

(٢) اليهودية ــ احمد شلبي ص ١٩٣ .

الفصل الخامس

المنقذ في الديانة المسيحية

شخصية المسيح من الشخصيات المهمة في الفكر الانساني ، نظرا لما احتوته من احداث تصل الى حد الاسطورة · وقد كتب في شأنها مئات المجلدات ولا تزال ، باحثة منقبة في هذا الفكر وعلاقته بالدين اليهودي والبوذي والزرادشتي ··· الخ ·

وقد كان القرن الثامن عشر بداية جديدة للكتابة عن المسيح ، فقد ظهرت ابان تلك الفترة بحوث ودراسات تنفي وجود هـذه الشخصية فتذهب الى القول من ان المسيح ليس الا اسطورة صاغها بعض المفكرين لربط الناس بفكر معين وان قصة حياته شبيهة بخرافات كرشنه وبوذا واوزريس وادونيس وديونيس ···

وقد كان « بولنجوك وجماعته » يدعون ان المسيح قد لا يكـون له وجود على الاطلاق (١) ، وجهر (فولني Voleny) بهذا الشك نفسه في كتابه « خرائب الامبراطورية » الذي نشره عام ١٧٩١ · (٢)

لقد ادت هذه البحدث على مر الايام الى ثورة في التفكير لا تقل

---

(١) ول ديورنت ــ قصة الحضارة ج ــ ٣ ، م ــ ٣ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ·
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ·

شأنا عن الثورة التي احدثتها المسيحية نفسها نتيجة ازدياد النقد على الكتاب المقدس والتهجم الشديد على صحة ما ورد فيه ٠

ثم قابل ذلك جهود قوية لاثبات صحة الاسس التاريخية للدين المسيحي واستمرت هذه الثورة مائتي عام ٠

ويقول الاستاذ « هرمان ريماس » استاذ اللغات الشرقية في جامعة كمبردج والذي قاد هذه الثورة « ان يسوع لا يمكن ان يعد مؤسس المسيحية ، او يفهم هذا الفهم ، بل يجب ان يفهم على انه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب ، ومعنى هذا ان المسيح لم يفكر في ايجاد دين جديد ، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، ليوم الحشر الذي يحاسب فيه الارواح على ما قدمته من خير او شر » ٠ (١)

ولا نستطيع ان نورد كل الاراء التي تنفي شخصية المسيح بيد اننا نحاول الان ان نتساءل عن المصادر التي تشير الى حقيقة هذه الشخصية ، فما هي تلك المصادر ؟!

ان اقدم مصدر غير مسيحي ورد فيه ذكر المسيح هو كتاب قدمه اليهود ليوسفوس ★ جاء فيه ما يلي ٠٠ « في ذلك الوقت كان يعيش يسوع ، وهو رجل من رجال الدين ، اذ جاز ان نسميه رجلا لانه اتى باعمال عجيبة ، ويعلم الناس ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط ، وقد اتبعه كثير من اليهود وكثير من اليونان لقد كان المسيح » ٠ (٢)

يقول الاستاذ «ديورنت» قد تنطوي هذه السطور العجيبة على اصل

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

★ يوسفوس : ولد بسنين قليلة بعد صلب المسيح (٣٧م) . اما المؤرخون المعاصرون للمسيح سواء في فلسطين او روما واليونان فلم يذكروا لنا اي شيء عن هذه الشخصية وكانت هذه الحقيقة ولا تزال مهمة للغاية .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

صادق ، ولكن هذا الثناء العجيب على شخص المسيح مثار للشك اذا ادركنا ان الكتاب قدم من اجل التقرب للرومان • ونحن نعلم ان كليهما ـ الرومان واليهود ـ يناصبان العداء للمسيحية في ذلك الوقت !

ولا يفوتنا ان نذكر عن وجود اشارات في التلمود الى يسوع الناصري ولكنها من عهود متأخرة جدا مما يجعلها مجرد ترديد للافكار المسيحية •

ومهما كان الامر عن وجود المسيح او عدم وجوده وسواء اكان اسطورة ام حقيقة ، فان البشرية حملت وزر هذه الشخصية ووزر افكارها ، فالمسيحيون الاوائل قد لاقوا صنوف العذاب والقتل والتشريد على يد الدولة الرومانية التي ناصبتهم العداء وقتلت اعدادا كبيرة منهم •

والكنيسة عندما استتبت لها الامور اذاقت سكان الاقطار التي سيطرت عليها وتنفذت بها (العالم المسيحي) الوان العذاب باسم المسيح وفكر المسيح ، وليست بعيدة عنا محاكم التفتيش وما كان يجري فيها من صنوف التعذيب •

بعد هذه المقدمة نعود الى التساؤل الذي سرنا على ضوئه في هذا البحث من هو هذا المنقذ وكيف ولد ؟ وهل توجد في ولادته اعجوبة ؟ حاله حال بقية الابطال والمنقذين الذين اسلفنا الحديث عنهم •

وتطالعنا الكتب الدينية بأن ولادة المسيح تمت بمعجزة من قبل الرب ، حيث نزل ملاك الرب على امه « مريم » واعلمها انه ارسل لها من قبل الرب ليهب لها غلاما ، سيكون فيما بعد سيدا للعالم ووجيها في الدنيا والاخرة •

ونظرا لدقة هذه المسألة ـ اي ولادة المسيح ـ نرى من الضروري ان ننقل النص الانجيلي الذي تكلم في ذلك الخصوص ، حيث يطالعنا سفر لوقا (في الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة في الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود

اسمه يوسف واسم العذراء مريم ، فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها . ان الرب معك مباركة انت من النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله . وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن الرب يرعاه ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ويملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا ، فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تضلك فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله وهوذا اليصابات نسيبتك هي ايضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا لانه ليس شيء غير ممكن لدى الله فقالت مريم هوذا انا امة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها » . (١)

لقد ولد المسيح في بيت لحم اذ كان قد ذهب اليها يوسف النجار خطيب مريم الذي لم يتركها ، بعد ان حملت ، لرؤيا رآها في المنام تمنعه من ذلك .

وتمت الولادة في خان ، حيث ان يوسف النجار وزوجته بعد ان فقدان الامل في العثور على مكان مناسب يلجآن اليه بسبب من فقرهما ، اضطرا ان يبيتا فيه .

وفي ليلة الميلاد ظهر الملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم في الحقول المجاورة لبيت لحم وشاهدوا جمهورا من الملائكة مسبحين قائلين « المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة » . (٢)

فترك الرعاة قطعانهم وذهبوا الى المكان الذي دلهم عليه الملاك فرأوا الطفل في المزود .. عادوا وهم يمجدون الرب .

---

(١) انجيل لوقا ١ : ٢٦ـ٢٧ .
(٢) محمد ابو زهرة ـ محاضرات في النصرانية ص ٢٨ .

ويذكر متى - من بين الاناجيل الاربعة - ان ثلاثة من علماء المجوس كانوا يترقبون السماء فبدا لهم نجم شديد التألق فجاؤوا الى اليهودية (١) يهديهم النجم الذي عرفوه نتيجة خبراتهم السابقة « نجم مولود جديد » وهو ملك اليهود المنبأ به فعزفوا على الرحيل اليه ليسجدوا له ، وحملوا معهم هدايا من الذهب واللبان والمر ، وكانوا في مسيرهم يسيرون والنجم يهديهم الى الطريق هم ومن معهم من خدم · (٢)

ولما وصلوا الى اورشليم وسألوا عن مكان الملك المولود ، سمع « هيرودس » بذلك فارتاع (!!) وجمع الكهنة والكتبة من اليهود وسألهم عن المكان الذي ولد فيه المولود الجديد فقالوا له في بيت لحم حسب التنبؤات،فقال الملك هيرودس للمجوس اذهبوا الى بيت لحم وابحثوا عنه ثم اخبروني عن امره لأسجد له فذهبوا الى بيت لحم يهديهم النجم وقدموا الهدايا وسجدوا له ، ولحرصهم على حياة الطفل لم يرجعوا الى هيرودس · (٣)

وفي هذا الوقت ظهر الملاك في الحلم ليوسف وقال له قم وخذ الصبي وامه واهرب الى مصر لان « هيرودس » سيقتل الطفل عندما يناله ، وهكذا سافرت الاسرة الى مصر ·

وعندما علم « هيرودس » ان المجوس سافروا ولم يعودوا اليه امر بقتل جميع اطفال بيت لحم والبلاد التي تجاورها ممن لا تتجاوز سنه سنتين زاعما ان يسوع لا بد ان يكون احدهم · (٤)

وجاء في انجيل متى « فلما مات هيرودس اذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف في مصر قائلا قم وخذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل لانه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي ، فقام واخذ الصبي وامه وجاء الى ارض اسرائيل » · (٥)
من حين عودة الطفل يسوع الى ارض اسرائيل الى أوان بلوغه

---

(١) عبد الوهاب النجار — قصص الانبياء ص ٣٨٥ .
(٢) محمد ابو زهرة — محاضرات في النصرانية ص ٢٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٨ ولذلك عبد الوهاب البخار ص ٣٨٦ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) انجيل لوقا ٢ : ١٩—٢٢ .

الثلاثين وقت لقائه بيوحنا المعمدان ، لا نعرف عنه شيئا وان الاناجيل هي الاخرى صامتة عن هذه الفترة ·

ولكن بامكاننا القول ان عيسى كان مهتما بشؤون الدين اليهودي حريصا على تفهم اسراره ، ويبدو عليه السرور حين يسمعه (١) · وكان اكثر ما يحب « هو احاديث الهمس حول مجيء المسيح الذي يملأ كل تلك القلوب الحزينة بالفرح والسلام » (٢) · وفي تلك السن المبكر ، اصبح يلح عليه شيء في داخله بضرورة الحج الى اورشليم وتعلم الشريعة · (٣)

ويذهب الاستاذ « ديورنت » الى القول بأن عيسى لا بد وانه كان عرف شيئا عن الاسينين وعن حياة الزهد والشبيهة كل الشبه بحياة البوذيين وربما يؤكد البعض الاخر ان عيسى نفسه قد ذهب الى الهند « وتلقى تعاليم بوذا وآداب البوذية ، ولما عاد الى وطنه واخذ التعلم والوعظ كانت تعاليمه محاذية لتعاليم بوذا في الحث لى تكميل النفس وتهذيبها » · (٤)

ولعله قد سمع عن شيعة تدعى الناصرة (Mazarenes)اذ كان المنتمون اليها يعيشون في البرية في الناحية الاخرى من الاردن (٥) وكانوا يرفضون التعبد في الهيكل ويأبون التقيد بالشكليات ·

ولكن الذي اثار حماسته الدينية وحفز طموحاته ودفعها بقوة كبيرة ، هي افكار « يوحنا المعمدان » الذي كان له الاثر الكبير فيما حصل للسيد المسيح فيما بعد ·

ونظرا لاهمية هذه العلاقة واحتراز التكرار فاننا سنلقي ضوءا عليها من خلال تقويمنا لشخصية السيد المسيح ·

---

(١) ول ديورنت — قصة الحضارة ج — ٣ م — ٣ ص ٢١٥ .
(٢) سليمان مظهر — قصة العقائد ص ٣٥٩ .
(٣) سليمان مظهر — قصة العقائد ص ٣٥٩ .
(٤) عبد الوهاب النجار — قصص الانبياء ص ٣٨٧ .
(٥) ول ديورنت — قصة الحضارة ج — ٣ — م — ٣ ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

بيد ان الذي يجب ان نذكره هو ان نتيجة ذلك اللقاء بين المسيح ويوحنا ـ كما تؤكد الاناجيل ـ كان بداية هيام المسيح في الصحراء وفي البراري ولقائه مع الشيطان ، ذلك اللقاء الذي يذكرنا بلقاء بوذا مع الشيطان ـ الذي حاول ان يغويه اكثر من مرة ويحرفه عن مبادئه التي جاء منها ٠

يذهب متى في انجيله « ان المسيح هو ملك العالم ولكن ابليس اختلس عرشه ويريد ان يرده اليه تحت شرط واحد ، ان يسجد له ، وغاية ابليس من ذلك ان يحول المسيح عن الصلب والكنيسة عن آلامها وظاهر الامر حسن ولكن حقيقته هلاك الجنس البشري ٠ (١)

ونظرا الى ان تجربة المسيح مع الشيطان قريبة الشبه من تجربة بوذا مع الشيطان ، نحاول ان نعتمد في نقل هذه التجربة على انجيل « متى » حيث يقول « فبعدما صام اربعين نهارا واربعين ليلة جاع اخيرا فتقدم اليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزا فاجاب وقال ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة واوقفه على جانب الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل لانه مكتوب ان يوصي ملائكته بك فعلى اياديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك ٠

ثم اخذه ابليس الى جبل عال جدا واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » ٠ (٢)

وبعد عودته من البرية ونتيجة لتأثير يوحنا المعمدان في

---

(١) انجيل متى ٤ : ٢ــ١٢ ٠
(٢) انجيل متى ٤ : ٢ــ١٢ ٠

شخصيته ، اخذ يبشر بدعوته في خلق عالم جديد بعيد عن المرض والبؤس ٠٠ وابتدأ دعوته في اورشليم وهو يقول « توبوا لانه اقترب ملكوت السموات » ٠ (١)

وقد كلف نفسه وجوب القيام برسالته حتى كلفته حياته وفعلا فقد كانت ثورته على السلطات الكهنوتية والحكومية في ظرف قصير لا يتجاوز ثلاث سنين سببا مهما في القضاء على حياته من قبل كلتا السلطتين وسنعود الى تحليل ثورية المسيح عند تقويمنا لشخصيته فلا داعي الى الخوض في اسباب الثورة ونتائجها وانما نرى لزاما علينا في هذا الجزء من فصل المسيحية ان نبحث مسألة المنقذ في الفكر الديني المسيحي ما دام المسيحيون يعتقدون بعودة المسيح الثانية الى الارض بعد صلبه ٠

وترتبط فكرة المنقذ في الفكر الديني المسيحي ارتباطا كليا بفكرة المنقذ في الفكر الديني اليهودي ، فقد اعتمدت هذه الفكرة اعتمادا كليا عند المسيحيين على التراث التوراتي ٠

فعندما تنبأ يسوع عن ظهور ملك الله ظهورا ساطعا نورانيا ونهائيا كان متأثرا في ذلك بما ذهب اليه انبياء بني اسرائيل في تصوراتهم التي تؤكد تدخل الله في سير التاريخ اليهودي وهذه التصورات نجدها قبل مجيء المسيح موجودة في اوصاف الفصح وميثاق سيناء وفي تدخلات الله لتقويض الامبراطورية المضطهدة والمدن المعادية امثال اشور وبابل ٠ (٢)

فعندما اراد المسيح ان يؤكد دور الله في التاريخ حل عبارة « يوم ابن الانسان » محل عبارة « يوم الرب » باعتباره سينوب عن الله في تدخلاته في سير التاريخ اليهودي ٠

ولا يفوتنا ان نذكر ان عبارة « ابن الانسان » المرادفة للفظة « مسيح » موجودة في التراث اليهودي والمصري والعراقي والهندي وليست من ابتكار المسيحية ٠

---

(١) أ.م هودجكين المسيح في جميع الكتب ص ٣٨٥ .
(٢) ج ــ ديلورم ــ ابن الانسان ص ٢٥ .

ولكن الشيء الذي لا نستطيع ان ننكره ان يسوع المسيح عندما اراد ان يطبق عبارة « ابن الانسان » فقد جعلها فكرة متصاعدة واكسبها قيما قشيبة واول ما سيلفت نظرنا بعد عبارة « ابـن الانسان » المستعارة من الفكر اليهودي عبارة مجيء المسيح على سحب السماء في كثير من القوة والمجد (١) ، وهذه العبارة منقولة مباشرة عن سفر دانيال وكما عرفنا سابقا وعند كلامنا عن المنقذ في الفكر الديني اليهودي ان الريح والسحاب والعاصفة والنار هي بعض العلامات التي تصاحب ظهورات الله ومـا هـذه العلامات المادية الحسية الا لتنبىء عن حضورات الله فقد تنبأت عنه عندما كان على جبل سيناء (٢) او عبر الصحراء او ارسال ملاكه الى هيكل سليمـان ٠ (٣)

كما انها ستنبىء عن ظوره في اخر الازمنة عندما يتجلى ساطعا معلنا نهاية العالم (٤) ثم تذكر الاناجيل ان الناس سيشاهدون ابن الانسان « اتيا في كثير من المجد » (٥) « ان هذا التفصيل المضاف الى سحب السماء يوضح معنى السحاب : انه يدل على اشراك ابن الانسان بامتياز خاص بالله وحده » (٦) ٠

ان هذا المجد ملك خاص بالله غير قابل للتجزئة والاشتراك من قبل اي قريب من الله فلم يكن الفكر الديني اليهودي علـى استعداد لان يرى المسيح مشتركا في امتياز خـاص بابنـه وهو مجده (٧) ومجد الله هو عرشه وهو وحده الذي له حق تصدر الدينونة النهائية واتخاذ القرارات الجازمة فيها ٠ (٨)

---

(١) انظر انجيل لوقا ٢١ : ٢٧ وانجيل متى ٢٤ : ٣ وكذلك ٢٦ : ٦٤ وانجيل مرقس ١٣ : ٢٦ .
(٢) انظر سفر الخروج ١٩ : ١٦ـــ١٨ .
(٣) انظر سفر الخروج ١٦ : ٤ .
(٤) انظر سفر الخروج ٣ : ١ـــ٥ .
(٥) المزمور ٩٧ : ١ـــ٧ .
(٦) متى ٢٤ : ٣٠ و ١٦ : ٢٧ ومرقس ١٣ : ٢٦ ، ٨ : ٣٨ ولوقا ٢١ : ٢٧ ، ٩ : ٢٦ .
(٧) ج ـــ ديلورم ـــ ابن الانسان ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٨) المصدر السابق ص ٢٨ ، ٢٩ .

واذا وردت بعض الاشارات في سفر ملاخي بشكل خاص الى اشتراك ابن الانسان في مجد الله فان الفكر الديني اليهودي يتحفظ ازاء هذه المسألة بحيث لا يعطي « ابن الانسان » حق تنفيذ القضاء بمعزل عن الله ٠ (٩)

ولكن كل هذه التحفظات قد تلاشت في الفكر الديني المسيحي بحيث ان كل الامم ستتألب قدامه ، كما ان « ابن الانسان » قد حل محل الله في الدينونة الاخيرة التي صورها متى (١) وبذلك لا يدين ابن الانسان بدلا عن الله فحسب بل انه يدين اصالة عن نفسه وعن ابيه (٢) وذكرت الاناجيل ان « ابن الانسان سوف يأتي مع ملائكته » (٣) ٠ وسيكون للملائكة عند مجيئهم مع ابن الانسان شأن كبير اذ سيجمعون له جميع الامم ويتولون تنفيذ الاحكام التي يقررها ابن الانسان ٠ (٤)

وسيأتي ابن الانسان في ساعة غير متوقعة (٥) وان هذه الساعة غير المتوقعة بمثابة انذار للمؤمنين انفسهم « وانتم ايضا كونوا مستعدين لان ابن الانسان يأتي في ساعة لا تظنونها » ٠ (٦)

وعند عودة المسيح سيتجلى بمجده الالهي امام العالم اجمع « وعند مجيئه تتزعزع الخليقة كلها وسيدل مجيئه على انتهاء الزمن القديم حيث بقي مجد الله محتجبا عن الانظار كما يظهر مجيئه بداية الزمن الجديد حيث يملأ الله بجسده الخليقة كلها ولذلك سمي هذا اليوم الاخير يوم المسيح اي يوم مجيء الرب وحضوره ٠ (٨)

---

(١) انجيل متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦ ٠
(٢) المصدر السابق ٠
(٣) المصدر السابق ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ومرقس ٨ : ١٨ ولوقا ٩ : ٢٦ ٠
(٤) ج٠ ديلورم — ابن الانسان ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ٠
(٥) انظر انجيل متى ٢٤ : ٤ ؛ولوقا ١٢—٤٠ ٠
(٦) انظر انجيل متى ٢٤ : ٤٤ و ٢٥ : ١٣ ومرقس ١٣ — ٣٥—٣٧ ولوقا ٢١ : ٣٤—٢٦ والرؤيا ٢٢ : ١١ ٠
(٧) انجيل متى ٢٥ : ١٣ ٠
(٨) الاب روبير كليمان اليسوعي ومجموعة من الكتاب — ايماننا الحي ص ٥٢٧ ٠

ان العلامات السابقة والمعلقة لمجيء « ابن الانسان » مستعارة من الفكر الديني على مدى التطور الذي اصابها نتيجة تأثرها بالديانات السابقة لها ، وقبل الذهاب بعيدا عن مدى تأثر هذه الفكرة بالافكار الاخرى نود ان نلقي ضوءا على صلب المسيح واثره في بلورة فكرة الخلاص . فماذا يعني صلب المسيح ؟

لقد كان صلب المسيح كما تؤكد الاناجيل بداية رائعة لانقاذ البشرية من كل الشرور المحيطة بها حيث جاء في العهد الجديد « الذي انقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا الى ملكوت محبته الذي لنا فيه الفداء ـ بدمه غفران الخطايا » (١) .

لقد كان موت يسوع على الصليب قهرا لسلطان الشيطان وتحطيما لقدرته على اغراء البشر فقد « كفر يسوع عن عصيان آدم ونسله بطاعته حتى الموت وبآلامه المرة وموته خلصنا من الخطيئة الاصلية ومن خطايانا الشخصية ومن الهلاك الابدي» . (٢)

وفكرة صلب المسيح ليفتدي البشر ليست من مبتدعات الفكر الديني المسيحي فقد كان اليهود الاقدمون يشتركون مع الكنعانيين، والمؤابيين ، والفينيقيين ، والقرطاجيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبي وقد استبدل الطفل نتيجة التقدم الحضاري بمجرم محكوم عليه بالاعدام وقد كان البابليون يلبسون هذه الضحية اثوابا ملكية لكي تمثل ابن الانسان ثم تجلد وتشنق . (٣)

ويعتقد المسيحيون ان المسيح لم يمكث عقب صلبه الا اربعين يوما ثم ارتفع بعدها الى السماء وجلس بجوار الاب كما يزعمون ، وتقول الاناجيل ان المسيح ظهر مرارا بعد قيامته . وفي اماكن متعددة فقد ظهر لمريم المجدلية عند القبر ويقولون انه بعد اربعين

---

(١) انظر كولوس ١ : ١٣ـ١٤ .

(٢) الاب روبير كليمان ومجموعة من الكتاب ـ ايماننا الحي ص ١١٣ وكذلك ديورنت ٢٦٤ ، ٢٦٥ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٣) ول ديورنت ـ قصة الحضارة جـ ـ ٣ ـ م ـ ٣ ص ٢٦٤ (من الهامش).

يوما من قيامته اجتمع بالرسل على جبل الزيتون وبينما هو يباركهم اخذته سحابة وصعد الى السماء وبينما هم يتأملونه مندهشين اذ بملاك ينزل لهم ويقول يسوع الذي رأيتموه صاعدا سيأتي ايضا كما رأيتموه نازلا من السماء ٠ (١)

وقد وردت الصفة الانقاذية لشخصية المسيح في كل الاناجيل ونظرا لاهمية ما جاء في الاناجيل عن هذه الشخصية نرى من الافضل التطرق الى كل منها بشيء من الاقتضاب ٠ واول انجيل تكلم عن الصفة الانقاذية في شخصية المسيح هو انجيل « متى » وقد كتب بشارته لليهود، ونرى في بشارة«متى»استشهادا كثيرا باسفار العهد القديم ، ويظهر لنا « متى » كيف ان الشريعة والعهد القديم كملا في شخص المسيح ٠ (٢) ويحاول « متى » ان يرجع اصل المسيح الى داود تأكيدا لمقامه الملوكي ويذكر لنا « انه ولد بقوة الروح القدس ، وانه مخلص ، وانه اله متحد بالانسان » (٣) ويقول « توبوا لأنه قرب ملكوت السموات » ٠ (٤)

وقد وعد المسيح اتباعه المؤمنين برسالته بأن يعضدهم في جميع المحن « ها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (٥) وجاء في هذا الانجيل ايضا ان الشيطان سيهجم قبل النهاية بقليل على ملكوت الله للمرة الاخيرة بكل ما لديه من قوة وسلطان ويقوم في ذلك الوقت انبياء كذبة ويحملون على الشر اعدادا كثيرة من الناس وفي ذلك الوقت يتقدم « المسيح الدجال » انسان الخطيئة ويجلس في هيكل الله ويرى في نفسه انه هو الله (٦) ، وبقوة الشيطان يحقق

---

(١) سليمان مظهر — قصة العقائد ص ٣٧٨ وكذلك محمد ابو زهرة — محاضرات في النصرانية وول ديورنت — قصة الحضارة جـ ٣ م — ٣ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .
(٢) أ. م هود جكين — المسيح في كل الكتب ص ٣٨٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .
(٥) انجيل متي ٢٨ : ٢ .
(٦) الاب روبير كليمان اليسوعي وجماعة من الكتب — ايماننا الحي ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

ايات ومعجزات كثيرة فيدخل كثير من الناس في دينه ولكن المسيح عند مجيئه يسحقه بقوته الالهية · (١)

اما انجيل مرقس فقد جاءت بشارته عن المسيح كخادم متطوع صرف كل دقيقة من حياته على الارض لاتمام مشيئة الاب الذي ارسله ، منقذا للناس عاملا بكل جد ونشاط وفي هذه البشارة نلحظ خبر الذبيحة العظيمة (اي صلب المسيح) التي كفرت عن خطايا العالم وقد ذكر « مرقس » ان المسيح عندما قام من القبر سلم تلاميذه مأموريته بأن يبشروا جميع الامم بعقيدته · (٢)

اما البشارة في انجيل « لوقا » فانها كتبت لافادة الوثنيين من اهل اليونان فهي تعكس لطف المسيح ومحبته التي حملته على ان يصير انسانا لكي يخلصنا فهو يؤكد ـ اي لوقا ـ على صفتي المسيح (المخلص والرب) « ها انذا ابشركم بفرح عظيم : اليوم ولد لكم مخلص هو المسيح الرب » · (٣)

فهو ابن الله من جهة لاهوته وابن العذراء من جهة ناسوته ويذكر لنا حكاية سمعان الشيخ عندما اخذ الصبي على ذراعيه وقال « لان عيني قد ابصرتا خلاصك » (٤) وهذا ما يذكرنا بحكاية الكاهن الذي نزل من صومعته عندما علم من السماء بمولد « بوذا » وكذلك يذكرنا هذا النص الانجيلي بمولد « زرادشت » ·

ويعتبر انجيل « يوحنا » اكثر الاناجيل تأكيدا لمسألة البعث وظهور المنقذ المخلص فهو يصف لنا المسيح كصديقنا الالهي الذي يدافع عنا ويريدنا ان نكون بجنبه « ايها الاب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني يكونون معي حيث اكون انا لينظروا مجدي الذي اعطيتني لانك اجبتني قبل انشاء العالم » · (٥)

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .
(٢) أ. م هودجكين ــ المسيح في كل الكتب ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
(٣) انجيل لوقا ٢ : ١٠ــ١١ .
(٤) أ. م هودجكين ــ المسيح في كل الكتب ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
(٥) انجيل يوحنا ١٧ : ٢٤ .

وفي هذا الانجيل تتصاعد ذاتية المسيح الى درجة تصل حد النرجسية ومن خلال ذلك يستطيع ان يسد احتياجات العالم الى مخلص ومنقذ الهي ٠

ونستطيع ان نتبين « انا » المسيح في الاصحاحات التالية : ـ
« انا خبز الحياة » (٦ : ٣٥) « انا هو الراعي الصالح » (١٠ : ١١) ٠

« انا هو نور العالم » (٨ : ١٢) « انا باب الخراف » (١٠ : ٧)٠

« انا هو القيامة والحياة » (١١ : ٢٥) « انا في الاب والاب في » (١٤ : ١٠) ٠

ولن يتوقف المسيح عند هذا الحد بل اعتبر نفسه كائنا قبل ان يكون ابراهيم ٠

وفي رؤيا « يوحنا » نجد وصفا مرعبا لليوم الاخر وظهور الشيطان والاختام السبعة والمصائب السبعة (١) « اما رؤية الاختام فعبارة عن اجتماع لاهل السماء حول عرش الله وعلى يمينه كتاب ختم بسبعة اختام وفيه حوادث المستقبل » (٢) وقبل ان يفض الخاتم السابع يظهر مؤمنان وسبعة ملائكة معهم سبعة ابواق (٣) وعندما يبوق الاول يحدث برد ونار مزيجهما دم ونتيجة لذلك تحترق ثلث الاشجار وكل الاعشاب الخضراء (٤) ، وكلما يبوق احد الملائكة تحل مصيبة فادحة بالعالم وعندما يبوق السابع معلنا انتصار المسيحية وفي هذه الفترة يظهر الملاك ميكائيل ويحارب التنين حتى ينتصر عليه ويخرجه من السماء ٠ (٥)

والحقيقة ان رؤيا « يوحنا » لها علاقة قوية بحكم الدولة الرومانية التي اذاقت المسيحية الويل والعذاب وقتلت الالاف منهم ،

---

(١) انظر رؤيا يوحنا الاصحاح ٥ ، ٨ / ١٥ .
(٢) الدكتور فؤاد حسنين علي اليهودية واليهودية المسيحية ص ٢٢٠ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢٠ .

وكما عرفنا سابقا ان هذه الفكرة تبرز الى حيز الوجود كلما كان هناك ظلم وبلاء شديدين على الرقاب وفي الجانب الاخر مجموعة من الضعفاء لا تقدر على صده فتطلب المنقذ من الخارج ٠

ويصف لنا « يوحنا » حكم « نيرون » بأنه هو بعينه حكم الشيطان ونيرون هو الوحش وعدو المسيح فهو مسيح من عند الشيطان مقابلا ليسوع المسيح الذي هو من عند الله ٠

ويصف لنا روما بأنها الزانية العظيمة التي زنى معها ملوك الارض ٠ (١)

ونتيجة لحقده على نيرون وروما يتوقع لهما مصيرا اسود فيقول « سترسل عليها اسراب من الجراد تظل خمسة اشهر تعذب سكانها اجمعين عدا المائة الف والاربعة والاربعين الفا من اليهود الذين يحملون على جباههم خاتم المسيحية » ٠ (٢)

ويقول بأن سبعة ملائكة ستصيب سبعة قوارير من غضب الله على الارض !! فيصاب الناس بقروح شديدة ويتحول البحر الى دم كدم الميت يموت فيه كل الكائنات الحية (٣) ويطلق احد الملائكة حرارة الشمس على الذين لم يتوبوا ويلف ذلك غبرة الارض بظلام دامس ٠ (٤)

« ويحدث زلزال تندك منه الارض وتسقط قطع ضخمة من البرد على من بقى من الكفار وتدمر رؤوسهم تدميرا كاملا ويجتمع ملوك الارض ليقفوا وقفتهم الاخيرة في وجه الله ولكنهم يموتون عن اخرهم، ويلقى بالشيطان واتباعه الى الجحيم بعد ان يمنوا بالهزيمة في كل مكان » ٠ (٥)

---

(١) ول ديورنت قصة الحضارة جـ — ٣ م — ٣ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٧٢ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٢ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٣٧٢ ٠
(٥) المصدر السابق ص ٣٧٢ ٠

وعندما يحل يـوم الحساب الاخـير يقـوم الموتى مـن قبورهم ويخرج الغرقى من البحار وفي ذلك اليوم الرهيب يلقى في البحيرة المستعرة بنار وكبريت كل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة (١) وعندئذ سينزل الله الجنة على الارض وستكون اسلاكها من الحجارة الكريمة وفيافيها من فضة وذهب « وكل باب من ابوابها الاثنـي عشر لؤلؤة وسيجري فيها نهر صاف من ماء الحياة تنمو على ضفتيه شجرة حياة » (٢) وعندما يحل اليوم الاخير لا يكون هناك موت او حزن وسيعيش المؤمنون حياة سعيدة بعيدة عن الهموم والالام !!

بعد الذي قدمناه عن الصفة الانقاذية في شخصية المسيح ننتقل الى الجزء الثاني من هذا الفصل وهو الجزء الذي خصصناه للمقارنة بين شخصية يسوع المسيح من جهة وبين شخصية كرشنا وبوذا من جهة اخرى ٠

مبدئيا استندنا الـى كتـاب « العقائـد الوثنيـة في الديانة النصرانية » لمؤلفه محمد طاهر القنبر البيروني ثم اتضح لنا ان الكاتب قد وقع في شطحات لا تغتفر من اجل اقامه مقارنة مهما كلفه ذلك من ثمن وخروج عن الموضوعية ٠ لذلك ارتأيت ان بين بعض اوجه الشبه بين هذه الشخصيات (المسيح من جهة وكرشنا وبوذا مـن جهة) معتمدا على جهودي ٠

يذكر المؤلف البيروني (١) (اقوال الهنود الوثنيين في كرشنة ابن الله) وفي المقابل اقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيـح ابن الله ٠ والحقيقة ان هذا الكلام ينطوي على مغالطة كبيرة لان الديانة الهندوسية كفلسفة للحياة تختلف كليا عن المسيحية اذ لا يوجد اله واحد في الهندوسية ٠ هناك عدد لا يحصى من الالهة ثم يذهب الى القول ان كرشنا هو المخلص والفادي والمغري والرأي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم ، الثاني من الثالوث المقدس وهو الاب والابن وروح القدس ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ ٠

هذه المقولة ايضا تنطوي على مغالطة لا تغتفر اذ ليس هناك اية اقانيم في الفكر الديني الهندوسي ولا اباء وابناء ٠ ان الهندوسية دين بلا حدود تختلط فيها الاشياء على نحو لا يصدق ولا تؤمن باله واحد ٠٠ في الدين الهندي عشرت المئات من الالهة انه كالزئبق لا يمكنك ان تتبين حدوده كما يذهب احد المفكرين الهنود ٠ اما ان يتأثر الدين المسيحي بالدين الهندوسي فهذا امر طبيعي ٠ بعد هذا نبين اهم اوجه المقارنة :

كرشنا	يسوع المسيح
(١) مجد الملائكة ديفاكي والده كرشنا وقالوا يحق للكون ان يفاخر بابن هذه الطاهرة ٠	(١) دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك ايتها المنعم عليها الرب معك ٠
(٢) عرف الناس كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء ٠	(٢) عرف الناس ولادة يسوع من نجمه الذي ظهر في المشرق ٠
(٣) لما ولد كرشنا سبحت الارض وانارها القمر بنوره وترنحت الارواح وهامت الملائكة فرحا وطربا ورتل السحاب انغاما مطربه ٠	(٣) لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحا وسرورا وظهر من السحاب انغام مطربة ٠
(٤) كان كرشنا من سلالة ملوكية ولكنه ولد في غار بحال من الذل والفقر ٠	(٤) كان يسوع من سلالة ملوكية يرجع اصله الى الملك داود ولكنه ولد في غار بحال من الذل والفقر ٠
(٥) وعرفت البقرة ان كرشنا اله وسجدت له ٠	(٥) وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له ٠
(٦) وسمع الحكيم نارد « بمولد الطفل الالهي كرشنا فذهب وزاره في آكوكول » وفحص النجوم فتبين له من فحصها انه معبود الهي يعبد ٠	(٦) ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك اذ المجوس من المشرق قد جاؤوا الى اورشليم قائلين : اين هو المولود ملك اليهود ٠

(٧) وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الالهي وطلب قتله ولكي يتوصل الى امنيته امر بقتل كافة الاولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنا .

(٨) وسمع ناندا خطيب امه ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبي وامه .. لان الملك طالب هلاكه .

(٩) كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنا بزمن قليل وقد سعى ملك البلاد الى هلاك راما وكرشنا ايضا .

(١٠) وفي احد الايام لسعت الحية بعض اصحاب كرشنا الذين يلعبون معه فماتوا فاشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر اليهم بعين الرهبة فقاموا سريعا من الموت وعادوا احياء .

(١١) واول الايات والعجائب التي عملها كرشنا شفاء الابرص .

(٧) وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل يسوع الالهي وطلب قتل الولد ولكي يتوصل الى امنيته امر بقتل كافة الاولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها المسيح .

(٨) وظهر ملاك الرب يوسف في حلم قائلا له قم وخذ الصبي وامه واهرب الى مصر .. لان الملك طالب هلاكه .

(٩) وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس لاهلاك يسوع المسيح واهلاك يوحنا الذي كان يبشر بولادة يسوع المسيح .

(١٠) وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية احد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبي بيده فعاد الى حال صحته .

(١١) واول الايات والعجائب التي عملها يسوع المسيح شفاء الابرص .

---

(٥) دكات ص ٢٩٧ .

(٦) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٧ .

(٧) دوان ص ٢٨٠ .

(٨) كتاب نشفو بورانا الفصل الثالث .

(٩) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٦ .

(٥) انجيل لوقا الاصحاح الثاني من عدد ٨ـ١٠ .

(٦) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد ١ ، ٢ .

(٧) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد ١٣ .

(٨) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد ١٣ .

(١٢) ولما مات كراشنا حدثت مصائب وعلامات للشر عظيم واحاط بالقمر هالة سوداء واظلمت الشمس في وسط النهار وامطرت السماء نارا ورمادا ٠

(١٢) ولما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق الى تحت، واظلمت الشمس من الساعة السادسة الى التاسعة وفتحت القبور وقام كثير من القديسين من قبورهم ٠

(١٣) وثقب جنب كرشنا بحربة ٠

(١٣) وثقب جنب يسوع بحربة ٠

(١٤) وصعد كرشنا بجسده الى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا ٠

(١٤) وصعد يسوع بجسده الى السماء وكثيرون شاهده صاعدا ٠

(١٥) ولسوف يأتي كرشنا في اليوم الاخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد اشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الارض وتتساقط النجوم من السماء ٠

(١٥) ولسوف يأتي يسوع في اليوم الاخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد اشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الارض وتساقط النجوم من السماء ٠

(١٦) كان كرشنا يحب تلميذه ارجونا اكثر من بقية تلاميذه ٠

(١٦) كان يسوع يحب تلميذه يوحنا اكثر من بقية تلاميذه ٠

---

(١٠) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٢٤٣ ٠
(١١) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٩ ٠
(١٢) كتاب ترقي التطورات الدينية المجلد الاول ص ٦٧ ٠
(١٣) دوان ص ٢٩٣ ٠
(١٤) المصدر السابق ص ٢٨٢ ٠
(١٥) المصدر السابق ٢٨٢ ٠
(١٦) كتاب بها كافا تاكيتا ٠

(١٠) انجيل الطفوليهالاصحاح ١٨ ٠
(١٢) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد ٢ ٠
(١٣) المصدر السابق الاصحاح الثاني والعشرون وانجيل لوقا.
(١٤) دوان ص ٢٨٢ ٠
(١٥) انجيل متى الاصحاح ٢٨ ٠
(١٥) انجيل متى الاصحاح ٢٤ ٠
(١٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٣ عدد ٢٣ ٠

(١٧) كرشنا هو براهما العظيم القدوس وظهوره سر من اسراره الالهية العجيبة ٠

(١٨) قال كرشنا انا النور الكائن في الشمس والقمر وانا النور الكائن في اللهيب وانا نور كل ما يضيء ونور الانوار ليس في ظلمة ٠

(١٧) يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من اسراره الالهية العظيمة٠

(١٨) ثم كلمهم يسوع قائلا انا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة ٠

بعد اجراء اهم المقارنات بين الشخصين الانقاذيين كرشنا ويسوع المسيح نحاول ان ننتقل الى اجراء مقارنات اخرى بين شخصية بوذا من جهة وشخصية يسوع المسيح محاولين الاختصار قدر الامكان ٠

بوذا	يسوع المسيح
(١) كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح مقدسة على العذراء ماريا ٠	(١) كان تجسد المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم ٠
(٢) لما نزل بوذا معقد الارواح ودخل في جسم العذراء ماريا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة ٠	(٢) لما نزل بوذا مقعد الارواح السماوي ودخل في جسم مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر يسوع كزهرة جميلة ٠
(٣) وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في افق السماء يدعونه « نجم بوذا » ٠	(٣) وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في الشرق ٠

(١٧) فشنو بورانا ص ٤٩٢ ٠
(١٨) كتاب هرويس وليمس ٠ ديانة الهنود ص ٢١٣ ٠

(١٧) رسالة تيمونا ــ ص الاولى الاصحاح الثالث ٠
(١٨)انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ١٢ ٠

(٤) لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة اناشيد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم بوذا على الارض كي يعطيها المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب الاعمى بصرا ٠

(٤) لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والارض ورتلوا الاناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة٠

(٥) لما كان بوذا طفلا قال لامه انه اعظم الناس جميعا ٠ (١)

(٥) لما كان يسوع طفلا قال لامه مريم (انا ابن الله) ٠ (١)

(٦) لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه « مارا » اي الشيطان كي يجربه ٠ (٢)

(٦) لما شرع يسوع يهيم في الصحراء قاصدا التنسك ظهر له الشيطان كي يجربه ٠ (٢)

(٧) وقال « مارا » اي الشيطان ، لبوذا لا تصرف حياتك في الاعمال الدينية لانك بمدة سبعة ايام تصير ملك الدنيا ٠ (٣)

(٧) وقال الشيطان ليسوع عندما ظهر له اعطيك هذه الدنيا جميعها اذ خررت وسجدت له ٠ (٣)

(٨) فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان وقال له اذهب عني ٠ (٤)

(٨) فاجابه يسوع وقال اذهب يا شيطان ٠ (٤)

(٩) ولما ترك مارا اي الشيطان ، بوذا امطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه ٠ (٥)

(٩) ثم تركه يسوع واذا الملائكة قد جاءت فصارت تخدمه ٠ (٥)

(١٠) وصام بوذا وقتا طويلا ٠

(١٠) وصام يسوع وقتا طويلا ٠

(١١) وفي صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون به دخول الفردوس ٠

(١١) وفي صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهية دخول الفردوس ٠

(١٢) لما مات بوذا ودفن انحلت الاكفان وفتح غطاء

(١٢) لما مات يسوع ودفن انحلت الاكفان وفتح القبر بقوة

التابوت بقوة غير طبيعية « اي الهية • بقوة الهية » •

(١٣) وصعد بوذا الى السماء بجسده لما اكمل عمله على الارض •

(١٣) وصعد يسوع بجسده الى السماء من بعد صلبه لما اكمل عمله على الارض •

(١٤) قال بوذا فلتكف الذنوب التي ارتكبت في هذه الارض ليخلص العالم من الخطيئة •

(١٤) يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلص العالم •

(١٥) قال بوذا اخفوا الاعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية •

(١٥) قال يسوع اخفو الاعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية •

(١٦) قال بوذا انني آت لاكمل الناموس لا لانقضه وقد عد نفسه من سلسلة المعلمين الحكماء •

(١٦) قال يسوع لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء ما جئت لانقص بل لاكمل •

---

(١) كتاب هاردي المدعو العقائد البونية ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) دوان ص ٢٩٢ .
(٣) المصدر السابق ٢٩٢ .
(٤) المصدر السابق ٢٩٢ .
(٥) المصدر السابق ٢٩٢ .
(١١) دوان ص ٢٩٢ .
(١٢) المصدر السابق .
(١٣) كتاب بعث الملاك المسيح ص ٤٩ .

(١) انجيل الطفولية الاصحاح ١ عدد ٣٠ .
(٢) انجيل متى الاصحاح ٤ عدد ١ — ٨ .
(٣) المصدر السابق عدد ١٠ — ١١ .
(٤) انجيل لوقا الاصحاح الرابع عدد ٤ .
(٥) انجيل متى الاصحاح الرابع عدد ١١ .
(١١) انجيل متى الاصحاح ٤ عدد ٢ .
(١٢) دوان ص ٢٩٣ .
(١٣) انجيل متى الاصحاح ٢٨ وانجيل يوحنا الاصحاح ٢٠ .

(١٧) ولما اقترب انتهاء ايام بوذا على الارض قال لتلميذه اناندا : متى انا ذهبت لا تظن انه لم يعد لبوذا وجود كلا فالكلام الذي قلته والفرائض التي افترضتها تكون خلفا عني وهي لك كذاتي انا ·

(١٨) كان بوذا يقول لاتباعه احترسوا من تحقيق نظركم في النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن واذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم ·

(١٩) لما عزم بوذا على التنسك كان راكبا جوادا يدعى كتفاكي ففرشت الملائكة طريقه بالزهور ·

(١٧) ولما اقترب انتهاء ايام يسوع على الارض اخبر عن الحوادث التي ستقع من بعده وقال لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر ·

(١٨) قال يسوع قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزنوا وانا اقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها ·

(١٩) لما كان يسوع داخلا اورشليم كان راكبا حمارا ففرشت له الجموع الطريق باغصان النخيل ·

---

(١٤) دوان ص ٢٩٣ .
(١٥) مولر — تاريخ الاداب الفكرية ص ٨٠ .
(١٦) مولر العلوم الدينية ص ٢٨ .
(١٧) بعث الملاك المسيح ص ٤٧ ، ٤٨ .
(١٨) هاردي — المونانشيزم الشرقية ص ٢٣٠ .
(١٩) كتاب تقدم الافكار الدينية المجلد الاول ص ٢٢٨ .
(٢٠) هردي — خرافات البونيين ص ١٣ .

(١٤) اعمال الرسل الاصحاح الاول عدد ١—١٢ .
(١٥) دوان ص ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحي .
(١٦) انجيل متى الاصحاح ٦ عددا ورسالة يعقوب .
(١٧) انجيل متى الاصحاح ٥ — عدد ١٧ .
(١٨) انجيل متى الاصحاح ٢٤ وانجيل مرقس الاصحاح ٢٨ عدد ٣١ .
(١٩) المصدر السابق الاصحاح ٥ عدد ٢٧ ، ٢٨ .
(٢٠) المصدر السابق الاصحاح ٢١ عدد ١ ، ٩ .

بعد هذه المحاولة في تبيان اوجه المقارنة بين شخصية المسيح وشخصية كرشنة وبوذا نحاول ان ننتقل الى الجزء الاخير من هذا الفصل والذي خصصناه لتقويم شخصية يسوع المسيح المنتظر ٠ ونظرا لاهمية ما سنتكلم عنه لذا ارتأينا تقسيم الموضوعات الى ما يلي :

اولا ـ ولادة المسيح :

ذكر لنا النص الانجيلي ان يسوع المسيح ولد بواسطة حلول ملاك الرب في رحم العذراء مريم ، ان هذا النص الاسطوري لا يتفق مع الروح العلمية وما عرفناه عن نمو الكائن الخلوي ، اذ يؤكد « ان نمو الخلية البشرية يشكل معجزة الهية لا تعليل لها سوى قدرته المطلقة على الخلق وتدخله المباشر في سير امور الكون » ٠ (١)

« ان علم الاجنة لا يدع مجالا للشك في ان الخلية تنمو بالتطور العضوي من طور الى طور اخر وفقا لقوانين طبيعية معينة بحيث تنمو المرحلة المتأخرة من صلب المرحلة السابقة عليها وعلى اساس معطياتها الاوليه » ٠ (٢)

فقبولنا بالنص السابق يعني تسليمنا تسليما مطلقا بأمور غيبية لا تقرها الحقيقة ٠ فهذا النص الاسطوري لا يمكن قبوله ولا بد ان تكون ولادة مريم قد حصلت عن طريق انسان اي عن التقاء « بويضة بحيوان منوي » ونتج عن هذا اللقاء يسوع المسيح ٠

لكن السؤال الذي يتبادر الى ذهننا الان بعد ان رفضنا التسليم بالنص الاسطوري السابق ذكره ـ من الذي قام بذلك ؟ هل هو يوسف النجار ؟ ام رجل اخر غير يوسف النجار ؟

ونظرا لدقة المسألة وضرورة الوصول الى حقيقة مقنعة سنلجأ الى افتراضين نكيّف المسألة ـ اي ولادة المسيح ـ من خلالهما ٠

---

(١) صادق جلال العظم ـ نقد الفكر الديني ص ٤٠ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٠ ٠

الافتــراض الاول :

يذهب كثير من الباحثين الذين يرفضون التسليم بالنص انف الذكر ان يوسف النجار هو الذي واقـع مريم البتول ام يســوع ، مستندين في ذلك الى خطبته لها ، وانه ـ اي النجار ـ قد اضطر في خلوة من خلواته معها ان يدخل فيها دخولا غير شرعيا (اي قبل ان تكون زوجة له) ٠

ولكن هذا الرأي واهن ولا يمكن قبوله لان فترة الخطبــة بين الخطيبين للتجربة وليتعرف كل منهما على الاخر فان حسنت لــه وحسن لها استمرا وتزوجا وان لم يصلح احدهما للاخــر انفصمت الخطبة بينهما ٠ فلا يجوز الاتصال الجنسي خلال هذه الفترة كمــا اكدت ذلك النصوص الشرعية اليهودية فمواقعة يوسف لمريم خلال هذه الفترة يعتبر خطيئة يستحق عليها العقاب اذا كان هو المغرر بخطيبته ٠

ولكن اصحاب هذا الافتراض القائم على ان يوسف هو الذي اتصل جنسيا مع مريم والذين يرفضون خرافة ملاك الرب في الوقت نفسه يؤكدون ان يوسف النجار لم يخطب مريم ولكنه اضطر الى الزواج منها عندما علم انها حامل خوفا من العقاب الصارم بحقه ٠

ولكن بعض الباحثين يرفضون هذا الافتراض لعدم وجود دليل مادي يؤكده ، ذاهبين الى ان مريم قد نشأت في بيت زكريا زوج خالتها ولما كان زكريا ، الكاهن ، شخصية حقيقية لا يمكن نكرانها في الوقت الحاضر فهذا يعني ان مريم قد نشــأت في بيئــة دينية محافظة تلتزم بالنصوص الدينية وتحافظ على كل القيم الدينية ٠

اذا ادركنا هذه الحقيقة نستطيع ان نقرر ان يوســف النجار قد خطب مريم وانه كان رجلا مؤمنا بالجانب الخلقــي الديني ٠ والمعروف عنه انه كان متدينا خلوقا اضافة الى كبر سنه بالنسبــة الى مريم الصغيرة ٠

ولكن ما هو الدليل الذي يؤكد لنا ان يوسف النجار خلوق ملتزم

بالجانب الخلقي الديني ؟ يقول اصحاب الرأي السابق لما كانت شخصية زكريا شخصية حقيقية باعتباره خادما في هيكل الرب ملتزما بكل القيم الدينية ، فمن غير المعقول ان يزوج هذه اليتيمة مريم من رجل داعر متسيب فلا بد ان يكون اذن يوسف النجار رجلا خلوقا طيبا ٠

وان اي افتراض من ان يوسف النجار واقع مريم نتيجة غليان عاطفي لا يمكن قبوله ما دمنا افترضنا يوسف رجلا ملتزما بالمبادىء الدينية ضابطا لعواطفه متزنا هادئا ٠ وبامكاننا ان نفترض افتراضا معقولا ونقول ان اي احساس باللقاء يحسه يوسف تجاه مريم الصغيرة يمكنه ان يتزوجها ويصبح اللقاء بينهما مشروعا من قبل الرب قبل المجتمع ، لان غضب الرب وخصوصا في مجتمع كالمجتمع الاسرائيلي لا يعادله غضب ٠

لذا فالافتراض الذي يقول ان يوسف النجار هو الذي اتصل جنسيا مع مريم افتراض لا يمكن قبوله عند البعض ٠

ولكن اصحاب الافتراض القائل ان يوسف هو الذي واقع مريم يصرون على رأيهم مؤكدين عدم وجود دليل مادي فيما ذهب اليه اصحاب الافتراض القائل بأن مريم ولدت من رجل اخر غير يوسف ٠

والافضل ومن اجل الوصول الى حقيقة مقنعة نرى لزاما علينا ان نتبين رأي اصحاب الافتراض القائل ان مريم ولدت بواسطة رجل غير يوسف ٠

الافتراض الثاني :

من هو هذا الرجل الذي واقع مريم اذا لم يكن يوسف النجار ؟

ويجيب اصحاب هذا الافتراض بأن الرجل الذي واقع مريم هو احد كهنة الهيكل ، وانه قد اتصل جنسيا مع اليصابات خالة مريم قبل ان يتصل مع مريم مستندين في ذلك الى وجود شبه كبير بين شخصية يوحنا المعمدان من اليصابات وبين شخصية عيسى بن مريم ووجود علاقة قوية بين اليصابات ومريم ٠

فالمسألة بدأت باليصابات ولهذا يتحتم علينا كما يقول اصحاب هذا الافتراض - ان نرجع الى حكاية النص الانجيلي في ولادة اليصابات التي كانت عاقرا وان ملاك الرب ظهر لزكريا وهو يبخر في هيكل الرب واخبره قائلا له « لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا » ٠ (١)

الى هذا الحد تنتهي حكاية النص الانجيلي في ولادة اليصابات ولكن اصحاب هذا الافتراض يرفضون هذه الحكاية ، ما دامت لا تعتمد على دليل مادي ونتيجة لذلك يؤكدون ان اليصابات امرأة غير عاقر وان النقص ليس فيها بل النقص في زوجها زكريا ٠

وان اليصابات قد ادركت بشكل من الاشكال انها غير عاقر وان زوجها زكريا هو العقيم ، ونتيجة لذلك فكرت في ان يكون لها ولد حتى تتخلص من العار الذي لازمها طول حياتها من كونها امرأة عاقرا في مجتمع كالمجتمع الاسرائيلي ٠

هذا اذا ادركنا ان حاجة المجتمعات القديمة الى الاولاد حاجة اساسية وضرورية لاسباب كثيرة منها ان الولد يدافع عن الاب في حالة الاعتداء عليه من قبل الاخرين ويحميه من الفقر والعوز والمرض في حالة عجزه وشيخوخته ويخلد اسمه بعد موته وعكس الحال في العصر الحاضر حيث اصبحت الدولة هي التي تحمي الاب في حالة الاعتداء عليه من قبل الاخرين وتوفر له اسباب العيش والراحة خلال حياته، واذا ما عجز وشاخ حمته في عجزه وشيخوخته فاليصابات اضافة الى العار الذي لحقها من كونها امرأة عاقرا كانت تخاف من المستقبل ، فكل شيء مجهول امامها فربما اضطر زوجها ان يتزوج امرأة اخرى وربما مات زوجها وبقيت وحيدة علاوة على ارهاصاتها الجنسية المتصاعدة وحاجتها الى من يحسسها بوجودها كامرأة ٠

وهذا ما يذكرنا بولادة ام بوذا فقد عرفنا عند بحثنا المنقذ

---

(١) انظر لوقا ١ : ١٣ ٠

في الديانة البوذية ان ام بوذا كانت عاقرا واضطر زوجها نتيجة لعقرها ان يتزوج اختها لكي تنجب له ولدا ٠ ولما كانت ام بوذا على يقين من ان العقر ليس فيها او في اختها ، انما زوجها الامير هو العقيم ٠ ونتيجة لذلك وارضاء لطموحات الامير والد بوذا في ولد يخلفه على عرشه ويخلد اسمه اتصلت ام بوذا بأحد رجالات القصر وادعت ان الملاك قد نزل عليها وايدها في ذلك طبقة الكهنوت التي كان لها ضلع كبير في هذه المسألة ٠ وبقيت اليصابات تعاني من هذه الازمات النفسية بين حاجتها الى الولد وخوفها من المستقبل الى ان استطاع احد الكهنة الاذكياء ان يدخل الى قلبها ويقتل كل مخاوفها ٠

لكن ما هو الدليل في هذا الافتراض الذي يقول ان احد الكهنة هو الذي واقع اليصابات دون غيره ؟

وهنا نتساءل من الذي ظهر لزكريا في هيكل الرب واخبره ان زوجته حامل بأمر من الرب ؟ وستجيبنا الاناجيل بأنه ملاك الرب وبما اننا قد رفضنا حكاية ملاك الرب نستطيع ان نقول ان الكاهن الذي دخل الى الهيكل ومثل شخصية الملاك وربما كان هذا التعليل غير كاف اذ كيف دخل هذا الرجل الكاهن الى الهيكل وما الذي دفعه ؟

ويجيب اصحاب هذا الافتراض قائلين بأ نالكاهن بعد ان مارس العمل الجنسي مع اليصابات اخبرته بعد مدة من الزمن بأنها حامل ، وامام هذا التحدي والخوف من افتضاح امر اليصابات امام الناس وامام زكريا اضطر هذا الكاهن الذكي ان يدخل الى الهيكل ويقف على يمين المذبح في مكان شبه مظلم ويتكلم بصوت فيه من قوة التأثير الشيء الذي استحوذ على عقل زكريا واثر في نفسه كثيرا ، اذ نستطيع ان نفترض بأن هذا الكاهن كان يمتلك قوة تأثير عالية في شخصيته بما تحويه من نفاذ بصيرة ورجاجة عقل ورخامة صوت ٠

وبصوت هادىء رزين تؤطره لهجة آمرة بدأ الكلام معه « لا تخف يا زكريا لأني طلبتك » وبقي زكريا واقفا ساهم الطرف لا يلوي

على شيء فهو لم يطلب من احد ولم يخبر سابقا بما اخبره به هـذا الملاك المخيف ، وامام مخاوفه وصراعاته النفسية استطاع ان يتكلم ويقول للملاك كيف اصدق ان زوجتي حامل وانا شيخ طاعن فـي السن ؟ فاجابه الكاهن الذي اجاد تمثيل دور الملاك اجادة فائقـة وقال له « انا جبرائيل الواقف قدام الله وارسلت لاكلمك وابشرك بهذا » (١) • وفي هذا الوضع النفسي المتأزم والمخاوف الكثيرة املى عليه الملاك « الكاهن » بأنه قد صمت بأمر من الرب ولا يستطيع ان يكلم احدا • وكان ذكيا في ايحائه هذا الى زكريا خوفا من افتضاح الامور وعندما خرج زكريا من الهيكل كان الشعب ينتظره اذ طـال مكوثه في الهيكل مدة طويلة ولما لم يستطع زكريا ان يكلم الناس فهموا بأنه قد رأى رؤيا في الهيكل وكانت هذه المسألة ـ اي الرؤيا ـ من الامور المألوفة في المجتمع الاسرائيلي •

وبعد ايام من هذا الحادث الذي حاكه الكاهـن بذكاء ولدت اليصابات زوجة زكريا • وعندها قالت ان الرب ولدني ولدا لينزع عاري بين الناس ، اي عارها من كونها عاقرا في مجتمع تنبذ فيـه التي لا تلد ، وهذا ما يؤكد اهمية الولد في المجتمعات القديمة •

وهناك نقطة اخيرة ربما تفيدنا في تأكيد العلاقة بين الكاهـن واليصابات وهي ان اليصابات بعد ثمانية ايام من ولادتها جـاء اقرباؤها وجيرانها كي يختنوا الصبي وسموه باسم ابيه « زكريا » •

ولكن اليصابات رفضت رفضا قاطعا واصرت على ان يسمى « يوحنا » فتعجب الجميع من امرها وقالوا لها « ليس احد فـي عشيرتك تسمى بهذا الاسم » • (٢)

ولما أومأوا الى زكريا الاب ماذا يريد ان يسمي ابنه ، طلب زكريا ان يأتوه بلوح وكتب عليه اسم ابنه « يوحنا » فتعجب الجميع من اشتراك زكريا الذي لا يستطيع الكلام واليصابات في اسم واحد

---

(١) انظـــر لوقا ١ : ١٩ .
(٢) انظر لوقا ١ : ٦١ .

وهذا ما يؤكد ان الكاهن الذي املى الاسم على زكريا في الهيكل قد املاه على اليصابات حتى تأخذ القضية طابع الاعجاز امام الجميع ٠

وبذلك يؤكد اصحاب هذا الافتراض ان اليصابات ولدت بواسطة الكاهن ويفترضوا ان الكاهن الثاني اتصل جنسيا مع اليصابات هو نفسه الذي اتصل مع مريم ويجعلوا افتراضهم هذا قابلا لاحتمالين ٠

الاحتمال الاول :

ان مريم قد شاهدت الكاهن في مرة من المرات يواقع خالتها اليصابات ، ولما كانت خالتها حريصة على ان تبقى محترمة امام الناس بالشكل الذي الفوها فيه ، اقنعت الكاهن بوجوب مواقعته مريم حتى لا تفضح امرها اولا وتشاركها في فعلتها هذه ولتكون هذه المسألة طبيعية عندها ثانيا ٠ وهذا الاجتمال ضعيف لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات منها ان مريم لم تكن في نفس البيت وفي نفس المدينة التي تسكن فيها اليصابات فكما تؤكد لنا النصوص الانجيلية ان مريم كانت في مدينة من مدن الجليل اسمها الناصرة (١) بينما اليصابات في اورشليم والامر الاخر ان مريم لو كانت في نفس البيت الذي تسكن فيه اليصابات لحاول الكاهن ان يتقرب منها قبل اليصابات تلك المرأة التي فقدت الكثير من حيويتها ومقومات انوثتها ، لذا فهذا الاحتمال ضعيف ولا يمكن قبوله ٠

الاحتمال الثاني :

ان الكاهن الذكي كان مضطرا الى فعلته تلك مع اليصابات حتى يصل الى غرضه مع مريم ٠ ويقول اصحاب هذا الافتراض ان الكاهن كان يترقب مريم عن كثب في محاولة للايقاع بها ولما علم انها خطبت وذهبت الى مكان اخر اضطرب كثيرا وفكر في ايجاد

---

(١) انظر لوقا ١ : ٢٦ ٠

طريق للوصول الى بغيته هذه ، فهو لا يعرف اين تسكن مريم ولكن يعلم جيدا ان الذي يعرف كل شيء عن مريم هو زكريا وزوجته اليصابات ، ولما لم يكن يوجد مبرر لسؤال زكريا ذلك الشيخ المحترم وفي مجتمع محافظ كالمجتمع الاسرائيلي لم يبق امامه الا اليصابات وكيف الوصول الى غرضه فلماذا يسأل عن مريم وما غرضه منها وما معرفته بها ؟ اذن فلا بد من ايجاد علاقة قوية مع اليصابات تكون معبرا للوصول الى مريم • فهو يعلم ان اليصابات لا تساوي شيئا بالنسبة لجمال وانوثة مريم ولكنه كان مضطرا الى سلوك هذا الطريق حتى يصل الى بغيته ولكن السؤال الذي يتبادر الى ذهننا الان من اين يتأتى لاصحاب هذا الافتراض ان يفترضوا ان الكاهن الذي واقع اليصابات هو نفسه الذي فعل ذلك مع مريم ؟

ويجيب اصحاب هذا الافتراض بأن الانجيل يؤكد بأن الملاك عندما ظهر لمريم البتول وسلم عليها اضطربت كثيرا من امر هذا الغريب ولكن الملاك اخبرها وقال لها « لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة من عند الله وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع » • (١)

فهذا الكاهن الذكي ذو الروح المؤثرة وذو الصوت الرخيم استطاع عن طريق الايحاء ان يقنع مريم بأنه ملاك الرب كما اقنع قبلها زوج خالتها زكريا بذلك • وكانت مريم خائفة مضطربة وسألت في لجة من صراعاتها النفسية كيف الد ولدا ولم يدخل بي احد لحد الان ؟ وكان الجواب موجودا عند الكاهن فهو يعلم ان مريم قد عرفت بحال خالتها من نزول الروح القدس في رحمها فبادرها قائلا بأن الروح القدس يحل فيك وزيادة في طمأنتها ولتصديق ما يقوله قال لها ان الروح القدس قد حل عن طريقي في رحم خالتك العاقر وهي في شهرها السادس والله قادر على كل شيء !!

وكان جوابه هذا اسقاطا لكل المخاوف والشكوك التي تراودها فاسقط في يدها وسلمت امرها لهذا الكاهن المحتال قائلة اني اعلم

---

(١) انظر لوقا ١ : ٢٠–٣١ .

ان الله على كل شيء قدير فلتكن مشيئته ، فالرجل الذي سافر من اورشليم الى الناصرة وخطط الكثير لتحقيق رغبة من رغباته وذلك بلقاء بمريم كان عنده الجواب الاخر لنيل مآربه • وبعد فترة من الزمن ادركت مريم انها حامل فاخذتها الشكوك وخافت من كلام الناس تتصارع مع افكارها متألمة لا تعرف ماذا تفعل واخيرا قررت ان تذهب الى خالتها اليصابات فهي خير ملجأ لافراحها واحزانها •

وعندما وصلت مريم الى بيت خالتها اليصابات استطاعت خالتها المجربة ان تعرف ان بطن مريم مرتفعة فبادرتها قائلة لها « مباركة انت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن اين لي هذا ان تأتى ام ربى الي » • (١)

فتعجبت مريم كثيرا من امر خالتها فمن الذي اعلمها بأنها حامل ؟ وكيف علمت بأمرها ؟ وهذا ما يؤكد الاحتمال القائل ان الكاهن الذي اتصل بمريم هو نفسه الذي اتصل مع اليصابات والا فكيف علمت اليصابات بأن مريم حامل وهي بعيدة عنها هذا البعد • فليس أمامنا الا أن نقول بأن الكاهن الذي اتصل مع اليصابات كان عمله نتيجة مؤامرة حاكها مع اليصابات للايقاع بمريم •

اذ كان لاليصابات دور مهم في زيادة اطمئنان بنت اختها بالتأكيد لها على ان العمل الذي قامت به يستحق الثناء والاعجاب وقالت لها ، فطوبى للتي آمنت ان يتم ما قيل لها من قبل الرب » • (٢)

لقد كان ثمرة هذا اللقاء الحار بين الكاهن الذكي ومريم وخالتها ولادة شخصيتين كان لهما اكبر الاثر في الفكر الديني المسيحي هما يوحنا المعمدان ويسوع المسيح • اذا كان الرأي الذي ساقه اصحاب الافتراض الثاني والذي اسلفنا الاشارة اليه معقولا ويمكن قبوله الا اننا لا يمكننا قبوله على كل ما جاء فيه اذ كيف وافق

(١) انظر لوقا ١ : ٤٢—٤٣ .
(٢) انظر لوقا ١ : ٤٥ .

يوسف النجار على التسليم بقول امرأته ـ بعد ان وجدها مفضاة ـ من ان ملاك الرب نزل عليها وزرع في رحمها ولدا سيكون منقذا لهذا العالم ، هذا اذا ادركنا ان يوسف النجار الذي يؤمن بالقيم الدينية قد تعلم وادرك ان ملاك الرب لا ينزل على البسطاء والفقراء من امثاله وامثال زوجته ، بل ينزل على الملوك والامراء كما نزل من قبل على موسى وسليمان وداود ! وغيرهم وكل من هؤلاء امير او من سلالة ملوكية !

ونعود مرة اخرى الى السؤال نفسه ونقول كيف ارتضى يوسف ان يتزوج امرأة غير باكر في رحمها استقر مولود ولعدة اشهر قبل ان يدخل بها ؟ وكيف ارتضى لنفسه ان يخدع هذ الخدعة الكبيرة وهو يدرك ان ملاك الرب لا ينزل الا على الملوك والامراء ؟ ولكن اصحاب هذا الافتراض لا يتركون تساؤلاتنا هذه دون الاجابة عليها ويقولون لنا ان يوسف النجار قد ادرك هذه الخدعة الكبيرة ولكنه اضطر الى ابقاء خطيبته مريم الى جانبه لعدة اعتبارات :

اولا : يجب ان نعرف ان يوسف النجار رجل طيب القلب خلوق يدرك ان رعاية اليتامى والخطاة سبب للتقرب الى الله ولما كانت خطيبته يتيمة وخاطئة اضطر ان يصفح عنها وعن خطئها الكبير ما دامت صغيرة السن ويمكن التغرير بها .

ثانيا : حتى لو افترضنا ان يوسف النجار لم يكن طيب القلب وخلوقا فبامكاننا ان نفترض انه صفح عنها مضطرا لانه قدر لو باح للمجتمع بأن ملاك الرب قد حل فيها فان المجتمع سيسخر من فكرته هذه ويصفه بالجنون والعته ولا يكتفي المجتمع بذلك بل سيرجمه معتبرا اياه انه هو الذي اتصل جنسيا مع خطيبته خلال فترة الخطبة وبذلك يستحق العقاب فاضطر حفاظا على حياته وليس على حياتها ان يسير في طريق الخطيئة الى نهايته . وتثبيتا لهذا الاتجاه يؤكد لنا اصحاب هذا الافتراض ان يوسف اضطر الى اخذ زوجته الى اورشليم خوفا من افتضاح امرها في الناصرة ، فولدت هناك .

وقد لازم الخوف كلا من مريم ويوسف حتى اضطرا اخير للهجرة الى مصر وبقيا هناك مع المولود الجديد عدة سنوات حتى ينسى المجتمع مسألتهم ·

ومهما كان الامر من ولادة المسيح سواء من يوسف أو غير يوسف فان اكثر النقاد متفقون على انه « لا يوجد في الكتب المقدسة ولا في الرسائل وغيرها اي تصريح او كلام للسيدة مريم العذراء من حملها به باعجوبة سماوية وقبل ان تجتمع بيوسف كما رواها متى ، لا في البدء ولا في النهاية ولا في طفولة السيد المسيح ولا في كبره ، ولم تشهد له حتى بعد ان اشتد ساعده وشرع يؤدي رسالته ولم يبق له من خوف من اعدائه ولا حتى بعد ان توفاه الله ورفعه الى جواره وانتهى امره من امور الدنيا قاطبة كما انها لم تخبر به حتى اخوته لكي يؤمنوا برسالته » · (١)

ولو كانت امه مؤمنة بما جاء به المسيح لآمنت هي وبقية اخوته تحت تأثيرها ولكن « امه واخوته يعتبرونه مجذوما ولم يؤمنوا برسالته » (٢) ولذلك كثيرا ماكان يؤكد انه وحيد في هذا العالم ليس له سوى ايمانه القوي بأبيه الذي في السماء والمؤمنين الذين يؤيدونه في رسالته ·

ففي واحد من اجتماعاته كلمه احد الحاضرين قائلا له ان امك واخوتك واقفون في الخارج طالبين التحدث اليك ، فأجاب وقال للقائل له – من هي امي ومن هم اخوتي ثم مد يده نحو تلاميذه ، وقال ها امي واخوتي – لان من يضع مشيئة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي » · (٣)

ويؤكد لنا الاستاذ ول ديورنت بأنه كان قاسيا بعض القسوة على امه · (٤)

---

(١) فاروق الدملوجي – حياة السيد المسيح جـ ١ ص ٢٠٠ ، ١ ·
(٢) المصدر السابق ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ·
(٣) انجيل متى ١٢ : ٤٨–٥٠ ·
(٤) ول ديورنت قصة الحضارة جـ ٣ م – ٣ ص ٢١٩ / ٢٢٠ ·

وربما كان موقف امه هذا منه لشعورها بالخطيئة مع الكاهن التي كان نتاجها هذا الانسان الغريب الاطوار بعد ان عرفت حقيقة ملاك الرب ٠

كما ان يوسف النجار هو الاخر لم يصرح عن حلمه ونزول الملاك عليه وامره له بالذهاب الى مصر « كما ان المسيح لم يتبرأ من يوسف ولم يقل كلمة واحدة لليهود عنه لا نفيا ولا اثباتا عند قولهم بحضوره وعلى مسمع منه اليس هذا ابن يوسف النجار ٠٠٠ » (١)

اضافة الى انه لم يصرح في تعاليمه ومواعظه ولم يومىء بشيء من اقواله عن كيفية حمل امه به وكل ما كان يقوله انه ابن الله ٠ (٢)

وربما كان قوله هذا لشعوره بالنقص ★ من ناحية ابيه وليس هناك اكبر اهمية من اهداف شخصيته من ان يجعل الله أباه ٠ ❋

---

(١) فاروق الدملوجي — حياة السيد المسيح جـ — ١ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

★ عقدة النقص او الدونية في علم النفس لمؤسسة (ادلر) مجموعة من الافكار ذات شخصية انفعالية قوية ، تدور حول ما يشعر به الشخص من قصور حقيقي او وهمي يدفع الشعور بالنقص الى التعويض الذي يحقق اهداف شخصية او اجتماعية قيمة ، اما فشل التعويض فيؤدي الى العصاب .
اما في التحليل النفسي فعقدة النقص هي عقدة الخصاء اللاشعورية المصاحبة لعقدة اوديب والناشئة عن عجز الطفل عن مواجهة الموقف الاوديبي مما يؤدي الى ضروب سلوكية لا تحقق التوافق مع الواقع . [الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠] .

❋ اضافة الى المقارنات التي ذكرناها فان صلب المسيح وعودته يذكرنا بموت تموز في الخريف وعودته في الربيع وموت ادونيس وعودته الى الحياة ثانية .
اما فيما يتعلق بأبوة المسيح على ان الله ابوه فان لها شبها كبيرا باساطير سابقة نكتفي بذكر اسطورة يونانية واحدة تتمثل في خلع الاثينيين على « ديمريوس » وعلى والده اتيخونوس — وكان لا يزال حيا — القاب التشريف الالهية .
واطلقوا على كل منهما لقب الاله المنقذ وقد اقيمت المذابح لهذين الالهين المنقذين وعين احد الكهنة ليشرف على مراسم العبادة . مكان =

ثانيا ـ شخصية المسيح واثرها في ثورته :

من اهم المسائل التي تستحق النظر في شخصية المسيح هي هل كان المسيح انسانيا اي هل كانت رسالته لكل البشر ؟ وهل كان مسالما حقا ؟

ان اول ما يستلفت النظر في تقويم شخصية المسيح عباراته المشهورة « أحبوا اعداءكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، باركوا لاعينكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم من ضربك على خدك فاعرض له الاخر ايضا » (١) ، ويقول « وان احببتم الذين يحبونكم فاي فضل لكم ، فان الخطاة ايضا يحبون الذين يحبونهم » ٠ (٢)

لكن هذه العبارات قالها والدعوة في بدايتها وهذا ليس بالامر الغريب فان كثيرا من زعماء الثورات يدعون شيئا عند التبشير بثوراتهم ولكنهم يطبقون شيئا اخر عند وصولهم الى السلطة ، فالمسيح كان مضطرا الى هذ العبارات امام اعدائه حتى لا يوقعوه بالمصيدة اضافة الى اننا لا نستطيع ان ننكر الجوانب الخيرة في شخصيته ، فكان نتيجة خوفه من السلطة يسمع اكثر مما يتكلم واذا تكلم لا يسمع صوته (٣) اذ جاء في انجيل متى « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع احد في الشوارع صوته حتى يخرج الحق الى النصر » ٠ (٤)

ولكن هدوءه هذا وعباراته المسالمة هذه كثيرا ما كان يطمسها

= يخرجون عن بكرة ابيهم للقاء مخلصيهم ومنقذيهم ، وهم يرددون الترانيم ويرقصون ويحملون الاكاليل ويطلقون البخور ويسكبون الخمور تعظيما للالهة . وكانوا يصطفون على جانبي الطريق يرددون الاغاني التي يؤكدون فيها انه وحده الاله الحق الامين ٠ [راجع الغصن الذهبي — جيمس فريزر جـ — ١ ص ٣٤٦] ٠

(١) لوقا ٦ : ٢٧—٢٩ ٠

(٢) لوقا ٦ : ٣٢ ٠

(٣) فاروق الدملوجي — حياة السيد المسيح جـ — ١ ص ٤ ٢، ٢٥ ٠

(٤) انجيل متى ١٢ : ١٩ ٠

غضبه الشديد فكان « يتصف بحماسة النبي العبراني الملتزمت اكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذي يمتاز به الحكيم اليوناني » ٠ (١)

وقد اظهر في اكثر من مناسبة نواياه فيما لو ساعده الاب ونجح في المهمة التي جاء من اجلها فكان يقول « لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ما جئت لالقي سلاما بل سيفا » ٠ (٢)

فكانت عباراته هذه تدل على ثوريته وكرهه الشديد للرومان المحتلين وطنه فكان يقول « جئت لالقي نارا على الارض فماذا اريد لو اضطرمت » (٣) ويقول ايضا « اتظنون اني جئت لاعطي سلاما على الارض كلا اقول لكم بل انقساما لانه يكون من الان خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة » (٤) ، ويقول ايضا « من احب ابا واما اكثر مني فلا يستحقني ومن احب ابنا وابنة اكثر مني فلا يستحقني » ٠ (٥)

فقد بلغ شعوره الديني من القوة حدا جعله يندد اشد التنديد بمن لا يشاركونه في ارائه ، ويعفو عن كل الاغلاط الا عدم الايمان ويقول الاستاذ ديورنت وان الانسان ليجد في الاناجيل فقرات قاسية مريرة لا تواءم قط عما يقال لنا عن المسيح في مواضع اخرى منها ٠

ويبدو انه قبل بلا تمحيص اقسى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم السرمدية التي يعذب من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالنار التي لا تنطفيء ابدا والديدان التي لا تشبع من نهش اجسامهم » ٠ (٦)

---

(١) ول ديورنت – قصة الحضارة ج – ٣ م – ٢ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ وكذلك عباس العقاد في حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ص ٩٨ ، ٩٩ ٠
(٢) متى ١٠ : ٣٤ ٠
(٣) انجيل لوقا ١٢ : ٤٩ ٠
(٤) المصدر السابق ١٢ : ٤٩ ٠
(٥) انجيل متى ١ : ٣٥–٣٧ ٠
(٦) و لديورنت – قصة الحضارة ج – ٣ م – ٣ ٠

كانت اقواله السابقة نتيجة تأثراته بزميله واستاذه (وربما اخيه ان صحت حكاية الكاهن) الذي يقول « قد وضعت الفأس في اصل الشجرة فكل شجرة لا تعطي ثمرا تقطع وتلقى في النار » (١) ٠ وهذا ما يذكرنا بفلسفة الفيلسوف الالماني نيتشه عن الانسان المتطور اذ استبدل شجرة يوحنا بهاوية فكل من لا يعبر يسقط في الهاويــة ٠

يمكننا القول ان دعوته مرت بمراحل ثلاث : اولا : المرحلــة السلبية وتتمثل في من ضربك على خدك الايمن فاعرض له الايسر ٠
ثانيا : المرحلة الايجابية : من كان له ثوبان فليعط احدهمـا لاخيــه
ثالثا : المرحلة الهجومية وتتمثل في : احمل صليبك واتبعني ٠

بعد ذلك نتساءل هل كانت رسالة المسيح منحصرة في اسرائيل ام لكل البشر ؟ والذي نلاحظه في الاناجيل ان رسالة المسيح كانت نحصرة بخراف بيت اسرائيل الضالة ٠

فكان يقول لتلاميذه « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وتمزقكم » ٠ (٢)

وكمــا نــلاحظ فقــد وردت في هــذه الايــة كلمــة « كــلاب » و « خنازير » وتعنى كلمة الكلاب والخنازير الامم الاجنبية اذ يأمرهم ان لا يعطوا ملكوت الله « القدس » للكلاب ٠

وقد امتنع مرة من علاج امرأة اجنبية طلبت منه علاجها قائلا لها « لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » ٠ (٣)

وكان يقول لتلاميذه « الى طريق امم لا تمضوا والى مدينــة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيــل الضالــة » ٠ (٤)

---

(١) لوقا ٣ : ٩ .
(٢) انجيل متى ٧ : ٦ .
(٣) راجع متى ١٥ : ٢٢ـــ٢٨ .
(٤) متى ١٠ : ٥ـــ٦ .

وأما ما جاء من اقوال « متى » من ان المسيح قام من عالـم الاموات وامر تلاميذه قائلا لهم فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعدوهم باسم الاب والابن وروح القدس » (١) يخالف ما جاء من اجله يسوع المسيح في حياته ٠ فهو قد جاء من اجل خراف بيت اسرائيل الضالة فمن غير المعقول ان يطلب الى تلاميذه بعد موته ان يبشروا كافـة الامم ، ومن غير المعقول ان يفدى ويهان ويصلب لحمل خطيئـة الامم الاجنبية التي لا يعرفها وخلافا لشريعة الاب الذي لم يرسله الا لخراف بيت اسرائيل الضالة !

ثم هناك مسألة مهمة جدا تتمثل في ان الامر بتبشير كافة الامم لو سمعه تلميذه سمعان بطرس وهو واحد من الاثني عشر تلميذا الذين ذكرهم « متى » سواء في حياة المسيح او بعد قيامه من عالم الاموات كما تدعي الاناجيل لاذعن له وبشر به بـين الامم متقدما على كل التلاميذ ، فالذي نعرفه عن انجيل متى يثبت عكس ذلك ، فالمسيح عندما قام من بين الاموات اوصى تلميذه البار سمعـان بطرس وصيته المشهورة المحررة في الاصحاح الحادي والعشرين مؤكدا له وجوب رعايته لغنمه التي هي خراف بيت اسرائيل الضالة ٠

كانت ثورته من اجل تلك الخراف هي الثمن الذي دفعه لموته ٠ ولا يفوتنا ان نذكر ان الذي ساهم في خلق شخصيته الثورية هـو يوحنا المعمدان ٠ الذي كان يعد مثالا للصرامة والجدية ومعارضا اشد المعارضة لرجال الدين اليهودي فكان يقول لهم « يا اولاد الافاعي لا يهجس باخلائكم انكم تنتسبون الى ابراهيم ٠٠ اني اقول لكم ان الله قادر ان يخرج من هذه الحجارة ابناء لابراهيم » ٠ (٢)

ولم تكن عند يوحنا المعمدان القدرة والشجاعة ما يمكنه مـن الدعوة لنفسه فكان يبشر بمجيء من هو اقوى منه ٠٠ مجيء المسيح المنتظر الذي يخلص الشعب الاسرائيلي من محنته (٣) ٠ وقد سافر

---

(١) انجيل متى ١٨ : ١٩ ٠

(٢) عباس محمود العقاد ــ حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ص ١١٥ ، ١١٦ ٠

(٣) فاروق الدملوجي ــ حياة السيد المسيح ج ــ ١ ص ١٧ ٠

عيسى الى الاردن عندما سمع ان يوحنا المعمدان يبشر بحلول ملكوت الله وقرب نزول المنقذ المخلص لبني اسرائيل ، وقابل عيسى المعمدان لكي يعمده ، ولكن المعمدان امتنع لما وجد فيه من النظر الثاقب والذكاء اللامع والاطلاع الواسع وقال له « انا محتاج ان أتعمد منك وانت تأتي الي » (١) ويقول ايضا الذي يأتي بعدي « وهو اقوى مني ، الذي لست اهلا ان احل سيور حذائه وهو سيعمدكم بالروح القدس والنار » ٠ (٢)

وهذا النص مشكوك فيه فمن غير المعقول ان يكون عيسى لا يعرف المعمدان وهو ابن خالته طوال هذه المدة ، والذي نرجحه ان اللقاء بينهما كان ممتدا منذ فترة وان اخر لقاء بينهما هو الذي تم في الاردن حيث دار بينهما من الحديث ما يذكرنا بالحديث الذي دار بين الاسكندر المقدوني وكهنة معبد آمون ٠

والظاهر ان لقاء الاردن كان بداية لتوحيد دعوتين بين ثائرين يرميان الخير لشعبهما ولما سجن يوحنا من قبل هيرودس اخذ عيسى يقوم بعمل المعمدان مبشرا بملكوت الله (٣) وقد ارسل يوحنا وهو في السجن تلاميذه لحث عيسى على العمل السريع والقيام بالمهمة المقررة بينهما فسألوه قائلين « انت هو الاتي ام تنتظر اخر ؟ » ٠ (٤)

لقد كان هذا السؤال من يوحنا تحديا وتصديقا لشخصية المسيح الانقاذية ٠ الم يقل يوحنا الذي يأتي بعدي صار قدامي ؟!! الم يقل اني لست المسيح بل اني مرسل امامه ؟

لقد كانت هذ الاسئلة وغيرها توقظ في نفس المسيح روح المقاومة والوثبة والظهور ٠ وكان موت يوحنا بداية تحد جديد لحياته، فقد شعر ان الامور بدأت تتهاوى لذلك اضطر الى الهرب خارج

---

(١) متى ٣ : ١٤ ٠
(٢) لوقا ٣ : ١٦ وكذلك متى ٣ : ١١ ٠
(٣) ول ديورنت ، قصة الحضارة ج ــ ٣ م ــ ١ ص ٢١٨ ٠
(٤) فاروق الدملوجي ــ حياة السيد المسيح ج ــ ١ ص ٢٩ ٠

البلاد خوفا من الفتك به من قبل السلطة الرومانية ما دامت تتبع اخباره وتبث الجواسيس في كل مكان للايقاع به ٠

ولكن هربه لم يدم طويلا اذ شعر في داخله انه مكلف بمهمة عسيرة وان في عنقه رسالة فاذا لم يؤدها فسيوجد من هو اولى منه بادائها ، ولما كانت حالته النفسية متأزمة ويعاني من تمزق وصراع داخلي قرر على اثره ضرورة الرجوع الى اورشليم والتبشير برسالته مهما كلفه الثمن غاليا ٠ وقد كان قراره هذا في حرق المراحل وعدم الاهتمام بالواقع الموضوعي هو السبب الذي ادى الى موته مع علمه بأنه سيهان ويسخر منه ويصلب ولكنه اصر على السير في الطريق حتى نهايته ، وعندما وصل الى اورشليم ليوجه اخر دعوة للناس حياه تلاميذه قائلين « مبارك الملك الاتي باسم الرب » (١) ولما طلب اليه الفريسيون ان ينتهر تلاميذه من اجل هذه التحية ردّ عليهم بقوله « انه لو سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » ٠ (٢)

وامام هذا الوضع المتأزم وخوفا من تأزم الامور التي لم تنضج بعد في عرف رجال الدين اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وقرروا ان يموت واحد من الشعب خير من ان تهلك الامة كلها ٠ (٣)

بعد الذي قدمناه عن الثورية في شخصية المسيح بقيت هناك مسألة اخرى لم نوردها في هذا المجال بل ارتأينا الكلام عنها عند الكلام عن معجزات المسيح ٠

ثالثا ـ معجزات المسيح :

لاحظنا عند بحثنا عن المنقذ في الديانات ان معظم المنقذين لهم امكانية القيام بمعجزات خارقة تبهر العقول فما هي المعجزة ؟ وكيف تحصل ؟

---

(١) ول ديورنت ــ قصة الحضارة ج ــ ٣ م ــ ٣ ص ٢٣٢ .
(٢) المصدر السابق ٢٣٢ .
(٣) انجيل يوحنا ١١ : ٥١ .

والمعجزة حسب التفسير الديني « امر خارق للعادة مقرون بالتحدي يجربه الله تعالى على احد الانبياء مع انتفاء المعارض - كانه بخرق العادة يقول لعباده المرسل اليهم صدق عبدي فيما بلغ مني » • (١)

ولا نستطيع ان نقبل من الناحية العلمية بأمر خارق للعادة يحدث بواسطة قوى غيبية غير مرئية انما المعجزة تحدث نتيجة وجود قوى مؤثرة في داخل من يحدثها ، اي وجود قوى فوق الكهرومغناطيسية في العقل الانساني تستطع ان تتوقع او تحس بالشيء الذي سيقع • وبامكان الوعي الانساني ان يوجه هذه القوى فوق الكهرومغناطيسية ، بالشكل الذي يريده •

والحقيقة التي يجب ان نعرفها في معجزات المسيح انها ترتبط ارتباطا وثيقا بشخصه فمن هو المسيح ؟

« ليست لدينا صورة واضحة له ولم يترك لنا اتباعه وصفا دقيقا له ، ولكن الذي لا شك فيه انه كان وسيما بعض الوسامة كما كان ذا روح جذابة » (٢) ويؤخذ من كلام نثنائيل حين رآه لاول مرة انه رائع المنظر ملكي البشارة (٣) « وقد كان ولا ريب فصيح اللسان سريع الخاطر ، يجمع الى قوة المعارضة سرعة الاستشهاد بالحجج الكتابية التي يستند اليها ••• وكانت له قدرة على وزن العبارة المرتجلة » (٤) وان المسيح لم يكن واسع العقل واسع الاطلاع ولكن قواه العقلية كانت تستند الى نفاذ بصيرته ، وقوة شعوره ووحدة الغرض عنده (٥) ، وكل هذه يمكن ان تجعل منه انسانا غير عادي ولعل هذه الامور هي التي تفسر لنا معجزاته •

---

(١) عبد الوهاب النجار — قصص الانبياء ص ٤٠٨ .
(٢) ول ديورنت قصة الحضارة جـ — ٣ م — ٣ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٣) عباس محمود العقاد — حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ص ٩٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٩٧ .
(٥) ول ديورنت ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

والذي نعتقده ان معظم معجزاته كانت تحدث بقوة الايحاء ★ ٠ واذا استطعنا ان نفسر الايحاء بأنه يحدث بتأثير انسان قوي واثق من نفسه نافذ البصر في انسان ضعيف قابل للتأثر استطعنا ان نفسر كثيرا من معجزات المسيح ، فقد كان وجوده في حد ذاته يبعث القوة فيمن حوله ٠

وان علاجه للمرضى والضعفاء ليس امرا معجزا فما من شك في ان الاساليب التي كان يستعملها كثيرا ما كانت تمارسها مصحات في ايدورس وغيرها من مراكز العلاج النفساني ٠ (١)

وهناك عاملان يؤكدان على ان هذه المعجزات ظاهرة نفسانية : « اولهما ان المسيح كان يعزو شفاء المرضى على يديه الى ايمان من يشفيهم ، وثانيهما عجزه عن القيام بمعجزات في الناصرة لان اهلها فيما يبدو كانوا ينظرون اليه على انه ابن النجار ولا يؤمنون بقواه غير العادية » ٠ (٢)

ومن هذه النقطة نستطيع ان نفسر علاجه النفساني لابنة بايروس التي اعتبرت ميتة فقال عنها المسيح « ان البنت لم تمت بل كانت نائمة » (٣) ويقول الاستاذ ديورنت بانها ربما كانت مصابة بداء الشخوص او التخشب وهو مرض عصبي يتميز بفقد الارادة وتصلب العضلات ٠ ولم يلجأ المسيح حين ناداها الى لهجته الاعتيادية اليومية بل قال لها بلهجة آمرة مؤثرة « طليثا قومي » (٤) اي يا صبية قومي ٠

وتذكرنا معجزة عيسى هذه بمعجزة راسبوتين ★ الراهب الذي

★ الايحاء هو ميل الانسان للخضوع والامتثال للافكار التي يسوقها الاخرون دون تساؤل او مقاومة كبيرة (الحياة الانفعالية من المراهقة الى النضج — سيرجون انجلش وجيرالد بيرسون) ٠

(١) المصدر السابق ٢٢١ / ٢٢٢ / ٦ — المصدر السابق ٢٢١ / ٢٢٢ ٠

(٢) المصدر السابق ٢٢١ ، ٢٢٢ ٠

(٣) ول ديورنت — قصة الحضارة ج — ٣ م — ٣ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ٠

★ راسبوتين : جرجورى يفيمتش (١٨٧٢ — ١٩١٦) راهب روسي ، =

عالج ولي العهد الروسي الصغير والذي كان مصابا بنزف الدم حين عجز الاطباء عن علاجه ·

ومن معجزاته ما جاء في العهد الجديد انه استطاع ان يكشف تلميذه الخائن « يهوذا الاسخريوطي » وقال لاتباعه ان هذا هو الذي يسلمني الى السلطات الرومانية والحقيقة ان امكانية المسيح في الكشف تعتمد على خبرته وقوة نفاذ بصيرته وكل الذين يمارسون العمل السياسي يعرفون هذه الحقيقة ، وربما يذكرنا اكتشاف المسيح لتلاميذه باكتشاف ستالين لمدير الاستخبارات « بيريه » حيث حذر الاخرين من خطره وقد صدق فيما ذهب اليه · فليس في عمل المسيح هذا اعجاز · وقد اخرج المسيح من مريم المجدلية ـ كما تقول الاناجيل ـ سبعة شياطين (١) لذلك كانت تشعر بالدفء والطمأنينة عندما يكون موجودا بالقرب منها ·

وتذكر الاناجيل ان الشياطين التي تخرج من الاجسام التي ينجيها المسيح كانت تتذمر وتشتكي من خروجها من الجسم الانساني عند حضور المسيح !! « آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا » (٢) ويذكرنا موقف المسيح من الشياطين بموقف زرادشت من الديوات اعوان الشيطان « اهريمان » عندما حمل حجرا كبيرا واراد قتلها ولكنها طلبت منه ان يغفر عنها ·

ولكن الحقيقة العلمية ترفض هذا التصور اذ لا وجود لعناصر غيبية في جسد الانسان انما الانسان وليد ظروفه الاجتماعية فمتى ما عرف المعالج اسباب المرض وهي اسباب مادية حتما استطاع علاجه ·

= وشخصية داعرة التصق ببلاط نقولا الثاني . كان فلاحا اميا ، وفاجرا لعينا ، سيطر على القيصر والقيصرة عن طريق « علاجه » الخارق لولي العهد المصاب بنزف الدم . استخدم نفوذه الشديد في ميادين السياسة والتعينات الحكومية (الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٥٧) .

(١) انجيل لوقا ٨ : ٢ .

(٢) انجيل لوقا ٤ : ٣٤ .

ومن طريف ما يذكر ان زعماء الدين اليهودي تحدوا يسوع بعد صلبه ان كان يستطيع ان ينقذ نفسه اذ ان معجزاته كانت لانقاذ الاخرين وها هو الان بحاجة الى معجزة تنقذه من الصلب !

وربما كانت ارادة الرب هي التي فرضت ذلك كما يقول المسيحيون ! لكن الرجل قد مات ميتة بائسة واخذ يصرخ بصوت عظيم في لحظاته الاخيرة (ايلى ايلى لما شيفتني • اي يا الهي يا الهي لماذا تركتني) •

ولو اردنا ان نقارن موقفه هذا بموقف « الحلاج » عندما ضرب بسيف على وجهه فصاح بصوت عال ايضا (هذا دلال الجمال) واخذ يتوضأ بدمه ومعنى ذلك ان الاله يتدلل على الحلاج وخروج دمائه دلالة على هذا الدلال ، نقول لو اردنا ان نقارن بين المسيح والحلاج في هذا الموقف لوجدنا الحلاج اصلب في مبادئه وامتن في شخصيته من يسوع •

الفصل السادس

المنقذ في الديانة الاسلامية

النبــي محمـد منقـذا :

عند الكلام عن المنقذ في الفكر الاسلامي وبالاخص عن النبـــي محمد تعترض طريقنا اكثر مــن مسألــة • فيجــب ان نعترف ان تراثنا الاخلاقي يعيقنا عن التحدث بكل موضوعية • فأخلاقنا هي اخلاق محمد ، وتربيتنا وتعليمنا امتداد لما جاء به محمد •

لذا سنحاول جاهدين ان نكون اقرب الى الموضوعية في بحث شخصية محمد •

واول حقيقة نستطيع ان نقررها ان محمد شخصية ذكية له مقدرة فائقة في سبر الواقع الموضوعي الناتج عن حدة التناقضات في المجتمع القبلي المحيط بالحجاز ، فليس هناك طفرات في التاريخ ، وكل واقعة اجتماعية تكون مرتبطة ارتباطا كليا بالواقعــة التــي سبقتها • فلا نستطيع ان ننكر وجود خطوط معارضة للوثنية قبل محمد ولا نستطيع ان ننكر وجود مقدمات لقيام ثورة اجتماعيــة « فالعرب كانوا قد تأهبوا ، خلال فترة الجاهلية لبعث جديد تأهب

الرمال العطشى للوابل والحطب اليابس للاشتعال » (١) واصيبت الوثنية بهزات عنيفة قبل الاسلام حينما ادى اختلاط العرب بالاجانب الى بذر بذور الريب في اوساطهم والشكوك في صحة معتقداتهم الوثنية فقد قامت مدنيات في سوريا والعراق بتأثير الحضارتين الرومانية والفارسية على وجه الخصوص اضافة الى وجود اعداد كبيرة من اليهود والمسيحيين في مدن وقرى الحجاز ٠ وهذا عكس ما يذهب اليه كثير من الباحثين الذين يعتقدون ان العرب قبل الاسلام كانوا على جانب من الانحطاط الفكري ، وان تفكيرهم في المسائل الدينية تفكير بدائي ساذج ، وحقيقة هذا الامر انه خاطىء واذ جاء انطباقه على بعض القبائل فلا يمكن سحبه على البقية ، لا سيما المتحضرين ومن هم على اتصال بالعالم الخارجي ٠

ولذلك فان اديان العرب قبل الاسلام قد تأثرت بموجات خارجية فمنهم من كان على دين اليهود ومنهم من كان على دين النصارى ٠

فاليهودية والنصرانية قد انتشرت في بلاد العرب عن طريق الهجرة والتبشير والاتصال بفلسطين والعراق (٢) ٠ وقد كان هذا الوضع محفزا لظهور شخصيات اصلاحية حاولت ان تنفذ من خلال مسألة التوحيد لعلاج الواقع الاجتماعي المتدهور ، فمحمد لم يكن اول من ظهر في جزيرة العرب كمصلح وداع للتوحيد فقد ظهرت قبله شخصيات عدة امثال خالد بن سنان العبسي وقس بن ساعدة الايادي ، وعمره بن عبسة السلمي وحنظلة بن صفوان وامية بن ابي الصلت ومن الشخصيات الفكرية البارزة (قس بن ساعدة) المتوفى سنة ٦٢٠م حيث دعا الى الكف عن عبادة الاوثان ٠

كان في اول امره زاهدا على الدنيا ثم تنصر ونصب قسا في نجران (٣) ويعتبر قس من مشاهير خطباء العرب « وله خطبة في سوق عكاظ على غرار انشاء القرآن ٠ منها قوله « ان في السماء لخبرا ،

---

(١) محمد جميل بيهم ــ فلسفة تاريخ محمد ص ٤٢ ، ٤٣ ٠
(٢) الدكتور جواد علي ــ تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ١٠ ، ١١ ٠
(٣) محمد جميل بيهم ــ فلسفة تاريخ محمد ص ٥١ ، ٥٢ ٠

وفي الارض لعبرا • ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج » • (١)

ومن الشخصيات الفكرية التي كان لها الاثر الكبير في شخصية النبي محمد « ورقة بن نوفل » الذي كان مطلعا على الكتب المقدسة لليهود والمسيحيين •

كان رجلا ذا افق واسع ، وعقل راجح ، كان في الاصل يهوديا ثم تنصر • ولقد تم لقاء محمد به عن طريق زوجته خديجة حيث كان ورقة احد اقربائها • (٢)

ولا يمكن بشكل من الاشكال انكار دور ورقة في انضاج افكار محمد حيث نفر من الوثنية وتبلورت في ذهنه فكرة التوحيد •

اما عن علاقة محمد « بأمية بن ابي الصلت » فلها اهمية خاصة في البحث بين كل الموحدين الذين سبقوا الاسلام ونظرا لاهمية هذه العلاقة فسنعود اليها في نهاية الكلام عن المنقذ « محمد » •

اذ يمكن القول ان النبي محمد استفاد على نحو ما من الاديان التي سبقته ، لا سيما المسيحية وله يرجع الفضل في تطوير فكرة التوحيد اذ انتقل بها من التشبيه الى التجريد •

•• « وتدل كثير من ايات القرآن على اعجابه باخلاق المسيحيين، وبما في دين اليهود من نزعة الى التوحيد ، وبما عاد على المسيحية واليهودية من قوة كبيرة لان لكلتيهما كتابا مقدسا تعتقد انه موحى من عند الله » • (٣)

وتأثر محمد بالافكار السائدة قبله ، ليس بالامر الغريب

---

(١) المصدر السابق ص ٥١ ، ٥٢ •

(٢) ابن هشام — السيرة النبوية — تحقيق مصطفى العقاد واخرين ص ١٥٧ ، ١٥٨ وكذلك واشنجتون ارفنج — حياة محمد ص ٥٣ ، ٥٤ •

(٣) ول ديورنت — قصة الحضارة — ترجمة محمد بدران ج — ٢ م — ٤ ص ٢٣ •

فالفكر الانساني يؤثر ويتأثر ولا يمكن ان يأتي شيء من العدم ٠ اضافة الى ان محمد كان يصرح بأنه جاء متمما لا ناقضا ٠ ان كل الذي قدمناه هو للتأكيد علي ان الجزيرة العربية كانت بانتظار حركة اجتماعية تنتشلها من وضعها وتدفعها نحو الاحسن ٠

وكما قلنا فقد سبق النبي محمد عدد من المصلحين والمتنبئين في بداية القرن السابع (م) حيث كان قسم كبير منهم ينتمي الى الدين اليهودي والمسيحي ، فكان من ضمن برنامجهم التبشير بعقيدة المسيح المنتظر التي تؤمن بها كلتا الديانتين ، فهيأوا العرب لانتظار منقذ منتظر من السماء !

ولما قام محمد بدعوته الجديدة كان ينتظر منه تغيير بنية المجتمع الى واقع احسن وفعلا كانت بداية الدعوة تبشر بخير كبير وهذا ما ادى الى ان يكون معظم المنتمين اليها في البداية من المعدمين والفقراء ٠

وقبل ان نذهب بعيدا في تقويم شخصية محمد ودوره في الحركة الجديدة نعود الى التساؤل التقليدي الذي اعتدنا عليه في هذا الكتاب وهو هل تعرضت ولادة محمد كشخصية منقذة لما تعرضت له بقية الشخصيات المنقذة التي اسلفنا الكلام عنها ؟

وحقيقة الامر انها تعرضت لما تعرضت له ولادة المنقذين الآخرين ، فقد عمد المؤرخون لحياته الى اضفاء كثير من الاحداث والصفات الاسطورية حول شخصيته محاولة منهم لرفع شأنه وجعله علامة بارزة في التاريخ الانساني ٠ ولكن عملهم هذا في اضفاء صفات اسطورية على شخصية محمد كان عاملا تخريبيا ادى الى تجريد محمد من صفته كقائد اجتماعي ٠

واول ما نلاحظ من صفات ميثولوجية بين محمد وغيره من الشخصيات الانقاذية هي ولادته ٠

ونظرا لاهمية هذه المسألة ، نرى من الافضل ان نتتبعها كما روتها المصادر الاسلامية محاولين تبيان اوجه الشبه بين ولادته وولادة غيره من الابطال المنقذين ٠

فقد قيل لامه قبل ولادته « انك حملت بسيد هذه الامة ، فاذا وقع على الارض فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمد (١) وهذا ما يذكرنا بولادة يوحنا وعيسى حيث اصر الملاك زكريا ان يسمى ابنه يوحنا وامر ـ اي الملاك ـ مريم ان تسمي ابنها يسوع .

وكان مولد محمد مصحوبا بعلامات واشارات تعلن عن مولد الطفل المعجزة ، فلم تتحمل امه اي مشقة في حمله او ولادته ، وانبعثت ليلة مولده انوار اضاءت قصور بصرى من ارض الشام (٢) . ولما ولد وقف على قدميه . ورفع عينيه الى السماء وقال « الله اكبر ، لا اله الا الله ، وانا نبي الله » (٣) وفي بعض المصادر « اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء » . (٤)

وكل ما ذكرنا له علاقة شبه بالمنقذين الذين اسلفنا الحديث عنهم فمولد بوذا وكرشنا وعيسى وزرادشت كان مصحوبا ايضا بعلامات واشارات عظيمة فلم تتحمل اي واحد من هؤلاء المنقذين اي مشقة حين ولادة مولودها . وقد كان ميلاد هؤلاء المنقذين مصحوبا بعلامات معجزة ، حيث انارت السماء ورتلت الملائكة اناشيد الفرح والسرور لولادة بوذا وكرشنا وعيسى وزرادشت .

وقد وقف بوذا ايضا على قدميه وقال انا سيد هذا العالم ،

---

(١) ابن هشام البصري ـ السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى السقا واخرون ص ١٥٧ ، ١٥٨ . من الجدير بالملاحظة ان القرآن لم يتطرق الى هذه الجوانب الخارقة في شخصية محمد عكس ما عليه الحال مع المنتفعين الاخرين .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ وكذلك السيرة النبوية لابي الفداء ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ وكذلك حياة محمد ـ واشنجتون ارفنج ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣) واشنجتون ارفنج ـ حياة محمد ـ ترجمة محمد علي حسن الخربوطلي ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) ابي الفداء ـ السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

وقد تكلم عيسى وكرشنا وهما في المهد ، وضحك زرادشت بصوت مرتفع اهتزت له اركان البيت وهربت الارواح الشريرة الى عالمها السفلي ، وتذهب المصادر الاسلامية زيادة في اثبات الاعجاز لمولد النبي محمد فتقول ان السماء والارض قد ارتجت واهتز عرش كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة (١) • وغاصت مياه بحيرة ساوى وجفت جوانبها بينما فاضت مياه دجلة والفرات فاغرقت الاراضي المحيطة بها • (٢)

وفي تلك الليلة ـ اي ليلة مولده « رأى قاض فارسي في حلمه ان فرسا عربيا قد صرع جملا شرسا وقص حلمه في الصباح على كاهن فارسي ففسره بأن بلاد فارس ستهدد بخطر قادم من بلاد العرب » •

ولهذا الحلم علاقة شبه كبيرة بالروايات الاسطورية المتعلقة بالمنقذين السابقين ففرعون ايضا قد حلم حلما مزعجا وقرر ان يقتل كل الاطفال العبريين لان طفلا سيولد يكون على يديه موته ، وقد تكرر هذا الحدث في الاساطير الهندوسية كما مر بنا عند بحثنا لشخصية كرشنا وتعرض له كل من زرادشت وكورش وعيسى والاسكندر ونبوخذ نصر وغيرهم من المنقذين •

وقد ولد النبي محمد مختونا وقد قال عن نفسه « من كرامتي على الله اني ولدت مختونا ولم ير سوأتي احد » • (٣)

وعند ولادته تنبأ له خاله ، وكان له خبزه بالتنجيم بأنه سيكون له شأن عظيم وسيؤسس امبراطورية ، وسيدعو الى عقيدة جديدة (٤) • واقام جده عبد المطلب احتفالا كبيرا احتفاء بهذا

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٥ .

(٢) المصدر السابق وكذلك حياة محمد ــ واشنجتون ارفنج ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) ابي الفداء ــ السيرة النبوية ــ تحقيق مصطفى عبد الواحد ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٤) واشنجتون ارفنج ــ حياة محمد ــ ترجمة علي حسن الخربوطلي ص ٣٢ ، ٣٣ .

المولود الجديد ودعا اليه كبار رجال قريش ، وتتنبأ له جده ايضا بمستقبل عظيم ٠

ومعظم المنقذين الذين اشرنا اليهم تعرضوا لما تعرض له محمد ، اذ نزل الكاهن من صومعته عندما شاهد عرسا واحتفالا في السماء وعلم ان بوذا قد ولد وعندما رآه تنبأ له بمستقبل عظيم كما توقع له هذا المستقبل بقية الكهنة الذين دعاهم الامير - اي والد بوذا - وتعرض لهذه الواقعة كرشنا وعيسى حيث توقع المجوس الذين جاؤوا لرؤية الطفل المعجزة عيسى ، مستقبلا عظيما لهذا الطفل ٠

وتروي حليمة السعدية الكثير عن هذا الطفل الذي قامت برعايته ، فقد كان القمر ينحني احتراما له ، اذا تطلع الطفل محمد اليه (١) ٠ ويذكر الكتاب العرب انه خلال فترة بقاء الطفل في رعايتها لم تجف الابار والعيون ابدا ، وظلت المراعي دائما خصبة واستطاع ان يشارك الاخرين في رياضتهم وان يستخدم القوس والسهم وعمره ثمانية شهور (٢) ٠ وهناك حادثة وقعت للنبي محمد وعمره ثلاث سنوات ننقلها اولا ثم نحاول ان نعلق عليها ٠

وتتلخص هذه الحادثة في ان محمد عندما اصبح عمره ثلاث سنوات وبينما كان يلعب في الحقول ظهر له ملكان يشع منهما النور فأرقدا محمد على الارض وشق احدهما وهو جبريل صدره بكل رفق وبدون ان يسبب له الما ثم نزعا قلبه وطهراه من الحقد والكراهية والشر الذي زرع في القلوب منذ آدم والذي كان - اي الحقد - يؤدي بالبشر الى ارتكام الاثام ٠ وبعد ذلك ملأ الملكان قلبه بعد غسله وتنقيته بالايمان والمعرفة والنور واعاداه الى مكانه في صدر الطفل ٠ (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ، ٣٥ ٠

(٢) ابن هشام — السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا واخرون ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ٠

(٣) ابن هشام — المصدر السابق ص ١٦٤ ، ١٦٥ وكذلك ارفنج المصدر السابق ص ٣٥ وابي الفداء — السيرة النبوية ص ٢٢٩ ٠

هذا الحدث القصصي نقله لنا المؤرخون المسلمون بكل سذاجة وبدون التحقق من صحته فأول ما يلاحظ على هذا الحدث الاسطوري ان له علاقة شبه كبيرة بما حدث لزرادشت في تجربته مع الشيطان اذ شق الشيطان صدر زرادشت وملأه بالرصاص ولكن زرادشت كان اقوى من الشيطان واستطاع ان يغلبه ٠

نقول ان الحدث القصصي السالف الذكر قد اسقط عملية التجربة التي تعرض لها بقية المنقذين واختصر الرب على محمد الطريق اذ نقى قلبه من العصيان والاثام وجعله صالحا لاداء الرسالة دون ان يعرضه للتجربة التي عرض لها بقية المنقذين الذين قبله ما دام الرب على كل شيء قديرا ٠ وبذلك اسقط المؤرخون المسلمون الفعل الدرامي من الحدث الاسطوري الذي تعرض له النبي محمد ٠

وفي علاقة النبي محمد بالراهب « بحيره » شبه كبير بالعلاقات التي صاحبت المنقذين الذين سبقوه ، فعند لقاء محمد بالراهب « بحيره » وجد بحيره من السمات في شخصية محمد ، من حدة في الذكاء ، وقدرة على التفكير وقوة في الشخصية ما جعله يضع همه في القضاء على تعاليم الوثنية التي لاحظها محمد في مجتمعه ٠

ولا يمكننا ان ننكر ان رحلات محمد الى الشام كان لها اكبر الاثر في بناء شخصيته الفكرية وعقيدته التي بشر بها فيما بعد ٠

والملاحظ ان المؤرخين المسلمين بدلا من ان يصوروا لقاء محمد ببحيره تصويرا عقليا يمكن الاعتماد عليه ، ذهبوا بعيدا ونسبوا اهتمام الراهب « بحيره » بمحمد الى وجود خاتم النبوة الذي لاحظه بين كتفي محمد (١) ٠ وخوفا على محمد فقد حذر « بحيره »

---

(١) ابن هشام ــ السيرة النبوية ــ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ وكذلك ابي الفداء في المصدر السابق ص ٢٢٤ ، ٢٤٥ وارفنج ــ المصدر السابق ايضا ص ٤٥ ، ٤٦ وكذلك محمد لطفي جمعة في ثورة الاسلام وبطل الانبياء ص ٤٤ ٠

ابا طالب ان يحافظ على ابن اخيه ، حتى لا يقع في ايدي اليهود فيروا خاتم النبوة فيوقعوا فيه الاذى ولهذه العلاقة بين محمد وبحيره شبه كبير بالعلاقة بين يوحنا المعمدان ويسوع المسيح عندما التقيا في الاردن حيث وجد يوحنا من الميزات في شخصية المسيح ما يؤهله للقيام برسالته · وهذا ما تحقق مع محمد اذ وجده « بحيره » خير من يحمل بذور المسيحية الى المجتمع الوثني في مكة ، وتستطيع ان تلمس ذلك في السلوك العقائدي الذي جاء به محمد اذ احترم العقائد المسيحية واليهودية وجعلها منطلقا لرسالته ·

لكن السؤال الذي يمكن ان نطرحه الان والذي كان مدارا للجدل بين بعض المستشرقين ، الذين يعتقدون ان محمدا ليس الا راهبا خرج على التعاليم المسيحية ، هو لماذا لم يبشر محمد بافكار الديانة اليهودية او المسيحية ما دامت هاتان الديانتان كانتا منطلقا وخلفية لعقيدته الجديدة ؟

وللاجابة عن هذا السؤال يجب ان نلاحظ الجانب الذاتي الذي يتمثل في شخصية محمد والجانب الموضوعي الذي يتمثل بالمجتمع الحجازي ·

فلا نستطيع ان ننكر عن محمد اصالته الفكرية وابتعاده عن التقليد ، اذ اننا نستطيع ان نفترض ان قوة ملاحظته وحدة ذكائه ابعداه عن التقليد وفرضا عليه الاصالة ، اما الجانب الموضوعي ويتمثل في المجتمع الحجازي كمجتمع عربي ، فالملاحظ ان سلوك المجتمع العربي سلوك متعال ، يأبى الخضوع للافكار التي تسوقها مجتمعات بعيدة عن مجتمعه ، ويعتز بأصله اعتزازا شديدا فالمسيحية واليهودية كانتا منتشرتين في الجزيرة العربية ولكن العربي كما قلنا يأبى الخضوع لافكار تسوقها مجتمعات اقل من مجتمعه شأنا في عرفه ، ولذلك نستطيع القول ان محمدا كان ذكيا جدا في التبشير بأسلوب مبتكر لعقيدته الاسلامية ·

---

(٢) المصادر السابقة .

وربما كان الجانب الموضوعي المتعلق بالمجتمع العربي ضعيفا وغير مقنع لذا لا بد من البحث عن اسباب اخرى يمكن الالتجاء اليها لتكييف المسألة سالفة الذكر فبالنسبة لعدم التبشير باليهودية نستطيع ان نقول ان اليهود قوم متقوقعون على انفسهم وديانتهم ذات طابع قومي متطرف تغلب عليه صفة اعتبار انفسهم اسياد العالم ٠

ومن حيث الواقع فان لليهود مدنهم الخاصة بهم في اطراف الحجاز وهذا ما ادى الى عزلهم عن البقية ٠

اما بالنسبة الى المسيحية ، فالذي نعتقده ان عدم تبشير النبي محمد بها ينحصر بالاسباب التالية :

اولا ـ ان الذين يدينون بالمسيحية في الجزيرة العربية لا يعرفونها الا معرفة سطحية اضافة الى ان هذه الديانة تحتوي على كثير من الخوارق والاسرار بحيث يعز ان تسود في مجتمع صحراوي ذي نزعة مادية ٠

ثانيا ـ التزام الديانة المسيحية بالجانب الروحي في حين ان المجتمع الحجازي يعيش في ارض قاحلة جرداء مما يتطلب ـ نتيجة لدراسة نفسية المجتمع والبيئة من قبل النبي محمد ـ اغراءه ببعض المكاسب المادية في اليوم الاخر وفعلا جاءت الجنة الموصوفة في القرآن بحيث تؤكد ما ذهبنا اليه ٠

ثالثا ـ سيادة الثقافة الهيلينية في المجتمع العربي لمدة طويلة بحيث اصبحت الديانة المسيحية احدى دعائم تلك الثقافة ولما كانت الدولة الرومانية هي التي تقود هذا الاتجاه ، فقد قام رد فعل ضد هذه الثقافة ، من اجل بناء مجتمع عربي مترابط وله مقوماته الخاصة ٠

بعد ذلك ننتقل الى مسألة اخرى غاية في الخطورة اذ كانت

---

(١) محمد لطفي جمعة ــ ثورة الاسلام وبطل الانبياء ص ٦٤ ٠

سلاحا خطيرا في ايد بعض المستشرقين للانتقاص من شخصية النبي محمد ، هي مسألة الصرع اذ اتهم بعض المستشرقين النبي محمد بأنه مصاب بالصرع مستندين في ذلك على ما أثبته المؤرخون المسلمون حول شخصيته ·

ولدقة المسألة وخطورتها نحاول ان نتتبعها تدريجيا ومن خلال ما جاء في المصادر الاسلامية · فقد سئل النبي مرة عن كيفية نزول الوحي فقال « احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو اشده ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي ما يقول » (١) · وقال ايضا « نعم اسمع صلاصل ثم اثبت عند ذلك ، وما من يوحى الي الا ظننت ان نفسي تفيض منه » (٢) ويقول ايضا « طيلة الشهور العشرة التي سبقت الوحي ، كان يتخلل نومي نور باهر ، يشبه فلق الصبح · وكنت حينما ابتعد عن الديار اسمع اصواتا تنادي يا محمد يا محمد ، فكنت انظر يمنة ويسرة ، ومن خلف ، فلا اجد الا شجيرات وصخورا فيأخذني القلق والحيرة » · (٣)

وكانت هذه الاخبار التي وردت عن محمد منطلقا للهجوم عليه فقد اعتبره بعضهم مصابا بالصرع ★ معتمدين في ذلك على

---

(١) ابي الفداء ـــ السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد ص ٤٢١ ، ٤٢٢ وكذلك التبريزي ـــ مشكاة المصابيح ـــ تحقيق محمد ناصر الدين الالباني جـ ـــ ٣ ص ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، وكذلك محمد حسين هيكل ـــ حياة محمد ـــ في ص ٤٠ .

(٣) من هامش كتاب حياة محمد ـــ واشنجتون ارفنج ص ٥٦ ، ٥٧ .

★ الصرع : داء عصبي يتميز بنوبات فجائية من فقدان الوعي تقترن غالبا بالتشنج وتتفاوت هذه النوبات في شدتها ومعدل ترددها وفي فترة الوقت الذي تستغرقه . وقد تكون النوبة هينة عابرة او قد تكون بالغة الخطورة . وقد تقع النوبة بغتة بلا نذير ، وقد ينذر بها حس سابق وهمي غريب يسمى الهورة يعتري احد الحواس . كالبصر او السمع او الذوق او الشم او اللمس كأن يرى المريض شبحا ، أو يسمع صوتا او يشم رائحة . ويعقب ذلك مباشرة وقوع المريض صارخا على الارض فاقدا وعيه ثم تتملكه رعدة تشنجية تتصلب فيها العضلات وقد يتوقف =

سماعه لصلصلة الجرس الذي لا يراه ، اذ يعتبر سماع صلصلة الجرس علامة من علامات الصرع اضافة الى التشنجات والاغماء الذي كان يصيبه • ولكن أراء المستشرقين الذين ذهبوا الى ان محمدا كان مصابا بالصرع قد ردت من قبل اخرين • فذهب المستشرق « دوغويه » الى ان هذا الامر بعيد الاحتمال « ويعلل ذلك بأن الحافظة عند من يصيبهم الصرع تكون معطلة على حين ان حافظة محمد كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي » • (١)

ويقول الاستاذ ديورنت « ولكننا لا نسمع انه عض في خلالها لسانه او حدث ارتخاء في عضلاته ، كما يحدث في نوبات الصرع وليس في تاريخ محمد كما يدل على انحطاط قوة العقل التي يؤدي اليها الصرع عادة بل نراه على العكس يزداد قدرة على التفكير وثقة بالنفس وقوة في الجسم والروح والزعامة كلما تقدمت به السن » • (٢)

والذي نلاحظه ان المؤرخين اضفوا على محمد من الصفات مما كان سببا في هجوم بعض المستشرقين على شخصيته ، اذ كان عملهم هذا محاولة منهم لتعظيمه اولا ولربطه بغيره من الانبياء اليهود ، حيث كان بعض انبياء بني اسرائيل مصابين بحالات مرضية كاللوثة ، وداء العظمة ، والاختلال الذهني •

ومهما كان الامر فبامكاننا القول ان محمدا اول مصلح في الجزيرة العربية اتاحت له الظروف ان يساهم في ابدال واقع الجزيرة المتأزم الى مرحلة اكثر تقدما وربما يعترض على قولنا ان محمد اول

= فيها التنفس مؤقتا ويعض المريض لسانه اثناء النوبة ، ويتبول على نفسه وقد تحدث له اصابات او حوادث عرضية خطيرة من جراء هذه النوبات ، ويعقب ذلك ضرر في القوى واستغراق في النوم يصحو فيه المريض خالي الذهن من تذكر ما حدث له (الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٢٢ ، ١١٢٣) .

(١) واشنجتون ارفنج — حياة محمد — من هامش المترجم ص ٥٩ .

(٢) ول ديورنت — قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ج — ٢ م — ٤ ص ٢٦ وانظر كذلك — حياة محمد — محمد حسين هيكل ط — ٨ ص ٤٠ .

مصلح ظهر في الجزيرة العربية معللا رأيه بظهور كثير من المصلحين ومن بينهم خالد بن سنان الذي لاقى في سبيل اصلاحه شتى انواع السخرية والافتراء من قومه ·

والحقيقة اننا قد اعترفنا سابقا بظهور مصلحين اجتماعيين ولكن اعتبارنا محمد اول مصلح اجتماعي يستند الى انه الشخصية الوحيدة التي استطاعت الوصول للسلطة والتي لا زالت افكارها الاخلاقية موجودة الى يومنا هذا ·

ولا بد لنا هنا ونحن نتكلم عن ثورية هذا المنقذ من تكييف الصراع الذي دار بينه باعتباره ممثلا لقيم جديدة ، وبين المكيين واليهود باعتبارهم يمثلون القديم من جهة اخرى ·

ولنبدأ بتكييف الصراع بينه وبين اصحاب رؤوس الاموال في مكة · واول حقيقة نستطيع ان نلمسها ان الصراع العقائدي بين محمد ورجالات مكة كان يختفي وراءه الصراع الاقتصادي ، فالنظام الوثني القائم في مكة كان يجر وراءه الاموال الطائلة لرجالات مكة حيث ينتفعون انتفاعا بالغ القيمة من موسم الحج للكعبة ·

فدفاع رجال مكة عن الهتهم كان يختفي وراءه دفاعهم عن مصالحهم الاقتصادية التي لم يكن النظام الكهنوتي القائم الا وجها واحدا للدفاع عن هذه المصالح ·

حيث كانوا ـ اي رجال مكة ـ على يقين تام بأن الذين يتبعون محمد مجموعة من الفقراء البائسين وان استمرار محمد في دعوته يعني انشاء دولة للفقراء داخل دولة الاغنياء ، ولكن هذا الصراع سرعان ما بدأ يضمحل عندما قدم محمد تنازلاته لرجالات الاموال في مكة وتمثل ذلك في ابقاء الطقوس الوثنية على ما هي عليه، ولم يكتف بذلك بل عمل على تطويرها واعتبرها احدى الفرائض الملقاة على عاتق المسلمين ان استطاعوا الى ذلك سبيلا فالاسلام لا يكتمل الا بالفرائض الخمس التي من بينها الحج · وقد كان لهذا التنازل نتائج بالغة الخطورة · فما دولة الامويين في الشام الا رجوع دولة اصحاب الاموال بشكل جديد ·

اما صراع محمد مع اليهود فالملاحظ انه لما ابتدأ يختط له طريقا خاصا بالتوحيد ثار اليهود عليه واعتبروه محرفا لكتبهم وان المعلومات التي جاء بها قد اخذها عن ديانتهم ولكن بشكل مشوه • ويختفي وراء هذا الاتهام الخوف من تصدع مصالحهم اذ ان قيام محمد بانشاء دين جديد يعني حصر الدين اليهودى في اضيق نطاق وبالتالي خسران اهدافهم من كسب العالم الى جانبهم وتحت زعامتهم •

والذي يهمنا من هذا الموضوع هو هل استفاد محمد فعلا من التراث الديني اليهودي كما يدعي اليهود انفسهم ؟

وحقيقة الامر انه لم يكن ما استفاده النبي محمد مقتصرا على الدين اليهودي وحده ، فنظام الصلاة الذي كان فريضتين في اليوم ثم تطور الى ثلاث فرائض كان متأثرا بالفكر اليهودي ولكن النبي لم يبقه على ما هو عليه خوفا من الاتهام بل اضاف اليه فريضتين فاصبح خمس فرائض في اليوم الواحد وكان متأثرا بالطقوس الفارسية • (١)

« اما الشعائر الاخرى كالدعاء الى الله ـ وبخاصة في الصلوات الليلية ـ الذي كان يمارسه محمد بحرارة على منوال الزهاد النصارى ، فكانت تعتبر مسائل خاصة • ولكن الذي لا شك فيه ان هذه الصلوات كان يقدم لها ، منذ البدء ، بالوضوء ، الذي كان ايضا عند بعض الفرق النصرانية » • (٢)

وقد تأثر النبي محمد كما تأثر قبله المسيح بيوم الحساب في العالم الاخر الذي جاءت به الديانات الاخرى واخذ ذلك عن الديانة المسيحية اذ جاء يوم الحشر في الفكر الديني الاسلامي مخيفا مرعبا اذ يبقى المذنبون في النار ابد الدهر يسبحون بالنيران المتقدمة ، وكلما احترقت جلودهم بدلت بجلود اخرى •

---

(١) كارل بروكلمان ـــ تاريخ الشعوب الاسلامية ـــ ترجمة نبيه امين زكي ومنير بعلبكي ط ـــ ٥ ص ٣٨ـــ٣٩ •
(٢) المصدر السابق ص ٣٨ ، ٣٩ •

والحقيقة ان النار التي وعد بها النبي محمد المشركين والكفار لا تتفق مع اخلاقية محمد وسمو فكره ولكنه كان متأثرا بالديانات الاخرى من ناحية ثم لحث المشركين على الدخول في الاسلام من ناحية اخرى ٠

وما ينطبق على النار ينطبق على الجنة ، فقد جاء الوعد بالجنة في اليوم الاخر كما هو عليه الحال في الديانتين اليهودية والمسيحية ، ولكنها تختلف عن الجنة التي وعد بها يسوع اتباعه على اساس ان الاخيرة تتميز بتغليب الجانب الروحي بينما تتميز الجنة التي وعد بها محمد اتباعه بالجانب المادي كما سبق ونوهنا الى ذلك ٠

ويذهب الاستاذ « ارفنج » الى ان « بعض ما جاء في القرآن سبق ان جاء في التوراة والانجيل ، وخاصة الايات التي تتعلق بالملائكة والانبياء ، والجن والاخيار والاشرار » ٠ (١)

وقد اضطر محمد في غمرة نضالاته مع الارستقراطية القريشية وانكارهم وجحودهم لدعوته ان يعزي نفسه بالانبياء السابقين الذين تعرضوا لما تعرض له مع اقوامهم ويذهب الاستاذ «بروكلمان» الى القول « وهكذا نجده في عهده الاول ، يكثر من الاشارة الى قصص هؤلاء الانبياء ، والى قصة موسى بخاصة ٠ وليس من شك في ان معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد الحدود وحافلة بالاخطاء ، وقد يكون مدينا ببعض هذه الاخطاء للاساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي ، ولكنه مدين بذلك دينا اكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة وحديث الاسكندر ٠٠٠ » ٠ (٢)

ويعلق الاستاذ (عمر فروخ) على الرأي السابق ويقول « القصص في القرآن الكريم للعبرة بالدرجة الاولى وللتاريخ بالدرجة

---

(١) واشنجتون ارفنج ـ المصدر السابق ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ٠

(٢) كارل بروكلمان ـ المصدر السابق ص ٣٩ ٠

الثانية من اجل ذلك لم يلجأ القرآن الكريم الى تفصيل السرد التاريخي ولكنه رمى الى « العظة » من الحوادث فأوجز واجمل وضرب الامثال فقط ليحمل البشر على الاعتبار بما اصاب اسلافهم الاقدمين ، اما ما يظنه الكتاب الغربيون خطأ في فهم الاسلام لمادة الانجيل فراجع الى ان القرآن قد تضمن اراء طوائف مسيحية اضطهدها ملوك النصارى وباباواتهم » ٠ (١)

وفي معرض حديثنا عن تأثرات النبي محمد نعود لنتساءل عن دور امية بن ابي الصلت في الدين الاسلامي ، بمعنى اخر هل اثر امية في محمد ؟ وهل صحيح ان ما جاء في شعر امية اخذ به القرآن فيما بعد ؟ وهل صحيح ان معلومات محمد عن الجنة والنار والانبياء السابقين والجن والملائكة والله تطابق معلومات امية ؟

لقد نال امية بن ابي الصلت اهمية في البحث بين كل الموحدين الذين سبقوا الاسلام ، والسبب في ذلك يعود الى بقائه الى ما بعد قيام الدعوة الاسلامية ـ على اكثر احتمال ـ وملاءمة شعره لروح الاسلام ، ويعتبر السبب الاخير اي ملاءمة شعره لما جاء في القرآن على وجه الخصوص من المسائل المهمة حقا في تاريخ الاسلام الفكري ٠ ونظرا الى اهمية هذه المسألة نورد شيئا عن حياته ثم مقابلة شعره بما جاء في القرآن واخيرا نقف على الاراء التي تقول بترجيح اخذ امية عن القرآن او العكس !

وحقيقة الامر اننا لا نعرف شيئا عن ولادته ولكن الذي نعرفه عنه انه سافر الى الشام واتصل برجال الدين المسيحي والاديرة « ثم انه كان على ما يظهر من الروايات التي وردت في ترجمة سيرته قارئا ، كاتبا ، قرأ الكتب ووقف عليها ، ومنها ومن اتصاله برجال الدين وبأهل الكتاب تكون عنده فكرة عن الدين.» ٠ (٢)

---

(١) المصدر السابق ــ من الهامش ص ٣٩ ٠

(٢) الدكتور جواد علي ــ تاريخ العرب قبل الاسلام ج ــ ٥ ــ القسم الديني ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ وكذلك شعراء النصرانية ــ جمعه الاب لويس شيخو اليسوعي ــ القسم الثاني ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

وقد قيل عنه ما قيل عن محمد فيما بعد اذ روى الاخباريون قصصا عن لقاء امية بالرهبان وعن توسمهم معالم النبوة فيه ٠ (١)

كما رووا قصة لها شبه كبير بما حدث للنبي محمد فيما بعد حيث شق طيران قلب « امية » لتنظيفه وتهيئته للنبوة ولكنهما عندما وقفا عليه وجدا ان النبوة لم تخلق له (٢) « ويتلخص ما جاء في شعر هذا الشاعر من عقائد واراء بوجود اله واحد ، خلق الكون وسواه وعدله وأرسى الجبال على الارض وهو الذي يحيي ويميت ثم يبعث الناس بعد الموت ويحاسبهم على اعمالهم وليجازيهم بما لمست ايديهم فريق في الجنة وفريق في النار » ٠ (٣)

والجنة والنار التي جاءت في شعر امية تشابه ما جاء في القرآن ، اضافة الى ان معلومات الشاعر عن قصص الانبياء مطابقة لما ورد في القرآن مثل قصة النبي موسى وهرون مع فرعون ، ويونس والحوت وقصة ذي القرنين وقصة ابراهيم وتقديم ابنه للذبح وعيسى وكيفية حمل امه به ٠٠٠ الخ ٠

ولدقة هذه المسألة وخطورتها نورد ابياتا من شعر « امية بي ابي الصلت » ونقابلها بآيات من القرآن لنتبين الامر :

شعر امية بن ابي الصلت	القرآن
الا ايها الانسان اياك والردى فانك لا تخفى من الله خافيا ٠ (٤)	يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١) ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء (٢) ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون عنا (٣) قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله (٤)

(١) المصدر السابق ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٨٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٤) الاب لويس شيخو اليسوعي شعراء النصرانية — القسم الثاني ص ٢٣٠ .

(١) الاية ١٧ سورة الحاقة .
(٢) الاية ٥ سورة آل عمران .
(٣) الاية ٤٠ سورة فصلت .
(٤) الاية ٢٩ سورة آل عمران .

وایاك لا تجعل مع الله غـيره
فـان سبيـل الرشـد اصبـح
باديا • (١)

اله العالمين وكل الارض ورب
الراسيات من الجبال (٢)

بناها وابتنـى سبعـا شدادا
بلا عمد يربن ولا رجال (٣)

(١) نفس المصدر •
(٢) نفس المصدر
(٣) نفس المصدر

لا تجعل مـع اللـه الها اخر
فتقعد مذموما مخذولا (١)
ولا تجعل مع اللـه الها اخر
فتلقـى فـي جهنـم ملوما
مدحورا (٢)
ولا تجعلوا مع الله الها اخـر
اني لكم منه نذير مبين (٣)
والارض مددناها والقينا فيها
رواسي • (٤)
والقى في الارض رواسـي ان
تميد بكم وانهرا (٥)
وجعلنا في الارض رواسي ان
تميد بهم (٦)
وجعلنا فيها رواس شامخات
واسقيناكم ماء فراتا (٧)
الله الذي رفع السموات بغير
عمـد ترونها (٨)
أأنتم اشد خلقـا ام السمـاء
بناها رفع سمكها فسواها (٩)

(١) الاية ٢٢ سورة الاسراء •
(٢) الاية ٣٩ سورة الاسراء •
(٣) الاية ٥١ سورة الذاريات •
(٤) الاية ١٩ سورة الحجر •
(٥) الاية ١٥ سورة النحل •
(٦) الاية ٣١ سورة الانبياء •
(٧) الاية ٢٧ سورة المرسلات •
(٨) الاية ٢ سورة الرعد •
(٩) الاية ٢٧ سورة النازعات •

وسواها وزينها بنور - من
لشمس المضيئة والهلال (١)

وشق الارض فانبجست عيونا
وانهارا من العنب الزلال (٢)

ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر (١)
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات (٢)
وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا (٣)
وان منها لما يشقق فيخرج منه ماء (٤)
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا . (٥)

فكل معمر لا بد يوما وذي (٣)
دنيا يصير الى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى
سوى الباقي المقدس ذو
الجلال (٤)

وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب (٦)
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (٧)
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٨)
والله خير وابقى (٩)

---

(١) نفس المصدر
(٢) نفس المصدر
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

---

(١) الاية ٣ سورة الرعد .
(٢) الاية ٢٩ سورة البقرة .
(٣) سورة النازعات .
(٤) الاية ٧٤ سورة البقرة .
(٥) الاية ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ سورة عبس
(٦) الاية ١١ سورة فاطر .
(٧) الاية ٧٠ سورة النحل .
(٨) الاية ٢٦ ، ٢٧ سورة الرحمن .
(٩) الاية ٧٣ سورة طه .

بعد هذه المقارنة لم يبق امامنا الا الاجابة عن التساؤل الاخير في هذا الموضوع وهو من الذي اخذ من الاخر (امية) اخذ من القرآن ام العكس ؟

وهناك احتمالات ثلاثة للاجابة عن هذا السؤال :

الاحتمال الاول : يذهب اصحاب هذا الاحتمال الى ان امية اخذ من القرآن وان ما جاء من روح اسلامية في شعره هو لتأثره الشديد بالاسلام وقد رد هذا الاحتمال باعتبار ان امية قد مات في السنة التاسعة للهجرة ، علما بأن معظم ما ورد في شعره قد جاء به النبي محمد بعد هذه السنة اي في السنوات التالية لموت امية ·

الاحتمال الثاني : ويذهب اصحاب هذا الاحتمال الى ان امية لم يأخذ من القرآن ولم يحصل العكس · انما اتفقا – اي امية والقرآن – في الاخذ من مصادر قديمة كانت موجودة في الجزيرة العربية ، ويدلل اصحاب هذا الاحتمال على ذلك بورود معلومات عن الانبياء والامم السالفة لم ترد في التوراة والانجيل انما وردت في شعر امية ، والقرآن فقط ·

وهذا ما يؤكد – حسب زعمهم – وجود مصادر كـ « الصحف » و « المجلات » كانت موجودة في تلك الفترة ثم فقدت · وهذا الرأي قديم ، وليس بجديد حيث قيل عن الوحي كله بأنه مأخوذ عن مصادر قديمة وكان ذلك في عهد النبي حيث كانت هناك قصة تقول « ان النبي يتعلم عن غلام نصراني اسمه جبر » · (١)

وقد اشير الى هذا الزعم في القرآن « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذين يلحدون اليه اعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » · (٢)

الاحتمال الثالث : ويؤكد اصحاب هذا الاحتمال ان القرآن هو الذي اخذ عن امية باعتبار ان امية اقدم عهدا من القرآن وان محمد

---

(١) د. جواد علي — المصدر السابق ص ٣٧٨ .
(٢) الاية ١٠٢ سورة النحل .

عندما بدأ يبشر بدعوتـه كان امية مهيئا نفسه ليكـون نبيا ··
لكنه كان سلبيا ، فبدلا من ان يسعى وراء النبوة ، طلب من النبوة
ان تسعى اليه ، ولهذا عندما بدأ النبي محمد يبشر بدعوته الجديدة
انزعج انزعاجا شديدا لانه كان مهيئاً قبل محمد ـ حسب زعمه ـ
للقيام بهذا الدور ·

واول اعتراض يرد على هذا الاحتمال هو اثبات ان شعر امية
اقدم عهدا من القرآن ولم يكن من وضع الواضعين « ثم ان قريش
ومن لف لفها ممن عارضوا الرسول لو كانوا يعلمون ذلك ويعرفونه
لما سكتوا عنه ، ولقالوا له انك تأخذ عن امية ·· ثم ان امية نفسه
لو كان يعلم ذلك او يظن ان محمدا انما اخذ منه لما سكت وهو خصم
له ومنافس عنيد اراد ان تكون النبوة له » · (١)

ويرد اصحاب هذا الاحتمال على هذا الاعتراض بالقول بأن كل
الادلة المتوفرة تؤكد ان امية موجود قبل القرآن وان كثيرا من اشعاره
قد اعترف بها من قبل مفكري الاسلام انفسهم مثل قصيدته عـن
معركة « بدر » وقصائده في مدح « عبد الله بن جدعان » ★ في الفترة
الجاهلية ، فلماذا صح هذا ولم تصح ابياته التي تشابه القرآن ؟

ثم اذا افترضنا جدلا ان اشعاره التي تطابق مـا ورد في القرآن
هي من وضع الواضعين فلماذا كانت اشعاره هو بالذات من وضـع
الواضعين ولم تكن اشعار وخطب قس بن ساعدة الايادي او ورقة
بن نوفل من وضعهم ؟

واما الاعتراض الوارد عن قريش وعدم سكوتها في حالة علمها
بأن القرآن قد اخذ عن امية فهو اعتراض ضعيف ، فلا يمكننا ان
نفترض ان قريشا على علم باشعار امية فكيف تسمح لنفسها
ـ أي قريش ـ ان تسمع اشعارا في التسفيه بآلهة قريش ثم ان امية

---

(١) د· جواد علي ـ المصدر السابق ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ·

★ عن مدح عبد الله بن جدعان ـ راجع كتاب شعراء النصرانية ص ٢١٩ ، ٢٢٠ وكذلك الدكتور جواد علي في المصدر السابق ص ٣٨٥ ·

بالذات لا يمكنه ان يبوح باشعاره التي تشابه ما جاء في القرآن خوفا على نفسه من قريش ٠

اضافة الى ان امية تربطه بمحمد مبادىء واغراض واحدة ، فلم التشهير ولم الطعن ما دام الغرض الذي يسعى اليه امية قد تحقق عن طريق محمد ٠

وكما تؤكد المصادر الاسلامية فان امية قد رضي عن الاسلام وحاول ان يدخل فيه ولكنه عدل عن ذلك عندما علم بموت ابناء عمه في واقعة « بدر » ٠ وحقيقة الامر ان ما يذهب اليه اصحاب الاحتمال الثالث من كون قريش لا علم لها باشعار امية بن ابي الصلت هو الاخر ضعيف اذ ان قريش لها علم بالتوحيد وباله واحد ، فكما قلنا سابقا كانت موجودة في مدن الحجاز وقراها اديان وشخصيات فكرية تدعو الى هذا الاتجاه ، فهي تعلم ان محمد وامية لم يأتيا بجديد وتعرف اشياء كثيرة عما جاء في قرآن الاول وشعر الثاني ولكن اعتراضها يتأتى من خوفها على مصالحها الاقتصادية، فعندما شعرت ان مصالحها ستهدد بخطر عظيم ثارت على افكار الاسلام ، وعندما طمأنها النبي محمد على مصالحها لم تمانع في استمراره بدعوته ٠

ولا نستطيع ان نستمر في اتجاهنا هذا ، فحري بنا ان نقول ان شخصية النبي محمد بالذات تحتاج الى بحث كامل لذا سنعود الى النقطة التي كانت مرتكزا لبحثنا هذا وتتمثل هذه النقطة في العودة المنتظرة للمنقذ ، فهل سيرجع محمد كما هو الحال في العودة المنتظرة لعيسى وكرشنا وفشنو ؟

والذي نلاحظه من خلال دراستنا لهذه النقطة في الفكر الديني الاسلامي ان محمدا لم يقل بعودته بل قال بعودة منقذ منتظر اخر واشار الى ذلك في قوله « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » ٠ (١)

---

(١) التبريزي — مشكاة المصابيح — تحقيق محمد ناصر الالباني ج — ٣ ص ٢٤ ٠

وتشكل السنة النبوية تواترا ملحوظا في كثير من اجزائها في ظهور منقذ في آخر الدنيا ، ليعيد الاسلام الى نصابه بعد أن يبقى المسلمين حيارى ويصيبهم اليأس من الصلاح ، ومن الاحاديث النبوية التي ساهمت في انضاج هذه الفكرة فيما بعد هذا الحديث « ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل تفرق بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستتفرق امتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهن في النار الا ملة واحدة قالوا (يا رسول الله من الملة الواحدة ؟) قال ما انا عليه واصحابي » • (١)

وقد كان هذا الحديث منطلقا لاختلاف علماء الكلام واصحاب الفكر في المنقذ المنتظر اذ كل جماعة ادعت لنفسها منقذا منتظرا •

واخذ الصراع من اجل هذه الفكرة الميثولوجية طابعا عقائديا سياسيا بين اصحاب العقائد المتصارعة • وهذا ما نلاحظه بين الشيعة الاثني عشرية الذين تمثل منقذهم في الامام الثاني عشر (المهدي المنتظر) وبين الامويين الذين تمثل منقذهم بـ « السفياني » •

وقبل ان ندخل في موضوع هذه الفرق نود ان نقول ان هذه الفرق لم تبلغ ثلاثا وسبعين فرقة ولكن المؤرخين المسلمين ، قسموها تقسيما اعتباطيا الى ثلاث وسبعين فرقة استنادا وتثبيتا لقول النبي ، فاضطروا الى الزيادة والنقصان من اجل ذلك ، علما انه لم ترد اية اشارة في القرآن حول هذا الموضوع •

ونظرا الى كثرة هذه الفرق ، سنضطر الى التحدث عن اهمها وبعد ذلك بشيء من التفصيل عن المنقذ في فرقتين ، نضجت فيهما هذه الفكرة الى حد بعيد وهما الشيعة الاثني عشرية والاسماعيلية •

واول الفرق التي تحدثت عن المنقذ الفرقة « السبئية » التي تزعمها « عبد الله بن سبأ » ★ وقد ادعت هذه الفرقة « ان جزءا الهيا

---

(١) عبد القاهر بن طاهر البغدادي — مختصر الفرق بين الفرق — حرره فيليب حتي ص ١٥ .

★ اثبت البحث العلمي ان « عبد اله بن سبأ » شخصية غير تاريخية من نسج خيال سيف بن عمر التميمي الاسيدي . للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب عبد الله بن سبأ تأليف مرتضى العسكري .

تجسد في علي وفي خلفائه من بعده » (١) وانه لم يقتل انما كان المقتول شيطانا ظهر بصورة الامام علي ، وقد صعد بجسده النوراني الى السماء - اذ انه من طبيعة الهية حسب زعمهم - كما صعد عيسى بن مريم (٢) ٠ وسيكون السحاب صوته والرعد تبسمه وانه سينزل الى الارض ليملأها عدلا بعدما ملئت جورا ٠ (٣)

وليس من الضروري حسب زعمهم ان يظهر ذلك الجزء (الروح) الالهي دائما في العالم بل يجوز ان يعود الى مقره الالهي حتى يتجسد في شخص اخر ، ويسمون الفترة التي يغيب فيها ذلك الجزء « الغيبة » ورجوعه الى الارض « الرجعة » كما يسمون انتظار ظهور الامام « التوقف » ٠ (٤)

ومن خلال تعرفنا لاراء السبئية في شخصية الامام ندرك تمام الادراك مدى تأثر هذه الافكار التي ساقتها الفرقة انفة الذكر بافكار الديانة الهندوسية في عملية التقمص والتجسد ، وبالديانة اليهودية والمسيحية في العودة وظهور صوت الامام - كمنقذ - في الرعد والبرق ٠

والحقيقة ان توسعنا في الكلام عن السبئية له اهمية خاصة - مع اقرارنا بعدم وجود شخصية مؤسس الفرقة « عبد الله بن سبأ » - اذ ترتبت على الافكار التي ساقتها هذه الفرقة ظهور فرق لها الاراء نفسها تقريبا ٠

نقول ان غرضنا من ذلك هو لتبيان الصراع بين علي من جهة

---

(١) فان فلوتن — السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٧٩ ، ٨٠ ٠
(٢) الاسفرابيني — التبصر في الدين صححه محمد سليم النعيمي الاعظمي ص ١٠٩ ، ١١٠ وانظر ايضا عبد القاهر البغدادي في المصدر السابق ص ١٤٢ وكذلك مرتضى العسكري في كتابه عبد الله بن سبأ ص ٧ ، ٨ ٠
(٣) ابي الفتح الشهرستاني — الملل والنحل — تحقيق محمد سيد كيلاني ص ١٧٣ ، ١٨٤ ٠
(٤) فان فلوتن المصدر السابق ص ٧٩ — ٨٠ وكتاب مقالات الاسلاميين لابي الحسن الاشعري ص ١٥ ٠

والاسرة الاموية من جهة اخرى ، فلا نستطيع ان ننكر ان لشخصية علي اهمية خاصة في تبوئه على رأس الجناح الصحيح في الاسلام - في فترة وجوده طبعا - ولكن شخصيته لم تكن هي التي ادت الى خلق هذا الجناح ، انما طبيعة احتدام الصراع بين البيت الاموي الذي يمثل الارستقراطية القرشية وبين فقراء المسلمين هو الذي اوجد هذا الجناح الذي تزعمه الامام علي فيما بعد ٠

فلو لم يكن « علي » موجودا او قتل في احدى المعارك فلا يعني هذا عدم وجود هذا الجناح،فوجوده حتمي تفرضه حدة التناقضات بين الاغنياء والمعدمين من المسلمين ، ولظهر على رأسه في حالة عدم وجود علي اي شخصية اخرى كشخصية « ابي ذر الغفاري » او « عمار بن ياسر » او اي قائد له من المواصفات ما يمكنه ان يتبوأ مكان الصدارة ولكان لأي واحد من هؤلاء شيعة تدين له بالولاء كما هو الحال في الشيعة التي تدين بالولاء لعلي ٠

وكان من نتيجة هذا الصراع وتبوأ الامويين مركز السيادة في العالم الاسلامي ، ان تطورت في نظر شيعته ليس مجرد طموح سياسي بل حق الهي (١) ٠ اذ ان في هذا الادعاء جمعا لشمل شيعة الامام وابقاءهم من الانتظار تحت قناديل الامل بمجيء المنقذ المنتظر ٠ ونتج عن القول « بعودة المنقذ » قيام فرق كثيرة اتخذ قادة الفرق من انفسهم او من الذين يدعون اليهم منقذين ومخلصين ٠

ومن هذه الفرق « الفرقة الكيسانية » وتذهب هذه الفرقة الى ان (محمد بن الحنفية) هو المهدي وانه قد احاط بالعلوم كلها ويذهب فريق منهم وهم « الكربية » اصحاب « ابي كرب الضرير » الى القول بأن « محمد بن الحنفية » حي بجبال رضوى ، اسد على يمينه ، ونمر على يساره يحفظانه الى وقت خروجه ٠ (٢)

---

(١) دوايت م. رونالدسن — عقيدة الشيعة ص ٥٨ .
(٢) ابو الحسن الاشعري — مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . عنى بتصحيحه هلموت ريتر ص ١٨—١٩ وانظر ايضا مختصر الفرق بين =

وهناك فرقة باسم « الزيدية » تنقسم الى ثلاثة فرق هي الجارودية والسليمانية والبترية ، ويجمع هذه الفرق القول بأمامة « زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب » . (١)

وهناك فرقة اخرى تسمى « الباقرية » تدعي ان الامامة كانت في اولاد « علي » الى ان انتهى الامر الى محمد بن علي بن الحسين الباقر وهم ينتظرون مجيئه ولا يصدقون بموته . (٢)

وهناك فرق اخرى كالشميطية والموسوية والقطعية والبيانية والحربية وغير ذلك من الفرق التي يطول المقام في ذكرها .

بعد هذا التمهيد عن المنقذ في الفكر الشيعي الذي ابتدأ بالامام « علي » اولا ثم انتقل الى غيره من المنقذين والمخلصين نحاول ان نقصر الكلام عن المنقذ في فرقتين هما الاثني عشرية والاسماعيلية .

المنقذ المنتظر عند الاثني عشرية :

والمنقذ عند الاثني عشرية هو « المهدي » الذي هو الامام الثاني عشر من سلسلة أئمتهم ، وقبل الدخول في موضوع « المهدي » كمنقذ نحاول التعريف به لغويا ، والمهدي صيغة المفعول به من هدى ، وكلمة هدى من اسماء الله « والهادي كما يقول ابن الاثير هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى اقروا بربوبيته والهدى ضد الضلال وهو الرشاد » . (٣)

« والمهدي الذي قد هداه الله الحق .. وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة ، وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يجيء في اخر الزمان » . (٤)

= الفرق — عبد القاهر البغدادي حرره فيليب حتي ص ٣٥ وكتاب التبصر في الدين للاسفرايبني ص ١٨ وكذلك فان فلوتن المصدر السابق ص ٨٠ .

(١) المصادر السابقة .

(٢) الاسفرايبني — المصدر السابق ص ٢٦ .

(٣) ابن منظور — لسان العرب المحيط اعادة بنائه يوسف خياط ونديم مرعشلي ص ٧٨٦ ، ٧٨٧ وكذلك الزنجاني في تهذيب الصحاح ف — ٣ ص ١٠٩ .

(٤) ابن منظور — المصدر السابق م — ٣ ص ٧٨٦—٧٨٧ .

وقد وردت لفظة المهدي في القرآن في صيغ مختلفة « وكفى بربك هاديا وبصيرا » (١) « وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم » . (٢)

ولا شك ان هذه الايات وغيرها لا علاقة لها بالمهدي كما عرفناه في الديانات السابقة ، لكن بعضهم اتخذ منها ومن غيرها مرتكزا لهذه الفكرة ، ويذكر انصار المهدي في معظم الفرق ان القرآن قد اشار في آيات كثيرة الى هذا المستقبل المرتقب « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » (٣) و « وعد الله الذين امنوا منكم والذين عملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم بعد خوفهم آمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئا » . (٤)

« وقل جاء الحق وزهق الباطل » (٥) وفي قوله « ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه » (٦) يؤول الاثنى عشرية هذا القول على لسان النبي محمد حيث قال « اختلفوا كما اختلفت هذه الامة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيضرب اعناقهم » . (٧)

واذا لم تكن هذه الايات كافية لتأكيد ظهور منقذ منتظر فبامكاننا ان نلمس في القرآن وبشكل واضح نهاية العالم المرتقبة

---

(١) الاية ٣٠ سورة الفرقان .
(٢) الاية ٥٣ سورة الحج .
(٣) الاية ١٠٥ سورة الانبياء .
(٤) الاية ٥٤ سورة النور .
(٥) الاية ٨٠ سورة الاسراء .
(٦) الاية ١٠٩ سورة هود .
(٧) الكليني الرازي ــ الروضة من الكافي ــ صححه وقابله وعلق عليه ــ علي اكبر الغفاري ج ــ ٨ ص ٢٨٧ .

فقد تحدث القرآن عن مستقبل العالم والنهاية المروعة التي ستصيبه كما هو عليه الحال في الديانات الاخرى وكما اسلفنا الى ذلك عند كلامنا عن المنقذ في الديانة المسيحية ، فالساعة المرتقبة التي يحل فيها دمار العالم غير محددة في القرآن باعتباره الدستور الاول الذي يستند عليه الفكر الديني الاسلامي ٠

وليس القرآن فقط تحدث عن مستقبل العالم وظهور المنقذ المنتظر ليعيد النظام الالهي الى اصوله بعد ان يصيب الارض الخراب ، ويقيم العدل والمساواة بين المسلمين ، بل تشكل السنة النبوية تواترا ملحوظا كما اسلفنا الى ذلك ٠ ففي حديث منسوب للنبي محمد يقول فيه « لا تذهب الدنيا حتى يقوم رجل من ولد الحسين يملأها عدلا كما ملئت جورا » ٠ (١)

وفي حديث النبي محمد مع ابنته فاطمة - كما تقول المصادر الشيعية - قال « والذي نفسي بيده لا بد لهذه الامة من مهدي وهو والله من ولدك » ٠ (٢)

وهناك نص ذكره (المجلسي) له شبه كبير بما جاء في الديانة الزرادشتية حيث قال النبي « ان خلفائي واوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر اولهم اخي واخرهم ولدي ٠٠ قيل فمن ولدك قال المهدي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا » ٠ (٣)

يظهر لنا من خلال دراستنا لهذا النص مدى تأثره بالفكر الزرادشتي حيث ان زوجة زرادشت الثالثة هي التي ستكون الام الروحية للمنقذ الزرادشتي بينما ابنة محمد هي الام الروحية للمنقذ في الفكر الشيعي الاثني عشري ٠

ومن الاحاديث النبوية الاخرى التي تؤكد هذا الاتجاه هذا

---

(١) المجلسي - بحار الانوار م - ١٣ ج - ٥١ ص ٦٦ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٦٧ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٧١ ٠

الحديث « يتنعم امتي في زمانه نعيما لم يتنعموا مثله قط البر والفاجر · ترسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الارض شيئا من نباتها » (١) وايضا « من اطاعه اطاعني ومن عصاه عصاني ومن انكره في غيبته فقد انكرني ومن كذبه فقد كذبني » · (٢)

بعد هذه المقدمة عن اسمه ووروده في القرآن والسنة ننتقل الى التعريف به وبولادته لنرى الاعجاز فيها ، ثم ننتقل الى غيبته وعلامات ظهوره ·

والمهدي عند الاثني عشرية هو « محمد القائم بن الحسن العسكري » الامام الاخير المولود الوحيد لابيه الحسن العسكري (٣) كما تؤكد المصادر الشيعية اما امه فهي نرجس خاتون بنت يسوع قيصر الروم ـ كما تدعي الكتب الشيعية ايضا · (٤)

في حين يذهب بعضهم الى ان نرجس خاتون لم تكن زوجة شرعية للحسن ، بل كانت جارية ، اشتراها الحسن العسكري من سوق النخاسة · (٥)

بعد الذي قلناه عن التعريف به نتساءل عن ولادته ، فهل كانت في ولادته معجزات كما هو الحال في بقية المنقذين الاخرين ؟

وتذكر المصادر الشيعية انه عندما ولد بزغ نوره ساطعا من جبينه وبلغ افق السماء ونزلت الملائكة من عروشها لتبارك المولود الجديد ·

وعندما نزل من رحم امه سقط جاثيا على ركبتيه ، رافعا

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨ وكذلك دوايت دونالدسن ص ٢٣٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٢ وكذلك عبد الهادي الفضلي ـ في انتظار الامام ص ٢١ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) دوايت م. دونالدسن ـ عقيدة الشيعة ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

سبابتيه الى السماء ثم عطس وقال « الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله ، زعمت الظلمة ان حجة الله داحضة ، ولو اذن لنا في الكلام لزال الشك » . (١)

ومن معجزات ولادته ما روته عنه عمته « حكيمة » بأنه عندما نزل من رحم امه قال « اشهد ان لا اله الا الله وان جدي رسول الله وان ابي امير المؤمنين ثم عدهم اماما اماما الى ان بلغ نفسه فقال اللهم انجز لي وعدي واتمم امري وثبت وطأتي واملأ الارض بي عدلا وقسطا » . (٢)

وروت انه عندما طلب منها الامام الحسن العسكري ان تأتيه بالمولود فناولته فوجدته طاهرا مختونا مكتوبا على عضده الايمن « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » . (٣)

ولا حاجة بنا امام هذه النصوص الى اجراء مقارنات مع الديانات الاخرى التي تكلمت عن منقذيها ، بل المسألة غاية في الوضوح اذ سرعان ما تذكرنا بولادة كرشنا وزرادشت وعيسى وغيرهم من المنقذين .

وللامام الثاني عشر في الفكر الشيعي الاثني عشري غيبتان صغرى وكبرى ، بدأت الصغرى بولادة الامام المنتظر عام ٢٥٥ هـ وانتهت بعد عدة سنين كان للامام المستور خلالها اربعة نواب يتصل الشيعي بواسطتهم بالامام حتى اخيرهم « علي السحري » حيث ارسل له الامام المستور رسالة اخيرة « فأجمع امرك ولا توصي الى احد فيقوم مقامك ، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب وامتلاء الارض جورا » . (٤)

---

(١) المجلسي — المصدر السابق ص ٤ ، ٥ ، ٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣ .
(٣) دوايت دونالدسن ص ٢٣١ والمجلسي في المصدر السابق ص ١٨ ، ١٩ .
(٤) المجلسي — المصدر السابق ص ٣٦١ وانظر ايضا هنري كوربان — تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٢٧ وكذلك عبد الهادي الفضلي — المصدر السابق ص ٢٩ .

وعندها بدأت الغيبة الكبرى حوالي سنة ٣٢٩ هـ وستبقى مستمرة حتى يأذن الله له بالخروج وان الله حجبه عن العيون خوفا عليه من السلطة العباسية التي تتربص للقضاء عليه كما يقول الاثني عشرية ٠

فحجبه كان بسبب عدم نضج الظروف الموضوعية بثورته المنتظرة ٠٠٠٠ ويعتقد الاثني عشرية انه حي بأذن الله وقد رآه بعضهم بين وقت واخر وهذا ما يذكرنا بعيسى عندما صعد الى السماء حيث ادعى بعض تلاميذه انهم رآوه نازلا منها ٠

ويعتقد الشيعة الاثني عشرية ان المهدي المنتظر يكاتب بعضهم ويتصرف بأمور شيعته ، وبامكان اي منهم ان يراسله ويمكنه وضع رسالته عند قبر احد الائمة او طيها ووضعها في طين نظيف ثم تلقى في البحر او في بئر عميقة فتصل الامام المنتظر فينظر فيها ٠ (١)

ويقولون ايضا ان لغيبة الامام امادا غير محدودة فهو يظهر عندما تسوء الامور ويتفشى الفساد ويبتعد الناس عن الاسلام ٠ وهناك علامات لظهوره ذكرها الرسول « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني – او من اهل بيتي – يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » ٠ (٢)

وهناك خمس علامات قبل ظهوره « الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني » ٠ (٣)

وقبل قيامه « ينادي مناد من السماء في اول النهار : الا ان عليا

---

(١) المجلسي – المصدر السابق ص ٣٤٣ وكذلك رونالدسن المصدر السابق ص ٢٣٨ ٠
(٢) التبريزي – مشكاة المصابيح – تحقيق محمد ناصر الدين الالباني ج – ٣ ص ٢٤ وكذلك عبد الهادي الفضلي في المصدر السابق ص ٤٢ ٠
(٣) الكليني الرازي – المصدر السابق ص ٣١٠ ٠

وشيعته هم الفائزون وينادي مناد [في] اخر النهار : الا ان عثمان وشيعته هم الفائزون » ٠

وامام هذين النصين لنا وقفة صغيرة ففي النص الاول وردت كلمة السفياني واليماني فمن هما ؟

والسفياني هو المسيح المخلص والمنقذ المنتظر الذي ينتظره اشياع بني امية وانصارهم ومن المحتمل ان يكون (خالد بن يزيد) قد ابتدع نبوءة السفياني هذه ليلين من شكيمة الاسرة الحاكمة اسرة بني مروان وقد ظهر احد اولاد سفيان من سلالة خالد وزعم انه (السفياني) المنتظر ٠

وعندما سمعت الشيعة بنبأ هذا السفياني المنتظر بادرت بالاعتراف به على امل ان يلتقي به مهديهم (١) ٠ وتكون بينهما معركة فاصلة يكون النصر في نهايتها للمهدي الاثني عشري ويندحر السفياني ويلقي حتفه على يد المهدي المنتظر ويذكرون في ذلك ان المهدي يقوم بخيله ورجاله ميكائيل عن شماله وجبرائيل عن يمينه والنصر بـ بنيديه والناس يلحقونه في جميع الطرقات وتجري بين المهدي والسفياني حرب عظيمة حتى يهلك جميع عسكر السفياني فينهزم ومعه شرذمةقليلة من اصحابه وعندما يستأسر مرة اخرى يذبحه انصار المهدي ٠ (٢)

اما اليماني الذي ورد في النص السابق فهو القحطاني المنتظر الذي ينتظره اليمانيون اذ انه احد الامراء من سلالة قحطان ٠ (٣)

وقد سلك اليمانيون الطريق نفسه الذي سلكه الشيعة فأنطقوا الرسول عدة احاديث تؤيد قيام مهديهم المنتظر « لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » ومن الطريف ان هذا الحديث الذي عقد اليمانيون امالهم عليه قد ورد في صحيح البخاري ٠ (٤)

---

(١) سعاد محمد حسن ــ المهدي في الاسلام ص ١٧٩ ٠
(٢) محمد رضا الطبسي النجفي ــ الشيعة والرجعة ص ١٥٩ ٠
(٣) فان فلوتن ــ المصدر السابق ص ١٢٠ ٠
(٤) التبريزي ــ المصدر السابق ص ١٤ وكذلك سعاد محمد حسن ــ المصدر السابق ص ٧٦ ٠

والملاحظ ان فكرة المنقذ التي نضجت في الفكر الشيعي كانت عاملا فعالا في خلق عقائد مشابهة لها في الاوساط الاسلامية كالسفياني عند الامويين والقحطاني والكلبي عند اليمانيين ، والذي نعتقده ان العصبية القبلية المتغلغلة في الدم العربي والاعتزاز بالنسب هي التي اوجدت هذه الفرق ، عدا السفياني حيث كان للعامل السياسي اثر فعال في قيام فكرته ·

اما النص الاخر والذي يتلخص في قيام مناد في السماء ينادي في اول النهار ـ لعلي ـ وفي اخر النهار ـ لعثمان ـ فيظهر فيه اثر الفكر الزرادشتي واضحا ، اذ ان عليا ممثل للنور والخير وعثمان ممثل للظلمة حسب ادعائهم ·

فهذا النص يؤكد قيام الصراع بين « علي » الذي يمثل النور مع عثمان وشيعته الذي يمثل الظلمة ·

والسؤال الذي يفرض ذاته امام النص الاسبق الا يمكن اعتبار ان (السفياني) هو نفسه (الدجال) ؟

وحقيقة الامر ومن خلال دراستنا لموضوع « الدجال » في الفكر الاسلامي ، نراه يأخذ طابعين ، ففي صدر الاسلام جاء مفهوم الدجال كما هو عليه الحال في الديانات الاخرى ، اما عند الاثني عشرية فقد اخذ طابعا اخر ·

والملاحظ ان كلمة « دجال » لم ترد في القرآن ولعلها استعيرت من الآرامية وهي ترد في السريانية لقبا له « مثال ذلك ما ورد في انجيل متى ، الاصحاح الرابع والعشرين الاية ٢٤ حيث ترجم الابشته كلمة Usxolotov بـ مسيحي دجال » · (١)

وترد هذه العبارة في السريانية « نبيا دجالا » اي المسيحي الكذاب و « شاهد دجال » اي شاهد الزور « على انه يشك في وجود

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ ص ١٤٩ وانظر ايضا معجم البستاني ـ عبد الله البستاني م ـ ١ ص ٧٤٦ ·

فعل « دجل » في العربية بمعنى (غش وخدع) وهو الفعل الذي اوردته معاجم اللغة في غير اشارة الى شواهد اخرى ولا يوجد هذا الفعل في القرآن ولا في الحديث » ٠ (١)

وترد شخصية الدجال في الفكر الديني المسيحي الى عناصر شتى يتفق معظمها مع تصور المسلمين لهذه الشخصية ومن هذه العناصر (أ) انه الشيطان بوصفه عدو الله في علم الساعة (ب) انه الملك الذي سيظهر في اخر الزمان فيوحد الامم جميعا على بني اسرائيل (د) انه الطاغية الذي سيخرج من قبيلة دان فيجد ملكا في بيت المقدس ويقضي عليه المسيح هو وجنوده ٠ (٢)

وقد ورد اسم « الدجال » في السنة النبوية كاسم لرجل يهودي من اهل المدينة هو « صاف بن صائد » صرح النبي محمد بأنه هو الدجال بسبب احتقاره له (٣) ٠ ومن ذلك الحين اظهر المسلمون احتقارهم له وتطورت الفكرة الى ما عليه الحال في الديانة المسيحية على وجه التخصيص ، فهو المضل الاكبر الذي تظهر مقارنته بالمسيح بأنه عدو المسيح ٠ (٤)

فقد ورد القول في الفكر الاسلامي بأنه يركب حمارا وهي صفة من صفات النبوة (٥) ومن الاحاديث النبوية التي تكلمت عن الدجال هذا الحديث « فيفتحون قسطنطينية ـ اي المسلمين ـ فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح ـ اي الدجال ـ قد خلفهم في اهليهم فيخرجون وذلك باطل ، فاذا جاؤوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال يسؤون الصفوف اذ اقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ، فأمهم ،

---

(١) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٤٩ ٠

(٢) المصدر السابق ايضا ٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ١٤٦ وكذلك التبريزي ـ المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ٠

(٤) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ ص ١٤٩ ٠

(٥) المصدر السابق ٠

فاذاراه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء » ٠ (١)

ولكن هذا التصور للدجال في صدر الاسلام قد انسحب في الفكر الشيعي الاثني عشري الى « السفياني » فقد عرفنا الدجال يقابل المسيح او السفياني يقابل المهدي ، اذ حل السفياني محل « الدجال » ممثلا للشر ، فهو المضل الاكبر وعدو الله والمفسد والشيطان الغاوي ، ونستطيع ان نتأكد من ان « الدجال » هو « السفياني » من خلال النصوص الشيعية « ثم يخرج رجل من بني امية فيقتل بكل رجل رجلين حتى لا يبقى الا النساء ثم يخرج المهدي » ٠ (٢)

« اذا دخل السفياني ارض مصر اقام فيها اربعة اشهر يقتل ويسبي اهلها فيومئذ تقوم النائحات باكية تبكي على استحلال فروجها وباكية تبكي على قتل اولادها وباكية تبكي على ذلها بعد عزها وباكية تبكي شوقا الى قبورها » (٣) « ان السفياني يدخل الكوفة فيسبيها ثلاثة ايام ويقتل من اهلها ستين الفا ويقيم فيها ثماني عشرة ليلة » ٠ (٤)

من هذه النصوص يظهر لنا جليا ان السفياني هو الدجال وهو امر ليس بالغريب ففكرة التنين في الديانة الهندوسية والمصرية والزرادشتية واليهودية تحولت في المسيحية الى فكرة « الدجال » وفي الفكر الاثني عشري الى « السفياني » ٠

فالدجال هو الذي يمثل عنصر الشر والظلمة ، لذا فان تصويرهم للسفياني بأنه « الدجال » يتفق تماما مع عدائهم لبني امية باعتبار هم غاصبين للسلطة التي هي حق الهي تركز في الاثنى عشر اماما كما يعتقدون ، ذلك الرقم الذي يستقطب اخلاص الشيعي

---

(١) التبريزي — المصدر السابق ص ١٦ وكذلك صحيح مسلم بشرح النووي ج — ١٨ ص ٢١ ٠
(٢) ابن طاووس — الملاحم والفتن ص ٣٩ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٤٠ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٤١ ٠

التقي ولا يفوتنا ان نذكر ان للرقم (١٢) اهمية خاصة ، اذ له علاقة بالديانات الاخرى فهو يذكرنا بالبروج الاثنى عشر والينابيع الاثنى عشر التي فجرها موسى بعصاه والقضاة الاثنى عشر في الفكر الديني اليهودي والحواريين الاثني عشر في المسيحية ٠

وقبل ختام كلامنا عن المنقذ الاثني عشري لا بد لنا من نظـرة تقويمية لموضوع « المهدي المنتظر » على ضوء الاسس العلمية في البحـث ٠

واول ما يتبادر الى الذهن السؤال التالي : هل للمهدي المنتظر من وجود ؟ واذا لم يكن له وجود فلماذا يؤكد اتباعه وجوده ؟

وهناك رأيان ، اذ يذهب اصحاب الرأي الاول الى انه موجـود لكن وجوده ليس من الحسن العسكري ، انما اضطر الحسن الـى جلب طفل وتبناه باعتباره ابنه « محمد القائم » حتى لا تتوقـف الامامـة ٠

ويدللون على رأيهم بالنقاط التالية :

اولا ـ ان الحسن العسكري عقيم والدليل على ذلك انه تزوج بعدد كبير من النساء لم تنجب اية واحدة منهن ٠

ثانيا ـ تؤكد المصادر الشيعية الى ان الجاريـة « نرجس » عندما حملت بالمولود « محمد القائم » لم تظهر عليها اية علامـة من علامات الحمل ٠ اذ تذكر عمة الحسن العسكري « حكيمة » بأنها وجدت « نرجس » يوم الولادة وبطنها غير مرتفعة وعندما سألت « الحسن العسكري » عن ذلك قال لها بأنها ستلد بطريق المعجزة من ساقها !!

ولما كان هذا الخبر لا يتفق مع الروح العلمية ومع علم تطـور الاجنة فلا يمكن قبوله فلا يبقى امامنا ـ كما يؤكد اصحاب هـذا الرأي ـ الا ان نقول ان الحسن العسكري اضطر الى ان يتبنى طفلا ادعى فيما بعد انه ابنه عندما احس بدنو الموت منه نتيجة مضايقات السلطة العباسية ٠

اما اصحاب الرأي الثاني فيذهبون الى استنتاج اخر مفاده ان الحسن لم ينجب ولم يتبن انما مات دون ان يخلف وقد اضطر اتباعه خوفا من ضياع ما بنوه خلال سنين طويلة على امل كسب السلطة السياسية الى ان يأتوا بطفل صغير اعتبروه « المهدي المنتظر » اي محمد القائم بن الحسن العسكري ولما ازدادت مضايقات السلطة العباسية ، اضطروا الى تهريب الطفل او قتله وادعو فيما بعد انه غاب وسيظهر في اخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا ٠

بيد انه يبقى هناك تساؤل مهم ، هو لماذا ضايقت السلطة العباسية الشيعة الاثني عشرية في عملهم هذا ؟

وحقيقة الامر ان السلطة العباسية قد تأكدت على وجه اليقين ان « الحسن العسكري » قد انتهى امره (مات او قتل مسموما بواسطة احد جواسيسها) ٠

ولما كانت تعلم ـ عن طريق جعفر ★ اخي الحسن العسكري احد جواسيسها ـ ان الحسن لم ينجب ، لذلك بادرت الى مطاردة الشيعة وفضح اللعبة الجديدة !

المنقذ في الفكر الاسماعيلي :

كان لانتشار عقيدة المهدي المنتظر ، منذ اوائل الحكم الاموي الاثر الفعال في انضاج هذه الفكرة عند الشيعة الاسماعيلية ، فقد ساهمت الاراء التي ساقتها الفرق الشيعية المختلفة عن هذه الفكرة في اضفاء مدلولاتها عند الاسماعيلية ، اضافة الى الافكار الفلسفية والدينية التي استفاد منها مفكرو الاسماعيلية في اغناء الفكرة آنفة الذكر ٠

واول ما نلاحظه عن هذه الفكرة ، عند الاسماعيلية انها خرجت من اللحمة المادية للتاريخ ، وركز فلاسفة الاسماعيلية ـ امثال ابي

★ يذهب البعض الى انه سيد سلطان علي وليس جعفر !

يعقوب السجستاني والكرماني والنعمان بن محمد وابي منصور اليمن - جهودهم في تثبيت ايديولوجية الحركة الاسماعيلية التي تتمثل في شخصية الامام الذي هو بالضرورة من طبيعة الهية حسب زعمهم وبذلك اخرجوا الفكرة عن دائرة النقد المادي للتاريخ وادخلوها بما يمكن ان نطلق عليه بالتاريخ القدساني ٠

ولكن فكرة المنقذ عند الاسماعيلية مرتبطة ارتباطا كليا بالواقع السياسي ، فكل الافكار التي ساقها مفكرو الاسماعيلية من اجل اثبات حق الامام بالخلافة ، ما دامت الخلافة حقا الهيا ، يصدر من الله الى اوليائه الذين ينتقيهم من بين البشر ٠

وقبل الدخول في عرض فكرة المنقذ عند الاسماعيلية ومقارنتها بالافكار الاخرى ، نرى من الافضل ان نلقي نظرة عن الاسماعيلية كحركة واول ما نلاحظه ان اسمها قد استمد من اسم مؤسسها الذي لا تعترف الاثني عشرية بامامته (اسماعيل بن الإمام السادس جعفر الصادق » الذي اختلف في تعليل عدم ممارسته امامته على الرغم من انتسابه للبيت العلوي ٠ (١)

ومهما يكن الامر فقد ترك الامامة لابنه السابع « محمد » الذي حل محل ابيه ثم وليه في ذلك اخلافه في سلسلة متصلة كانوا مستترين ، متخفين ، اجتنبوا المجاهرة بالدعوة خوفا من بطش السلطة العباسية بهم الى اللحظة التي اثمرت فيها الحركة الاسماعيلية بظهور الامام المستتر في شخص « عبيد الله المهدي » على اعتبار انه المهدي المنتظر (٢) ٠ وقبل وصول عبيد الله المهدي الى السلطة عمل دعاة الاسماعيلية على رواج هذه الفكرة في كافة انحاء العالم الاسلامي متخذين من ميل كثير من الناس الى اهل بيت الرسول وسخطهم على السلطة العباسية ، وسيلة لجذب الاتباع « وضاعف دعاة عبيد الله المهدي في عهد استتاره جهودهم في استغلال هذا الرأي فادعوا انهم يمهدون لعصر جديد هو عصر

---

(١) جولد تسيهر — العقيدة والشريعة في الاسلام ترجمة محمد يوسف موسى ص ٢١٢ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢١٢ ٠

« دولة الله » وان المنقذ المنتظر على وشك الظهور ليغيث الناس مما هم فيه من سوء » . (١)

وقد كان لنظرية المهدي اثـر في نجـاح الحركـة الاسماعيلية للوصول الى السلطة وضم كثير من الاتباع تحت جناحيها « فقد كان لتصريح ابي عبيد الله الشيعي بقرب ظهور المهدي وقوله طوبـى لمن القى بنفسه بين يديه اثر فعال في القضاء على الاغالبة ونجاح الاسماعيلية في بلاد المغرب » . (٢)

وربما يذكرنا موقف الداعي « ابي عبيد الله الشيعي » بموقف تلامذة المسيح المنتظر ، اذ كانوا ايضا يهتفون « طوبى لمن القى بنفسه بين يديه » . ولكن الفرق يتحدد في ان الحركة الاسماعيليـة كان مهيأ لها اضافة الى انها قامت في الوقت المناسب ، عكس حركة المسيح التي لم تنظر الى الظرف الموضوعي بعين الاعتبار .

اذ كان من اثر النجاح الذي لاقته الحركة السماعيلية ، ان اصبح كل واحد من اسماعيلية ذلك الزمان يود ان يكون من جند المهـدي المنتظر ، ويجد في ذلك سعادة قصوى ما دام يعتقد ان موته في سبيل المنتظر استشهاد يثاب عليه .

وبعد وصول المهدي المنتظر الذي تمثل في شخصية «عبيد الله» الى السلطة لم يتوقف مفكرو الاسماعيلية عن مواصلة جهودهم من اجل تثبيت الفكرة . فاعتبروا الامامة قائمة الى اخر الدهر ومـن اجل ذلك وضعوا احاديث كثيرة يثبتون فيها نظرية استمرار الامامة فيقولون ان الكون لا يستطيع البقاء لحظة بدون امام . (٣)

ومن الاحاديث التي ساقوها لاثبات امامة « عبيد الله المهدي » هذا الحديث « فاذا قام العاشر من ولدي ، هاجر الى ارض المغرب

---

(١) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ـ عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٨٩ .

وبنى بها مدينة تسمى باسمه ويكون اضداده كثير من اهل المغرب وهو الشمس الطالعة من المغرب وهو الذي يفتح الله على يديه المغرب » ٠ (١)

كما وضع مفكروا الاسماعيلية كتبا كثيرة ، تدور كلها حول نقطة واحدة هي ان من اطاع الامام فقد اطاع الله ومن عصى الامام فقد عصى الله (٢) ٠ وفسروا الاية القرآنية « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » بأن اولي الامر هم الائمة ، الذين يحكمون بأمر من الله ٠

« وجاء في كتاب المحصول ان الامام هو غاية الوجود وهو المختار لفكاك الخلق من اسر الطبيعة والارتقاء بهم الى المنزلة الرفيعة فهو الهي الذات سرمدي الحياة » ٠ (٣)

ولم يكتف الاسماعيليون بذلك وذهبوا الى ان بامكان الامام ان يقوم بما يقوم به الانبياء ، فقد سئل الامام محمد الباقر ـ كما جاء في كتبهم ـ اذ كان بامكانه ان يحيي الميت ويبرىء الاعمى فقال « نعم باذن من الله تعالى ومسح بيده على عين رجل فعمى ثم اعاد له بصره » ٠ (٤)

وهذا الدليل الذي يسوقه الاسماعيليون عن الاعجاز في شخص الامام مقتبس من الفكر المسيحي كما مر بنا سابقا ٠

وهناك نقطة اخرى عن جعفر الصادق تؤكد الاتجاه السابق « ويحكى ان الخليفة المنصور قد وجه الى والي المدينة امرا ليحرق على الامام داره ، فأخذت النار في الباب والدهليز فخرج الامام يتخطى النار ويمشي فيها وهو يقول انا ابن اعراق الثرى انا ابن ابراهيم الخليل » ٠ (٥)

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٠ .
(٢) الدكتور ـ محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ١٥٦ .
(٣) مصطفى غالب ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٦ .
(٥) المصدر السابق ص ٨٠ .

ويشبه هذا النص ما جاء في الفكر الديني اليهودي ، فعدا واقعة ابراهيم الخليل ونجاته من النار هناك واقعة يتجلى فيها عظمة الاله - كما تؤكد الكتب اليهودية - حينما رمى الملك « نبوخذ نصر » ثلاثة من كبار اليهود في النار ولكنهم لم يحترقوا بأمر من ربهم !! (١)

مما تقدم يظهر لنا ان الامام عند الاسماعيلية من طبيعة الهية ، له مواصفات انسان « وما يهم الكتاب الاسماعيليين هو ان يلمحوا الى ان جسد الامام ليس جسدا مكونا كبقية اجساد الناس من اللحم · اذ ان هذا الجسد انما ينتج عن مغناطيس كوني يمارس عمله على اجساد المستجيبين الاثيرية ، فتتصاعد من سماء الى سماء ثم تحط على شكل ندى سماوي على سطح ماء صاف او على بعض الثمار · حتى اذا ما استهلك امام الفترة هذا الماء وهذه الثمار هو وزوجته ، يصبح الندى السماوي برعما لجسد لطيف هو جسد الامام ·· ومن هذا الجسد يتكون ناسوت الامام » · (٢)

وفي الواقع ان ما يذهب اليه الكتاب الاسماعيليون يشبه الى حد بعيد ما جاء في الفكر الديني الزرادشتي حيث يأتي المنقذ (ساؤشيانت) عندما تستحم امه في بركة ماء فيدخل فيها برعما صغيرا وعن طريق هذا البرعم تلد زوجة زرادشت الثالثة المنقذ الزرادشتي المنتظر ·

وربما بدا لنا تأثر الفكرة بما تذهب اليه المسيحية غاية في الوضوح حيث ان للمسيح طبيعتين الهية وانسانية ، ومن هذا الاقنوم الذي يربط بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح ولد وسيعود الى الارض في يوم ما ليطهرها من الفساد - حسب ما تدعي المسيحية - وتأثر الفكر الاسماعيلي بالفكر المسيحي قد اعترف به (جعفر بن منصور اليمن) احد دعاة الحركة حيث ادعى ان ترتيب الدعاة الاسماعيليين هو نفس ترتيب رجال الكنيسة المسيحية (٣) وان

---

(١) دانيال الاصحاح ٣ : ٩-٣٠ .
(٢) هنري كوربان - تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٣) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٧٦ .

قولهم في ان الامام بعد صعوده الى السماء يصبح قوة مؤثرة في سير الكون قريب بما تذهب اليه الديانة المصرية القديمة ، حيث يعتقد قدماء المصريين ان انتقال فرعون بعد موته الى العالم الاخر ، يصبح من الالهة المؤثرة في الكون ٠

وقد تأثر الاسماعيليون بفيثا غورس بنظرية الاعداد وبأفلاطون بنظرية المثل (١) ولا مجال لذكر ذلك لعدم علاقته بموضوعنا ٠

في ختام بحثنا نستطيع القول ان فكرة المنقذ المنتظر التي اسلفنا الحديث عنها في ثماني ديانات كانت ولا زالت موجودة في ديانات اخرى ٠

وان عرضنا السابق لهذه الفكرة كان على سبيل المثال لا الحصر٠

فالملاحظ ـ اضافة الى ما ذكرناه ـ ان فرقة الدوستين تنكر موت مؤسسها « دوسيتيوس » (٢) « وينتظر مسيحيو الحبشة عودة ملكهم تيودور كمهدي في اخر الزمان ولا يزال المغول يعتقدون ان « جنكيز خان » الذي يقدمون القرابين على ضريحه كان قد وعد قبل موته انه سيعود الى الدنيا بعد ثمانية قرون او تسعة ، لكي ينقذ المغول من نير الحكم الصيني » ٠ (٣)

وفي الازمنة الحديثة نسبيا نلاحظ ان مسلمو القوقاز يؤمنون برجعة بطل استقلالهم « ايليا منصور » (٤) ويعتقد اهل سمرقند برجعة اوليائهم كشاه زند وقاسم بن عباس ٠ (٥)

وللاكراد اعتقاد في العراق ، فهم يؤمنون برجعة زعيمهم المصلوب « تاج العارفين حسن بن عدى » (٦) ومن بين الحركات التي تنادي بظهور منقذ منتظر فئة من الزنوج تعيش في امريكا تسمي

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢) جولد تسيهر ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٩٢ .
(٣) المصدر السابق ص ١٩٢ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .
(٦) المصدر السابق .

نفسها « بالاسيويين » أو أمة الاسلام احيانا « وهي تنتظر ظهور بطل منقذ يمحق الـرس الابيض في حرب مقدسة » ٠ (١)

وتوجد حركات بين الهنود الحمر (سكـان امـريكا الشمالية) تدور حول توقع ظهور منقذ بينهم ، اذ يعتقدوا ان هذا البطل المنقذ سيحقق لهم الجنة الارضية ويخلصهم من المغتصبين ٠ (٢)

وهناك حركات كثيرة منتشرة في كل انحاء العالم تنادي بظهور منقذ منتظر لا مجال لذكرها هنا ٠

---

(١) الدكتور حاتم الكعبي ــ الحركات الاجتماعية التي تدور حـــول منقذ منتظر ــ مجلة الاستاذ ــ المجلد الثالث عدد ١ ، ٢ لسنة ١٩٦٥ ــ٦٦ ص ٢٠٩ ٠

(٢) المصدر السابق ص ٢١١ ٠

النتيجة

من خلال بحثنا لفكرة المنقذ المنتظر في الفكر الديني المقارن اتضح لنا جليا ان المنقذ اما ان يكون من طبيعة الهية او انه قد اختير من قبل العناية الالهية في احيان اخرى ٠

بمعنى اخر ان طبيعته ، طبيعة غير انسانية ، خارجة عن حدود التكيف الانساني وتدخل بما يمكن ان نطلق عليه بـ « التاريخ القدساني » ٠

وهذا يعني تدخل الله مباشرة او بواسطة احد مرسليه في شؤون الكون ويترتب على ذلك تغيير الخط الموضوعي للمسيرة التاريخية البشرية ، فتدخلات الله ـ بذاته او بواسطة احد مرسليه ـ تدخلات سافرة لا يحدها حد ـ كما يصفها اليهود باعتبارهم اول من طور هذه النظرية ـ ولا يمكن ان تدخل ضمن منطق علمي نستطيع من خلاله تحديد التحول التاريخي ٠

فتؤكد النظرية السابقة عدم امكانية سبر التحولات التاريخية للمسيرة الانسانية ما دام الله هو الذي يحدد طبيعة الازمات والاوقات الملائمة لارسال ممثليه ٠

وهذا يعني انها تسقط في ايدينا امكانية الاخذ بالتناقضات الطبيعية والتحولات الجيولوجية في طبيعة الارض اضافة الى التحولات البيولوجية والبيئية التي تؤثر في التطور الانساني ٠

ان نظرية تدخلات الله في المسيرة التاريخية البشرية بنفسه او بواسطة احد ممثليه قد لاقت انتقادات لاذعة ، وظهرت عدة نظريات منها نظرية « فيكو » و « ابن خلدون » و « اشبنجلر » و « ارنولد توينبي » وغيرها من النظريات ، حاولت ان تجد تفسيرا للتحولات التاريخية تختلف اختلافا كليا عن النظرية الميتافيزيقية آنفة الذكر ٠

واذا كانت هذه النظريات لم تستطع تعليل المسيرة التاريخية للتطور البشري ، بما يمكن ان يكون مقنعا ، فقد ظهرت علينا نظرية (المادية التاريخية) تلك التي صاغها ماركس وانجلز والتي تعتبر بحق افضل نظرية استطاعت ان تعلل لنا التحولات التاريخية تعليلا علميا مقنعا حتى الان ٠

ولا مجال هنا للدخول في هذه النظريات ما دامت خارجة عن نطاق بحثنا ، لذا نعود مرة اخرى الى المسألة الاساسية في بحثنا هذا « المنقذ المنتظر » لنرى كيف يسهم في احداث التحولات في المسيرة البشرية والذي ينتظر مجيئه في احداث تحولات جذرية في نهاية العالم !! كما يذهب الى ذلك اصحاب الديانات التي اسلفنا الحديث عنها ٠

ونتيجة لذلك سنبدأ الكلام عن طبيعة هذا المنقذ ، فمن اي طبيعة هو ؟

تتحدد طبيعة المنقذ المنتظر بنظريتين هما النظرية الميتافيزيقية والنظرية المادية ٠ وتؤكد (النظرية الميتافيزيقية) كما اسلفنا الحديث عنها من كون « البطل » خارج عن حدود التكيف الانساني ، ويتمتع بصفات خارقة لا يتمتع بها غيره من البشر ، بمعنى اخر ان طبيعة المنقذ (البطل) تستمد وجودها من قوة غيبية فيما وراء الطبيعة ٠

وتعتبر النظرية الميتافيزيقية النظرية الوحيدة التي استطاعت في العصور القديمة تفسير الظواهر الطبيعية وهذا ما ادى الى تصور وجود قوى لا مرئية تختفي وراء هذه الظواهر ، فتعددت الالهة بتعدد الظواهر الطبيعية وكلما استطاع الانسان ان يفسر

ظاهرة ما ، تقلص عدد الالهة واخيرا تركز الاعتقاد في اله واحد خالق وفي حدود الاله الواحد بقي الفعل اي فعل المنقذ وطبيعته خارقين ·

والسؤال الذي يفرض ذاته لماذا بقي الفعل والطبيعة خارقين ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نأخذ عـدة شخصيات مبدعـة امثال زرادشت ويسوع المسيح ومانــي وبــوذا ومهاويرالنرى كيــف تحقق الفعل والطبيعة الخارقين علمـا بأن « عبــارة شخصيــات مبدعة » (تثير امامنا انتقادات المدرسة النقدية في التاريخ · اذ تعتبر هذه المدرسة ان كثيرا من هذه الشخصيات وغيرها ذات الطابع الديني مشكوك في امرها اضافة الى ان تعاليمهم قد اضيف اليها من قبـل اتباعهم) ·

ويرتبط الفعل والطبيعة الخارقين بما يمكن ان نطلق عليــه المنشطات الاجتماعية والبيئية ، بمعنى ان الظرف الذي ظهرت فيه مثل هذه الشخصيات المصلحة كان يسمح لكل ما هو خارق ولا يعترف بالمستحيل سبيلا · فالمستحيل (الشي الذي لا يمكــن حصوله) ومصطلح حديث من بنات المدنية المعاصرة ، استطعنا ان نتعرف عليه ونقتنع به نتيجة لتطور عقليتنا التجريدية عما كان عليه الانسان البدائي ذاك الذي لا يبحث عن « الكيف » في طبيعة الاشياء بل يبحث عن الـ « من » ·

فالظرف الموضوعي لانسان تلك الفترة كان يسمح ان يستند الى الخرافة لتفهم العالم الذي يحيط به وقهره والتغلب عليه · (١)

ومن الممكن القول ان « عجز الانسان الاول وعدم كفاية وسائله المادية ونقص خبرته كل ذلك فتق خياله الساذج واطلق له العنان وجزاه بالخوارق بديلا » (٢) اضافة الى الامراض والاحزان والمصائب التي اذكت فيه هذه الجذوة وقوة ايمانه بالسحر ·

« ان العقلية البدائية يجب ان ننظر اليها من هذه الزاوية ،

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ــ قبل ان يتفلسف الانسان ص ٧ ·
(٢) المصدر السابق ص ٧ ·

فنظرتها الى العالم انما هي النظرة الخاصة بالمجتمعات التي ظلت ادواتها الطبيعية بدائية فاستعاضت عنها بالخوارق » . (١)

ان التفكير البدائي تفكير مخدوع ، فالبدائي يخدع نفسه دائما ويحسب انه يتمتع بالمعرفة كاملة ، فيها يعلل الاشياء ويفسرها ويجد الحلول لها .

واذا نظرنا الى هذا الاسلوب من التفكير على اساس انه تفكير ساذج لا يتفق مع المنطق والعقل ، فاننا على خطأ ، اذ ان غموض الظواهر الطبيعية امام العقلية البدائية كانت سببا مهما في هـذا الاسلوب .

وهذا ما يحمد عليه انسان تلك الازمنة اذ انه لم يقف مكتوف اليدين امام الظواهر الطبيعية بل حاول ان يجد تعليلا لها وكـان تعليله هذا يتفق مع عقليته الساذجة وتفكيره البسيط . فالخوارق اسلوب لاضفاء عالم آخر فوق عالمه المحسوس اشباعا لرغباته .

والمصلحون والانبياء الذين اسلفنا الحديث عنهم اضطروا الى استخدام اسلوب الخوارق لان ظرفهم كان يستوعب ذلك اضافة الى ان كثيرا من الالتزامات والواجبات التـي حاولوا تطبيقها علـى مجتمعهم ، لا يمكن تطبيقها اذا لم تهيأ الهيئة الاجتماعية نفسيا على اساس ان تلك التعاليم مفروضة من قبل قوى خارقة لا يرونها .

واذا وجدنا تفسيرا ماديا للخوارق فتبقى امامنا الطبيعة الخارقة للمنقذين ، وتنسب النظرية المادية تفـوق البطـل الى مجموعة العوامل البيولوجية والوراثية والبيئية والاجتماعية .

فلهذه العوامل الاثر الحاسم في تكوين الشخصية الانسانية ومنها نستطيع ان نفرق انسانا عن آخر .

واذا حاولنا ان نجد تعليلا لمهمة البطل (المنقذ المنتظر) مـن

---

(١) المصدر السابق ص ٧ ، ٨ .

مجموع هذه العوامل ، فنستطيع القول ان البطل هو الذي يملك وعيا اجتماعيا بضرورة تحرير مجتمعه من واقعه المتخلف الى واقع احسن . وهنا يبرز امامنا سؤال : ما طبيعة هذا المنقذ ما دمنا قد افترضنا انه يملك وعيا اجتماعيا بضرورة تحرير مجتمعه من واقعه المتخلف الى واقع احسن . وهنا يبرز امامنا سؤال : ما طبيعة هذا المنقذ ما دمنا قد افترضنا انه يملك وعيا اجتماعيا بضرورة تحرير مجتمعه ، فكثيرون هم الذين يملكون وعيا اجتماعيا بضرورة تحرير مجتمعاتهم ؟

مبدئيا نستطيع ان نفترض ان كل من يساهم في ابدال الواقعة الاجتماعية هو منقذ وبطل . لذلك من الممكن ان تبرز نخبة من المجتمع تأخذ على عاتقها مهمة تحرير المجتمع لكن السؤال يبقى قائما فالمعروف انه حتى في النخبة الواعية يبرز افراد قلائل لهم امكانية تزعم النخبة الواعية .

فقد برزت امامنا عند دراستنا للثورة الفرنسية اسماء كل من فولتير ومونتسكيو وروسو كقادة وابطال للثورة ، وبرز امامنا « لينين » في ثورة اكتوبر و « ابراهام لنكولن » لتحرير العبيد في امريكا و « كاسترو » لتحرير كوبا ..

نقول كيف برزت هذه الاسماء ولم تبرز غيرها ؟

وحقيقة الامر ان لكل من هؤلاء الابطال الذين ذكرناهم انفا صفات طبيعية تميزهم عن غيرهم ، وتفرض وجودهم كأبطال لهم امكانية قيادة الهيئة الاجتماعية ، فالظرف الاجتماعي هو الذي يخلق البطل فلو لم تكن الظروف مهيأة لما قام (ابراهام لنكولن) بتحرير العبيد ولو لم يوجد (لنكولن) لوجد لنكولن اخر ولا ينحصر هذا المفهوم في النطاق السياسي فبأمكاننا ان نسحب هذا المفهوم الى نطاق اخر ونقول انه لو لم يوجد « بتهوفن » في مجال الموسيقى لوجد اخر ولو لم يوجد « المتنبي » في مجال الشعر لوجد « متنبي » اخر اكثر عبقرية من الاول او أقل . بعد ذلك نحاول ان ندرس البطولة في ضوء الظرف الاجتماعي ، والبطولة ابداع فردي مرتبط بالظرف الاجتماعي لا شك في ذلك . وفي هذا المجال تبرز امامنا

شخصيتان هما « نيوتن » صاحب نظرية المادية الساكنة و « اينشتاين » صاحب النظرية النسبية ، فكل منهما قام بنظريته بشكل منفرد وفي ظرف ملائم ، فلا بد للعبقرية من صقل ومران ، بمعنى اخر وجود منشطات لتطوير الموهبة والعبقرية وهذه المنشطات تتمثل في استعداد المدنية لنظريات من هذا النوع والا لاستطعنا القول بخروج « اينشتاين » في القرن الاول الميلادي .

من ذلك نستطيع ان نربط بين مفهوم البطولة والظرف الاجتماعي فتقول ان الظرف الاجتماعي في القرن الاول الميلادي كان مهيأ ليسوع المسيح وليس القرن العشرون ، ولو جاز لنا الافتراض بامكانية خروج « يسوع المسيح في هذا القرن لامكننا الافتراض وبشكل لا يقبل الشك بايداعه الى مستشفى الامراض العقلية من قبل سلطات الامن في المكان الذي يظهر فيه » .

وما دمنا نتكلم عن الظرف الاجتماعي والبطل نود ان ننقل هذا النص من الفكر الاسلامي حيث يذهب بعض المؤرخين الى ان النبي محمد قال « كنت وابا بكر كفرسي رهان لو لم اسبقه الى النبوة لسبقني اليها » .

والسؤال الذي يفرض ذاته في هذا المجال هو هل من الممكن ان يكون ابا بكر نبياً بدلا عن النبي محمد ؟

ولا يوجد امامنا الا ان نرفض رفضا قاطعا كل استنتاج يذهب الى تأكيد امكانية ابي بكر لممارسته النبوة ، فشخصية ابي بكر شخصية غير مبدعة عكس شخصية النبي محمد حيث المتانة في شخصه والتوقد في ذكائه اضافة الى القدرة الهائلة للاستفادة من تجارب الاخرين اضافة الى تكوينه النفسي والبيولوجي .

وما دمنا نتكلم عن قوة شخصية البطل وعلاقتها بالظروف ، فنستطيع القول ان شخصية « الامام علي » لا تقل متانة عن شخصية محمد فلماذا استطاع ان ينجح النبي محمد وفشل علي ؟

في هذا المثال يتأكد لنا اهمية الظروف الاجتماعية بشكل واضح

فنستطيع القول ايضا ان كل المصلحين والانتهازيين انتموا الى الحركة الاسلامية بسبب ادراكهم ان هذه الحركة ستجلب لهم الاموال اكثر مما هم عليه ، وهذا ما يتأكد من اقوال النبي محمد حيث اعتبر الدين الاسلامي دين العالم وارسل بعثات للتبشير بهذا الدين الجديد ٠

واذا كان غرض النبي شريفا لتوحيد العالم تحت مبادىء واحدة فان الذين جاؤوا بعده (ونقصد السلطة الاموية والعباسية) قد ادركوا ان الدين الجديد سينقلهم الى واقع مزدهر على حساب الشعوب الاخرى ٠

فالذي حدث ان كل اصحاب المصالح والاغنياء تكتلوا عندما شعروا ان مصالحهم ستهدد ، ضد الامام علي ، فظاهر الامور يؤكد ان الامام علي كان جديا اكثر مما ينبغي ٠ اذ اعتبر الاسلام حركة انسانية غرضها انقاذ الشعوب من الظلم والبؤس ، وكان مندفعا لتحقيق مبادىء العدالة الانسانية من خلال الدين الاسلامي٠ ان قوة شخصيته وذكاءه اللامع وقدرته وانسانيته لم تسعفه امام ظرف اجتماعي في غير صالحه ، وربما أثارت فينا عبارة « ظرف اجتماعي غير مناسب » تساؤلا جديدا ما هي الظروف التي تستلزم وجود منقذ منتظر ؟

لقد قلنا في بداية هذه الخاتمة ان عجز الانسان عن تفسير الظواهر الطبيعية كان من الاسباب المهمة التي ساهمت في خلق مفهوم البطل ، وقد يبدو ان هذا العامل غير كاف لتفسير هذه الظاهرة ، لذا نحاول ان نبحث عن عوامل اخرى ٠

يؤكد كثير من علماء الاجتماع على ان ظاهرة البطولة تبرز عندما يكون مجتمع ما في حالة من الظلم واليأس ، فكلما اصاب مجتمعا من المجتمعات ظلم ويأس شديدان برزت الى حيز الوجود فكرة البطولة ، ولكن المسألة المحيرة حقا ، ما هي ظروف البؤس والشقاء التي تستلزم ظهور منقذ (بطل) ، وكيف بامكاننا ان نعرف ان مجتمعا ما قد وصل الى درجة من الغليان تستلزم معها قيام حركة اجتماعية ٠

يؤكد ماركس في هذا المجال ويقول ان الماء الذي يوضع فوق النار لا يغلي الا بدرجة (١٠٠) مئوية ، فلا يغرينا صعود الفقاعات على السطح ، انما هي ظاهرة من ظواهر الغليان !

قد يكون ما ذهب اليه « ماركس » في مثله هذا صحيحا ولكن كيف بامكاننا ان نقول ان مجتمعا كالمجتمع الهندي لم يصل الى درجة الغليان امام هذه التناقضات بين الغنى الفاحش والفقر المدقع ؟

وحقيقة الامر ان المجتمع الهندي قد وصل الى درجة التأزم من حيث حدة التناقضات ولكنه لم يصل لوجود عوامل اخرى قتلت الثورة في داخله كما اسلفنا الى ذلك في فصل الديانة الهندية ٠ فنستطيع القول ان مسألة الغليان ووصول المجتمع الى درجة التأزم مسألة نسبية ايضا وغير قابلة للتحديد ٠

ربما كان العامل الذي ذكرناه آنفا من العوامل المهمة فعلا لوجود البطل ولكننا نرجح عوامل اخرى تستلزم وجود (منقذ) منها المبدأ الذي قال به الاستاذ « ارنولد توينبي » والذي يتمثل بالتحدي ورد الفعل فكلما كان التحدي الذي يصيب مجتمعا ما كبيرا كان رد الفعل موازيا لهذا التحدي ٠

وربما يعترض بعضهم على هذا المبدأ ويقول الم يكن التحدي الاسرائيلي للعرب كبيرا فماذا كان رد الفعل ؟

وترتبط هذه المسألة ارتباطا جدليا بالخدعة ، اذ وضع العرب امالهم في بعض الاشخاص على اساس انهم ابطال فلما انهار هؤلاء الابطال انهارت الامال التي وراءهم !

ان العرب لم يدركوا حتى الان ان الفردية غير قادرة على تحرير الارض المحتلة ، وان واقعهم الممزق هذا قد خلق شخصيات ممزقة ، اطلق عليها اسماء المنقذين والابطال جزافا !

ومن العوامل المهمة التي ساهمت في ظهور فكرة المنقذ المنتظر عامل الخوف والوهم ٠

والخوف في حد ذاته يرتبط ارتباطا جدليا بعجز الانسان عن

تفسير الظواهر الطبيعية مما جعله يرهبها ويتوقع منها شرا كبيرا فاضطر الى التقرب منها وعبادتها ٠

اما الاوهام فقد ارتبطت كليا بعامل الخوف ، وربما ابتدأت مسألة الاوهام عند الانسان العاقل في بداية تكوينه من مشكلة الموت حيث ان عدم امكانيته لتفسير ظاهرة الموت جعله يتوهم برجوع الموتى الى الحياة مرة اخرى ٠

ومن هذه الفكرة تحققت فكرة المنقذ :

ومن التعليلات المهمة في ظهور الابطال ما ذهبت اليه مدرسة الجبر الاجتماعي وعلى رأسها « سبنسر » الذي يؤكد بأن المجتمع هو الذي يساهم مساهمة كبيرة في تكوين البطل قبل ان يستطيع البطل اعادة تكوين المجتمع ٠

وهذا القول ينطوي على مبالغة كبيرة اذ فيه نفي للعوامل البيولوجية والقوة العقلية وربما للعبقرية التي يصعب تفسيرها في كثير من الاحيان ولم تتحقق المبالغة في الجزء الاول من الجملة السابقة فقط انما قول « سبنسر » بأن هناك افرادا قلائل يستطيعون اعادة « صنع » المجتمع ، والتصرف في سير مجتمعهم ينطوي على مبالغة اخرى ، فحركة التاريخ لا تحرك من قبل ظروف ذاتية ، انها مجموعة الظروف الموضوعية لمجتمع من المجتمعات ٠

بينما يذهب « هيغل » ويؤيده في ذلك « اشبنجلر » الى ان البطل ممثل عن روح زمنه او روح حضارته ، وهذا التفسير يوقعنا من جديد في المزالق الميتافيزيقية ٠

ولم يبق امامنا ونحن في هذه العجالة الا أن نأخذ مسألة ستكون هي الاخيرة في هذه الخاتمة ، وتحدد هذه المسألة في نهاية العالم المرتقبة وظهور المنقذ ٠

فمن الطريف حقا ان الاراء الدينية والخرافية والاراء العلمية من ناحية أخرى قد توقعت النهاية المرتقبة للارض ٠

لكن الفرق بين النظرية الدينية والنظرية العلمية ان الاولى

تتصور ان العالم سيصيبه البؤس والشقاء ويكثر المجرمون على الارض ولا يبقى الا الاشرار وامام هذه المأساة الدرامية يرسل الله منقذه المنتظر لينقذ اعوان الله وينقلهم الى واقع مزدهر بجـوار الـرب !!

اما النظرية العلمية فترفض هذا التفسير الغيبي ، فهي اذ تؤكد ان الارض ستنتهي بعد مدة لا تقل عن (٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠) سنة اي مقابل المدة التي عاشتها حتى الان ، ولكن نهايتها ستكون نتيجة لعوامل طبيعية ، فمن المحتمل ان تزداد اشعاعات (اشعة اكس) على الارض او ربما يقل غاز الاوكسجين على الارض او اي عارض اخر كاصطدام كوكبنا بكوكب اخر .

ولكننا نستطيع ان نستنتج على ضوء النتائج العلمية بـان الانسانية سيكون باستطاعتها الانتقال الى كوكب اخر من الممكن ان تتوفر فيه اسباب افضل في حالة استحالة البقاء على الارض !

مصادر البحث

١ ــ ا.م. هودجكين ــ المسيح في جميع الكتب .
٢ ــ ابراهيم احمد رزقانة واخرون ــ حضارة مصر والشرق القديم .
٣ ــ ابراهيم نصحي ــ تاريخ مصر في عهد البطالمة جـ ١ ، ٢ ، ٤ .
٤ ــ ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ .
٥ ــ ابن طاووس ــ الملاحم والفتن .
٦ ــ ابن منظور ــ لسان العرب المحيط ٢ ــ ٣ .
٧ ــ ابن هشام ــ السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد .
٨ ــ ابو الفتح الشهرستاني ــ الملل والنحل .
٩ ــ ابو الكلام ازاد ــ شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن مجلة ثقافة الهند مجلد اول عدد ١ ، ٢ سنة ١٩٥٠ .
١٠ ــ ابي الحسن الاشعري ــ مقالات الاسلاميين .
١١ ــ ابي الحسن المسعودي ــ مروج الذهب .
١٢ ــ ابي الفداء ــ السيرة النبوية .
١٣ ــ احمد بدوي (الدكتور) في موكب الشمس جـ ــ ٢ .
١٤ ــ احمد سوسة (الدكتور) مدخل الى كتاب العرب واليهود في التاريخ .
١٥ ــ احمد شلبي (الدكتور) ــ اديان الهند الكبرى .
١٦ ــ احمد شلبي (الدكتور) الديانة اليهودية .
١٧ ــ احمد عبد المنصف محمود ــ في بلاد البقرة المقدسة .
١٨ ــ ادولف ارمان ــ الديانة المصرية القديمة .
١٩ ــ اديان العالم الكبرى ــ لخصه عن الانكليزية حبيب سعيد .
٢٠ ــ ارثر كريستنسن ــ ايران في عهد الساسانيين .
٢١ ــ الاسفرابيني ــ التبصر في الدين .
٢٢ ــ اليزابيت رايفنشتال ــ طبيبة في عهد امنحتب الثالث .
٢٣ ــ انطوان زكرى ــ الادب والدين عند قدماء المصريين .

٢٤ ــ انيين دريون وجاك فاندية ــ مصر .
٢٥ ــ البريزي ــ مشكاة المصابيح .
٢٦ ــ ج. ديلورم ــ ابن الانسان .
٢٧ ــ جاك جوميير وسامي اليافي ــ المسيح ابن مريم .
٢٨ ــ جان ــ يويوت ــ مصر القديمة .
٢٩ ــ جواد علي (الدكتور) ــ تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ــ ٥ القسم الديني .
٣٠ ــ جولد تسيهر ــ العقيدة والشريعة في الاسلام .
٣١ ــ جون جنتر ــ الاسكندر الاكبر .
٣٢ ــ جون ولسون ــ الحضارة المصرية .
٣٣ ــ جيمس فريزر ــ الغصن الذهبي جـ ــ ١ .
٣٤ ــ جيمس هنري برستيد ــ انتصار الحضارة .
٣٥ ــ جيمس هنري برستيد ــ فجر الضمير .
٣٦ ــ جيمس هنري برستيد ــ تطور الفكر والدين في مصر القديمة .
٣٧ ــ حاتم الكعبي (دكتور) ــ الحركات الاجتماعية التي تدور حول منقذ منتظر . مقال في مجلة الاستاذ مجلد ــ ٣ عدد ١ ، ٢ لسنة ٦٥،٦٦ .
٣٨ ــ حامد عبد القادر ــ زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين .
٣٩ ــ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ــ عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية .
٤٠ ــ دائرة المعارف الاسلامية .
٤١ ــ دوايت م. رونالدسن ــ عقيدة الشيعة .
٤٢ ــ روبير كليمان اليسوعي (الاب) ومجموعة من الكتاب ــ ايماننا الحي.
٤٣ ــ الزنجاني ــ تهذيب الصحاح ت ٣٠ .
٤٤ ــ سامي سعيد الاحمد (الدكتور) ــ الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية .
٤٥ ــ سامي سعيد الاحمد (الدكتور) ــ الاصول الاولى لافكار الشر والشيطان .
٤٦ ــ سامي سعيد الاحمد (الدكتور) ــ محاضرات في التاريخ القديم ــ على طلبة الصف الثاني قسم التاريخ كلية الاداب ــ جامعة بغداد .
٤٧ ــ سدني هوك ــ البطل في التاريخ .
٤٨ ــ سعاد محمد حسن ــ المهدية في الاسلام .
٤٩ ــ سليمان مظهر ــ قصة العقائد بين السماء والارض .
٥٠ ــ سليم حسن ــ مصر القديمة الجزء الاول ، الثاني ، الثالث ، الخامس .
٥١ ــ سيرجون انجلش وجيرالد بيرسون ــ الحياة الانفعالية من المراهقة الى النضج .
٥٢ ــ شرى راج غوبال ــ ويدانت فلسفة الهند الاخلاقية والدينية ــ مجلة ثقافة الهند عدد ــ ٢ مجلد ٢ سنة ١٩٥١ .

٥٣ ــ صادق جلال العظم (الدكتور) ــ نقد الفكر الديني .
٥٤ ــ صحيح مسلم بشرح النووي جـ ــ ١٨ .
٥٥ ــ طه باقر ــ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ ، ٢ .
٥٦ ــ طه باقر ــ ملحمة كلكامش .
٥٧ ــ ظفر الاسلام خان ــ التلمود تاريخه وتعاليمه .
٥٨ ــ عباس محمود العقاد ــ حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث .
٥٩ ــ عبد الله البستاني ــ معجم البستاني .
٦٠ ــ عبد الرحمن الرافعي ــ تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة .
٦١ ــ عبد العزيز محمد الزكي ــ قصة بوذا .
٦٢ ــ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ــ مختصر الفرق .
٦٣ ــ عبد الكريم الخطيب ــ المسيح في القرآن والانجيل والتوراة .
٦٤ ــ عبد الهادي الفضلي ــ في انتظار الامام .
٦٥ ــ عبد الوهاب النجار ــ قصص الانبياء .
٦٦ ــ عيسى سابا ــ قصة الاديان القديمة .
٦٧ ــ عيسى سابا (مترجم) انجيل بوذا .
٦٨ ــ فاروق الدملوجي ــ حياة السيد المسيح جـ ــ ١ .
٦٩ ــ فان فلوتن ــ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات .
٧٠ ــ الفنديداد اهم الكتب التي يتألف منها الابستا ترجمة الدكتور ــ داود الجلبي الموصلي .
٧١ ــ فؤاد حسنين علي (دكتور) اليهودية واليهودية المسيحية .
٧٢ ــ فؤاد حسنين علي (دكتور) ــ المجتمع الاسرائيلي حتى تشريده .
٧٣ ــ فؤاد محمد شبل ــ مشكلة اليهودية العالمية ــ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٤١ .
٧٤ ــ فؤاد محمد شبل ــ دور مصر في تكوين الحضارة ــ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٧٠ .
٧٥ ــ القرآن الكريم .
٧٨ ــ كارل بروكلمان ــ تاريخ الشعوب الاسلامية .
٧٩ ــ الكتاب المقدس ــ العهد القديم .
٨٠ ــ الكتاب المقدس ــ العهد الجديد .
٨١ ــ الكليني الرازي ــ الروضة من الكافي جـ ــ ٨ .
٨٢ ــ الكنز المفقود في قواعد التلمود ــ ترجمة يوسف نصرالله .
٨٣ ــ غوستاف لوبون ــ حضارات الهند .
٨٤ ــ غوستاف لوبون ــ الحضارة المصرية .
٨٥ ــ لويس شيخو اليسوعي (الاب) ــ شعراء النصرانية .
٨٦ ــ المجلسي ــ بحار الانوار م ــ ١٣ جـ ــ ٥١ .
٨٧ ــ محمد ابو زهرة ــ محاضرات في مقارنة الاديـــان ــ القسم الاول ــ

الاديان القديمة .
٨٨ ـــ محمد ابو زهرة ـــ محاضرات في النصرانية .
٨٩ ـــ محمد اسماعيل النووي (الدكتور) ـــ المها بهاترا ـــ مقال في مجلة تراث الانسانية م ـــ ٥ .
٩٠ ـــ محمد اسماعيل الندوي (الدكتور) ـــ الهند القديمة حضارتها وديانتها .
٩١ ـــ محمد جميل بيهم ـــ فلسفة تاريخ محمد .
٩٢ ـــ محمد حسين هيكل (دكتور) ـــ حياة محمد .
٩٣ ـــ محمد رضا الطبسي النجفي ـــ الشيعة والرجعة .
٩٤ ـــ محمد عبد الرحمن مرحبا ـــ قبل ان يتفلسف الانسان .
٩٥ ـــ محمد عبد السلام ـــ فلسفة الهند القديمة ـــ مجلة ثقافة الهند م ـــ ٤ عدد ـــ ١ .
٩٦ ـــ محمد العزب موسى ـــ (موسى .. مصريا) .. نظرية فرويد في التاريخ اليهودي سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٢٧ .
٩٧ ـــ محمد عزة دروزة ـــ تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم .
٩٨ ـــ محمد كامل حسين (دكتور) ـــ طائفة الاسماعيلية .
٩٩ ـــ محمد لطفي جمعة ـــ ثورة الاسلام وبطل الانبياء .
١٠٠ ـــ محي الدين الالواي ـــ الفلسفة الجينية مجلة ثقافة الهند م ـــ ١٢ ، ع ـــ ٤ .
١٠١ ـــ مراد كامل (دكتور) ـــ اسرائيل في التوراة والانجيل .
١٠٢ ـــ مراد كامل (دكتور) ـــ الكتب التاريخية في العهد القديم .
١٠٣ ـــ مراد كامل ـــ حضارة مصر في العهد القبطي .
١٠٤ ـــ مرتضى العسكري ـــ عبد الله بن سبأ .
١٠٥ ـــ مصطفى غالب ـــ تاريخ الدعوة الاسماعيلية .
١٠٦ ـــ منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس ـــ ترجمة احسان حقي .
١٠٧ ـــ مهاويرا مؤسس الجينية ـــ مجلة ثقافة الهند م ـــ ٢ ع ـــ ٣ .
١٠٨ ـــ موريس دروون ـــ الاسكندر الاكبر .
١٠٩ ـــ الموسوعة العربية الميسرة .
١١٠ ـــ هنري كوريان ـــ تاريخ الفلسفة الجينية .
١١١ ـــ واشنطون ارفنج ـــ حياة محمد .
١١٢ ـــ ول ديورنت ـــ قصة الحضارة م ـــ ١ جـ ـــ ٢ .
١١٣ ـــ ول ديورنت ـــ قصة الحضارة م ـــ ١ جـ ـــ ٣ .
١١٤ ـــ ول ديورنت ـــ قصة الحضارة م ـــ ٣ جـ ـــ ٣ .
١١٥ ـــ ول ديورنت ـــ قصة الحضارة م ـــ ٤ جـ ـــ ٢ .

الفهـــرس

الثمن ٢٠ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

دار ابن رشد للطباعة والنشر

بيروت ـ لبنان ـ كورنيش المزرعة ـ بناية موسى ـ ب ٣٠٠٣١١